رحلة الحبشة

تأليف

صادق باشا المؤيد العظم فريق اول بالجيش العثماني
والمندوب العثماني السابق في بلغاريا

Ṣādiq Pāshā al-ʿAẓm

تعريب

رفيق بك العظم و حقي بك العظم

طبع بمطبعة الجريدة بسراي البارودي بباب الخلق
سنة ١٣٢٦هـ — سنة ١٩٠٨م

فهرست

رحلة الحبشة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة



حقي بك العظم



رفيق بك العظم

بسم الله الرحمن الرحيم

السفر من الاستانة — تراجة بيره — ساعتان الطيفتان في نابولي — الوصول الى مرسيليا — خادم القهوة — الوصول الى بورت سعيد — مهارة ملاحي البحر الاحمر — الاستمرار على السير

امتثالاً للامر السلطاني الصادر بانتدابي لايصال كتابه الى جلالة منليك الثاني نجاشي الحبشة سافرت من الاستانة في الخامس عشر من شهر نيسان (ابريل) على الباخرة اوره نوف من شركة مساجري ماريتيم الافرنسية قاصداً مرسيليا لاركب منها أول باخرة تسافر الى جيبوتي . وكان في صحبتي البكباشي طالب بك من ضباط الفرقة الثانية ومن ياوران الحضرة السلطانية ويس افندي أحد جوّاش بلوك المعية . وكانت الباخرة المذكورة كبيرة جداً وعلى غاية من النظافة تقطع في الساعة ثلاث عشرة عقدة . ولم يكن معنا من الركاب في الدرجة الاولى سوى ثلاثين راكباً نساء ورجالاً لذا كان لنا مجال واسع للتمشي على ظهر الباخرة والراحة في بهوها

بلغنا جناق قلعة (الدردانيل) ليلاً فرست بنا الباخرة برهة يسيرة ريثما أعطت البريد وأخذت غيره ثم مخرت بنا قاصدة أزمير . وكان البحر هادئاً والطقس جميلاً جداً . وفي اليوم التالي (الجمعة) وصلنا ازمير في منتصف الساعة السابعة صباحاً وألقت الباخرة مراسيها خارج الميناء وأخذت تشحن البضائع من قطن وزبيب وبيض وتين مجفف بكثرة لنقلها الى مرسيليا فرأيت أن انزل الى المدينة لاجل اتمام بعض نواقص السفر اللازمة لنا في سفرنا هذا . وقد كانت أمتعتي وأدواتي التي ادخرتها بعد سياحاتي وأسفاري لأواسط أفريقيا (مرة الى جغبوب ومرة الى كفره) وأسيا الصغرى

(الاناضول) ورحلتي من دمشق الى الحجاز في مهمة مد الخط البرقي بين القطرين المذكورين كاملة تغنيني عن أخذ مثلها الآن لكن الحريق الذي دمّر منزلي الكائن بالاستانة في العام الغابر أتلف كل هذه العدد فاضطرني الى تجديد كل ما يلزم لمثلي في الأسفار

وبعد أن مكثنا في أزمير اربعاً وعشرين ساعة اقلعت بنا الباخرة منها في الساعة السابعة ونصف صباحاً قاصدة ميناء (بيره) وبينما كنا نتناول طعام المساء تغير الطقس وأخذت الباخرة تمايل بنا ذات اليمين وذات اليسار فانقبضت الصدور وترك الركاب المائدة من نصف الاكل وجعلوا يتسلَّلون الى غرفهم واحداً تلو آخر ومع كثرة معاناتي لركوب البحار وما صادفته فيها من الانواء العظيمة لم أعتد الصبر على الدوار فاضطررت للذهاب الى غرفتي ايضاً ونمت من الساعة الواحدة بعد الغروب (على الحساب الشرقي)

وفي يوم الأحد التالي وصلنا الى ميناء (بيره) ولم تلبث الباخرة ان ألقت مراسيها وأخذت الجواز الصحي حسب العادة حتى امتلأت بسماسرة الفنادق وتراجمة السياح وأصحاب القوارب واخذوا يحومون حول الركاب ويكلمونهم بلغات متعددة كالانكليزية والافرنسية والرومية فكنت اتخيل من كلام من كانوا نصيبي من هؤلاء النوتية ان من يخاطبني بالتركية انما يخاطبني بالافرنسية ومن يخاطبني بالافرنسية انما يخاطبني بالتركية وكان كل من هؤلاء النوتية يبذل جهده ويظهر من فصاحة اللسان ما عنده لاقناع الركاب بالنزول الى البر والذهاب الى (اثينا) عاصمة اليونان والتفرج عليها وقد أراني احد التراجمة بطاقة احد رفاقي من الياوران وقد كان مرَّ بهذه الميناء وهو ذاهب لقضاء مهمة كان انتدب اليها وزار (اثينا) وضواحيها مع الترجمان المذكور وعلى ظهر البطاقة كتابة بتوقيع صاحبها تشهد بحسن حال الترجمان . ولما رأيت هذه الكتابة نزلت الى البر مع رفيقي بصحبة ذلك الترجمان لزيارة عاصمة اليونان وركبنا مركبة مكشوفة من الجنس المعبر عنه (لاندو) لنتمكن من الوقوف في الطريق عند الحاجة ومشاهدة الآثار كما يجب

وكنا كلما مررنا بأثر قديم ومحل مشهور يقف صاحبنا بنا خطيباً ويحملق بناظريه ويشير الى اليمين والشمال بيديه مسترسلاً في سرد تاريخ ذلك الأثر مشخصاً حالة اصحابه بشكل مستغرب وبيان مخل زائد عن الحاجة وكيفما كان الحال قد قضينا في (اثينا) ثلاث ساعات عدنا بعدها الى (بيره) ثم قصدنا الباخرة ولما بلغناها وجدنا الدرجة الثالثة مملوءة بالركاب وفي الساعة السادسة أقلعت بنا من (بيره) والاشاعة دائرة بين الركاب ان نوءاً شديداً سيحدث في الليل ولما جاء الليل كذب تلك الاشاعة ولم يحدث النوء بل بالعكس كان الهواء لطيفاً والبحر هادئاً وقضينا الليل في راحة وعلمت ونحن على طعام المساء شيئاً أحببت ذكره هنا وهو :

كنت أعهد بالاوروبيين الشره الى اكل لحم الخيل وكثيراً ما رأيت في باريز ألواحاً على حوانيت بعض الجزارين مكتوباً عليها (البغال السمينة) وفيها كثير من لحم البغال والخيل إلا اني ما كنت اعرف انهم يأكلون لحم الحمير ايضاً نعم ان المعلوم عقلاً ان ليس هناك فرق بين لحم البغال والخيل ولحم الحمير وربما تشابهت هذه اللحوم لان غذاء هذه الحيوانات واحد ومن اكل لحم الخيل والبغال يسهل عليه اكل لحم الحمير ايضاً انما موضع الاستغراب هو اني أعلم ان جنس الحمير قليل جداً في اوروبا وانه لا يوجد الا في حدائق الحيوانات في عواصم اوروبا الكبرى بين الحيوانات الغريبة ولم أسمع ان هذا الحيوان كثير في أوروبا لدرجة ان يؤكل لحمه حتى رأيته تلك الليلة على المائدة وذلك ان الموكلين بالطعام أتونا بنوع من النقانق (السجق) ذي منظر بهيج ولون جميل مقطع قطعاً مستديرة ولما لم أعرف جنس هذا الطعام ومن اي لحم عمل لم أتناول منه وكان بجانبي قسيس ضخم الجثة سمينها يظهر من سيماه وصحته انه يحب المآكل النفيسة فلما رآني اكتفيت بالسردين والزبدة قال لي (كل يا سيدي من هذه النقانق لانها من أنفس ما صنع وهي معمولة من لحم البغال والحمير معاً) ووافق الحضور على أقواله . أما انا فاعتذرت مع الشكر لهذا القسيس الكثير العناية بجيرانه

وفي صباح اليوم التالي الذي هو يوم الثلاثاء رأينا عن شمالنا جزيرة (استرومبولي) وقضينا وقتاً في مشاهدة الدخان المتصاعد من جبالها البركانية . وفي الساعة الخامسة افرنجية مررنا بين نابولي وجزيرة (كابري) . وهنا قرب جزيرة (كابري) نفق طبيعي جسيم يمر به من طرف الى طرف ويرى من الباخرة وكان الركاب يتحدثون بموت المسيو كروب صاحب معمل مدافع كروب في هذه الجزيرة وبزيارة الامبراطور ويلهلم امبراطور ألمانيا لهذه الجزيرة منذ عشرين يوماً ومكثه فيها نحو شهر من الزمان

وفي الساعة السادسة افرنجية دخلت باخرتنا ميناء (نابولي) المشيدة بيد القدرة وهي بيضية الشكل وتحيط بها الجبال من اطرافها ويرى الراكب من الباخرة جبل (فيزوف) الناري الشهير . ويوجد لهذا الميناء الطبيعي رصيف جسيم وجميل كلما اقتربنا منه نرى الزوارق الصغيرة مملوءة من المغنين والمغنيات مقبلين علينا لاستقبالنا وهم يغنون الأغنية المطربة وكانت تدنو أجمل تلك الفتيات و بيدها المظلة (الشمسية) معكوسة اي ان اليد الى الاعلا لتتلقى بها النقود فيأخذ ركاب الباخرة يرمي ما تجود به انفسهم من الدراهم لهؤلاء المساكين فكان كلما ازداد سقوط الدراهم الى المظلة يزداد سرور المغنين وكان دنو الشمس من الغروب ومنظر المدينة البهيج يمثلان صورة من أبدع الصور لا سيما تلك الزوارق التي كانت محيطة بالباخرة وبحمل بعضها انواع الزهور و بعضها انواع الفواكه وأخصها الكرز وقد رأينا وقتئذ نوعاً من القرنفل المطبق لم ترعيني مثله قط . ولما دنت كل هذه الزوارق من الباخرة علت أصوات الموسيقى وازداد السرور ثم أخذت الفتيات المغنيات بالرقص في الزوارق حتى أقبل الركاب جميعهم الى شرفات الباخرة يشاهدون هذا المنظر البديع وهم مبهوتون

ولما كانت الباخرة لا تقف ثمة اكثر من ساعتين أو ثلاث ساعات فقد اكتفيت بمشاهدة المدينة من الخارج هذا وقد جرت المعاينة الصحية في الباخرة بكل اعتناء وتدقيق وخرج اكثر ركاب الدرجة الرابعة الى البر لينتقلوا الى باخرة أخرى . ولما

أرخى الليل ستاره أخذت زوارق المغنين والمغنيات و بائعي الزهور والفواكه تنسل واحدة وراء الاخرى راجعة الى حيث أتت واستولى السكون على اطراف الباخرة وظهرت المدينة بحلة بهية تسطع بالانوار فتجتذب اليها الابصار وتعوض النفوس من المسرة عما فاتها في النهار . ولما اتمت الباخرة أخذ القليل من البضائع التي وردتها وانزال مثلها وقصد الركاب غرفهم لاجل النوم أقلعت بنا قاصدة مرسيليا

وفي يوم الاربعاء التالي اصبحنا والجو متلبد بالغيوم والبحر متلاطم بالامواج والباخرة باهتزاز مستمر فلم يتمكن اغلب الركاب من الجلوس على المائدة وقت الظهر . وفي الساعة السادسة بعد الظهر مررنا امام جزيرة (مونت كريستو) التي اتخذها اسكندر دوماس الكاتب المعروف موضوعاً لاحدى قصصه الشهيرة وتركناها على يمينا . ولما كان البحر مستمراً في هياجه اضطر اكثر الركاب للالتجاء الى غرفهم وملازمة سررهم قبل الوقت وقد كنت انا من جملتهم أيضاً

وفي يوم الخميس رؤي البر وأخذت الباخرة تقترب من مرسيليا . وفي منتصف الساعة الرابعة دخلنا مينا (جوليت) في الثغر المذكور . ولما صعدنا الى البر أخذنا حقائبنا الصغيرة وتركنا ماعداها من الصناديق في الجمرك لعزمنا على سرعة السفر على باخرة اخرى ونزلنا في فندق (جنيف) الكائن في شارع (كابنيدر) الشهير الذي يباهي به المرسيليون اهل باريز و يعدونه من اجمل الشوارع واعظمها

يستطيع الانسان ان يكتب كثيراً من الصفحات عن مناظر مرسيليا وموقعها وآثارها ولكن رحلتي هذه خاصة بالحبشة فقط لذا اكتفيت بسرد الاشياء والاحوال التي تستدعي دقة النظر كثيراً

بعد ان استرحت في الفندق بضع دقائق وتركت الحقائب الصغيرة هناك خرجت للبحث عن باخرة تسافر الى جيبوتي أو الى عدن فذهبت لمكتب شركة (بنسولر) الانكليزية فاعلمت انها تقوم في اليوم التالي باخرة قاصدة عدن ولدى سؤالي عن وجود بواخر تسير بين عدن وجيبوتي أجابوني انهم لا يقطعون بالعلم بوجود باخرة

تتردد بين جيبوتي وعدن والاولى الاستعلام عن ذلك من وكالات الشركات البحرية في بورت سعيد . فلذا عزمت على السفر الى بورت سعيد على تلك الباخرة حتى اذا علمت ثمة ان ليس بين عدن وجيبوتي بواخر للسفر امكث في بورت سعيد ريثما تمر منها باخرة قاصدة جيبوتي

وفي يوم الجمعة صباحاً بينما كنت جالساً خارج احدى المنتديات اسرح الطرف في الغادين والرائحين اذ أتى خادم المحل وحل عرى (التنته) وانزلها الى قرب الارض فسألت الخادم عن سبب ذلك فاومأ بيده مشيراً الى الساعة فرفعت نظري اليها فاذا هي السابعة ونصف ففهمت ان العادة في هذا المحل تنزيل (التنته) في هذا الميعاد منعاً لاشعة الشمس على ان الشمس كانت هذا اليوم غائبة ولم يكن من حاجة لتنزيلها وانما هذا الخادم الشبيه بآلة ميكانيكية لم يدرك ذلك وذكرتني هذه الحكاية حكاية مثلها شاهدتها في برلين وذلك اني كنت مرة هناك اتنزه مع بعض رفاقي الضباط فاخذ الجو في التغير فجأة وظهرت علائم المطر فاضطررنا للالتجاء لمنزل أحد رفاقنا وكان قريباً الى المحل الذي كنا فيه وبعد قليل تدفقت السيول حتى حاكت الطرق الانهار وبينا هي كذلك اذ جاء الرجل المكلف من قبل البلدية برش الطريق راكباً على عجلة يجرها حصان فوقف أمام الحنفية الخاصة لملء عجلات الرش ووضع الماسورة وملأ خزانة العجلة بالماء وأخذ يرش الطريق مبتدئاً من المحل الذي كان وصل اليه الرش قبل نزول المطر غير مبال بانهمار المطر عليه وعقب هذا دخل علينا صاحب المنزل فسألناه عما يفعل هذا الرجل القائم برش الشارع مع نزول المطر فاجاب ان الرجل قائم بأداء وظيفته !

وقد كنا نقلنا كل ما معنا من الصناديق والحقائب من الجمرك الى احدى بواخر شركة (بنسولر) التي أقلعت بنا من مرسيليا في الساعة الحادية عشرة صباحاً قاصدة بورت سعيد

كنت عند ما قمنا من الاستانة عجبت من عظم باخرة المساجري التي أقلتنا

الى مرسيليا ولكن لما دخلت سفينة الشركة الانكليزية دهشت لعظمها وظننت نفسي في منزل كبير ذي غرف كثيرة أو اني نازل في فندق قونتيننتال أو فندق پراپالاس

وقد عرفني وكيل الشركة في مرسيليا قبل مغادرة السفينة بمفتش هذه المصلحة المسافر معنا وبكوميسر الباخرة لانهما كانا يتكلمان باللغة الافرنسية وأما غيرهما من مستخدمي الباخرة البالغ عددهم مائتين فلا يعلمون سوى الانكليزية وغريب جداً عدم اقبال الانكليز على اللغة الافرنسية مع ان المسافة بين عاصمة فرنسا و بين عاصمة الانكليز قريبة جداً حتى انه ليستطيع الانسان ان يفطر صباحاً في باريز ويتناول طعام الغذاء وقت الظهر في الساحل الانكليزي والسيجارة اذا ابتدأ المرء بها في البر الفرنسوي قد لا يلقيها من يده الا وهو في البلاد الانكليزية بعد ساعة ونصف ومن كان معنا من المسافرين الفرنساويين كانوا لا يعرفون الانكليزية فكانوا يتبرمون مثلي من جهل القائمين بخدمة الركاب العارفين اللغة الفرنساوية ومن المعروف ان يكون خدام البواخر والفنادق ممن يتكلمون بلغات متعددة لوجود مسافرين من جميع البلاد

أما النظافة في الباخرة والنظام فعلى غاية ما يرام ويبلغ محمولها ٢٠٥٢٧ طونيلاتة وقوة عدتها ١٦٥٠٠ حصاناً وتسع الدرجة الاولى ٤٠٠ راكب والدرجة الثانية ١٨٠ راكباً ولكل من هاتين الدرجتين بهو للطعام على حدة وتسع المائدة اربعمائة راكب في بهو الدرجة الاولى وجميع كراسيها ثابتة ولكن الركاب يتفرقون على موائد صغيرة تسع الواحدة منها عشرة وبين كل كرسي وآخر من الفراغ مايسع كرسياً آخر وسلالم الدرجة الاولى متقابلة من الطرفين كسلالم الفنادق الكبيرة ومفروشة بالطنافس الثمينة ومزينة باجمل الرياش والسقوف عالية حتى ان الانسان لو لم ينظر الى البحر لخيل له انه في قصر مشيد

والغرف التي للطعام والتي لشرب الدخان وللمطالعة على غاية من الزينة ويوجد في الغرف مراوح كهربائية اذا اديرت في الايام الشديدة الحرارة تغير هواء المحل وصار منعشاً

ويجلس الركاب على المائدة اربع مرات في اليوم ويأكلون في كل مرة ما يشتهون ويجد الراكب امامه في كل جلسة ورقة مطبوعة عليها اسماء انواع الطعام الكثيرة

والحجرات التي للاستحمام فيها ما يسر من الرشاشات المتنوعة وظهر هذه السفينة كبير جداً وقد يلعب عليه الركاب بالكرة المسماة (تنس) وكان بين البحارة والخدام كثير من الهنود فالوثنيون منهم يضعون على رؤوسهم قبعات كالافرنج والمسلمون يضعون عمامة طويلة حمراء اللون

وكانت باخرتنا حديثة النشأة وهذه هي المرة الثانية التي جرت فيها في اليم فكانت تقطع ١٦ عقدة في الساعة وعندها مزيد من الاستعداد لسرعة السير

وكنا نعرف المسافة التي تقطعها هذه السفينة لانهم كانوا كل يوم يعلقون فيها خريطة يكتب عليها بخط احمر الطريق التي تسير عليها السفينة والجهة التي تبلغها وقت الظهر مع بيان الطول والعرض واليوم والتاريخ وبهذا كنا نستطيع ان نعرف متى تصل الباخرة الى المحل المقصود ولكل باب من ابواب الحجرات قفل ولكنه من غير مفتاح وأظن ان هذا الحال هو من قبيل الاحتياط أي انه اذا طرأ خطر فجائي على الباخرة فلا يشغل الراكب فتح الباب بل يجد السبيل سريعاً للخروج من الحجرة وقد طلبت من الخادم مفتاحاً لحجرتي فلم يفهم أو اظهر عدم الفهم

وقد تغير النوء في اليوم التالي واشتد الريح ولم تظهر الشمس ذلك اليوم وأصبحنا يوم الاحد والسماء صافية ولم نزل كذلك حتى وصلنا بورت سعيد يوم الثلاثاء الموافق ٢٧ نيسان (ابريل) في الساعة الثانية بعد الظهر ولما نزلت الى البر أخذت أسأل عن السفن التي تسافر من عدن الى جيبوتي فعلمت انه توجد باخرة صغيرة بين هذين الثغرين ولكن لخلل طرأ عليها لا تسير في هذه الايام وانه لا بد للمسافر من ركوب السفن الشراعية للذهاب من عدن الى جيبوتي ولما علمت ذلك عدلت عن السفر الى عدن وأنزلت الامتعة من الباخرة وسلمتها الى مخزن الكمرك الكائن على رصيف

الميناء ونزلت ومن كان معي في فندق البوستة لاني أخبرت أن صاحبه كان صاحب فندق في جيبوتي وأقام هناك مدة طويلة وانما لم أسافر على احدى السفن الشراعية من عدن الى جيبوتي لانها قوارب صغيرة لها أشرعة فليست جديرة ان يعتمد عليها المسافر وقد كنت ركبت واحدة منها من رابغ الى جدة اذ كنت ناظر انشاء السلك البرقي الحجازي ولم أدرك ما هي هذه السفينة التي دخلتها ليلاً الا بعد ان أقلعت بنا و بعدنا عن الساحل ولما طلع النهار أبصرتها فاذا هي ملفقة من ألواح خشبية بغير نظام حتى ان الماء كان يدخلها من كل جانب فيضطر اثنان من البحارة ان يشتغلا برفع الماء على الدوام بالسطول (الجردل) و بينما نحن سائرون عليها اذ تمزق الشراع فلم يوجد عند البحارة ابرة وخيط لخياطة الشراع فاعطيت للجنود الذين كانوا معي ما يلزم لرتق هذا الفتق ولا نكران لمهارة البحارة العرب في فن الملاحة فقد كانت هذه السفينة الشراعية سائرة قرب الساحل مارة من بين الشعوب الكثيرة في تلك الجهات حتى ان الراكب اذا ألقى بصره على سطح البحر يرى انه سائر على شبه غابات وكان الربان في مقدم السفينة منتبهاً يكلم البحار الواقف على دفة القارب بصوت عال يقول له : شمالك ويمينك ويحذره من مصادمة الشعوب وكان يقول : خذحذرك من شعب كذا أو وصلنا الى محل كذا أو مررنا بمحل كذا والبحار الممسك بدفة القارب يدير حركات السفينة التي كانت تسير بالريح بسرعة ثنتي عشرة عقدة

ولذلك تضطر البواخر التي تدنو من سواحل البحر الاحمر لاخذ دليل من العرب خوفاً من المصادمات والبواخر التي لا تأخذ أدلاء تضل السبيل فتغرق أما زوارق العرب الصغيرة فهي لوح خشبي طويل وسطه المحفور لا يسع سوى شخص واحد فقط فيركبها العربي الساحلي في النهار فيذهب للصيد عليها في البحر وعند ما يرجع في المساء يحملها على كتفه كعامود صغير و يأتي بها الى كوخه الحقير واذا حصل نوء وهو عليها في البحر يقلبها على وجهها و يركب عليها كما يركب على حصان ولا يوجد في داخل هذا الزورق شيء سوى مجذاف صغير جداً وليس على الرجل من الملابس سوى فوطة في وسطه



الميرالاي الموسيو جيران قائد البارجة الافرنسية , لا فودر)

يوم السبت ١ مايس (مايو)

السفر على البارجة المسماة (لافودر) — اكرام القائد والضباط لنا — وصف البارجة — ذكرى طريق الحجاز — السمك الطيار — الحر في البحر الاحمر

في الساعة الثامنة من صباح هـذا اليوم أرسل قائد البارجة قاربًا بخاريًا فاخذ أمتعتنا الى البارجة وفي الساعة الحادية عشرة أرسل زورقًا بخاريًا آخر فركبناه وركب معنا الموسيو يوسف خوري ليشيعنا الى البارجة فلما وصلناها استقبلنا حضرة قائدها وضباطه من السلالم بكل تجلة واكرام و بعد مصافحة الضباط أوصلني الميرالاي الى المحل المخصص لاقامتي كما ان أحد الضباط أوصل طالب بك الى حجرته وخصص حجرة أخرى لياسين افندي

والمحل الذي عين لاقامتي فيـه اكبر بهو في البارجة وغرفة للطعام خارج هذا البهو وأخرى للنوم وحمام وقد أقام القائد امام دائرتي واحدًا من الجنود البحارة للخدمة و بعد ان غيرت ملابسي صعدت على ظهر البارجة

وهـذه البارجة تسمى (لا فودر) أي الصاعقة ومحمولها ستة آلاف طونيلاته وقوة عددها ١١٥٠٠ حصان وطولها ١١٨ مترًا وعرضها ١٦ مترًا وهي غاية في الزينة والنظافة والمدافع والبنادق الموجودة فيها تخطف الابصار من شـدة اللمعان وفيها ورشة جسيمة كاملة العدد لاصـلاح ما يلزم لها وسرعتها ١٦ عقدة في الساعة ويمكن ان تسير ١٩ عقدة في الساعة وهي مسلحة بستة عشر مدفعًا وعدد بحارتها أربعمائة وهي مقلة الى الهند الصينية طوربيلين كبيرين وأربعة طرابيل من الجنس الصغير

سافرنا من بورسعيد في منتصف النهار بالقوة المعينة لسير السفن في القنال أي بمعدل خمس عقد في الساعة وكنا نرى عن شمالنا كثيرًا من الملاحات وعن يميننا

السكة الحديدية الممتدة الى السويس والترعة الحلوة المتفرعة من النيل

وكنا كلما صادفنا في طريقنا باخرة نقف نحن حتى تمر الباخرة أو تقف هي حتى تمر بارجتنا وقرب المساء رأينا بارجة هولاندية ذاهبة الى البحر الابيض المتوسط فلما قربت منا أخذت موسيقتها تعزف بالنشيد الفرنسوي سلاماً وتحية للبارجة الفرنسوية

والسفن التي تمر من القنال تستأجر من الشركة مصابيح كهربائية جسيمة شديدة النور والضياء جداً تعقلها على مقدمها لرؤية طريقها الى مسافة كبيرة فيجعل الليل نهاراً

ويوم الاحد وصلنا الى السويس ورست البارجة بضع دقائق ريثما أخذت الوقادين المستأجرين ليقوموا بايقاد النار في مواقد البارجة لان الوقادين الاوربيين لا يتحملون شدة الحرارة في البحر المحيط الهندي والبحر الاحمر لذا تستخدم البواخر المسافرة لهاتيك الجهات الوقادين الوطنيين

البارحة كنا نسرح الطرف على سواحل القنال واليوم نرى عن جانبينا سواحل خليج السويس ونشاهد جباله وهضابه وفي الليل خرجنا من خليج السويس ودخلنا في البحر الاحمر واذ ذاك أخذت الحرارة تزداد زيادة مستمرة فاضطررت ان انزع ما علي من اكسية الصوف وان ألبس الاكسية البيضاء كما فعل ضباط البارجة

انه لا يسوغ لي ان أشكو من المدة التي قضيتها في باخرتي المساجري والبنسولر لكن « والحق يقال » كنت أعظم انشراحاً في سفري على هذه البارجة لشغف الفرنسويين باكرام ضيوفهم اكراماً فوق العادة فقد كنت أرى جميع الموجودين بالبارجة من القائد الى الجندي لا يضيعون فرصة لجلب سرورنا وكنا نشاهد كل يوم التمرينات الحربية البحرية والرياضية التي كان يقوم بها البحارة فينقضي الوقت من غير ان نعلم

ولما دخلنا البحر الاحمر أخذت الحرارة تتزايد كلما قطعنا مسافة الى الجنوب وكانت الريح على عادة البحر الاحمر تهب على الدوام من الشمال الى الجنوب فلا تعدل الحرارة وانما كانت تساعد على سرعة البارجة

وكانت المراوح الكهربائية تجدد هواء البهو وتجعله دائماً طرياً الا حجرات

وتركناهما عن يسارنا وفي الساعة التاسعة وصلنا الى أمام فنار زبير ودلّ ذلك على اننا اقتربنا كثيراً من البحر المحيط الهندي وكان الجو في هذه الليلة حاراً رطباً فجعل العرق يسيل من أعضائنا ولم تغننا المراوح الموجودة في أيدينا شيئاً . وقضيت معظم تلك الليلة على ظهر البارجة مستلقياً على كرسي من الكتان مفكراً في حالة الطقس في جيبوتي وحرارتها الشديدة

صعدنا لعند جناب الموسيو بونهور والي الصومال الفرنسوي فوجدناه غاية في الرقة واللطف والانسانية وقد اكرمنا غاية الاكرام وقدم لنا على عادة تلك البلاد القهوة بجامات كبيرة . وقد كنت شربت القهوة المثلجة في اسفاري في صحراء افريقيا والقطر الحجازي فوجدتها احسن شيء لتسكين سورة الحرارة

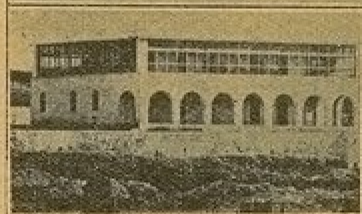
و بعد خروجنا من عند الوالي ذهبنا لعند آتو يوسف قنصل جلالة منليك نجاشي الحبشة في جيبوتي وقد كنت عرفته لما وفد على الاستانة وكان رئيساً لذلك الوفد الاول المرسل من قبل جلالة النجاشي . وعقب وصولنا ارسل الوالي بالتلغراف يبلغ وصولنا الى جيبوتي الى القناصل الموجودين في هرر والى السفير الفرنسوي المقيم في آديس آبابا عاصمة الحبشة كما ان آتو يوسف عرف جلالة النجاشي وصولنا

نزلنا في الثغر المذكور بفندق (ده زاركاد) وهو النزل الوحيد هناك وصاحبه رجل فرنسوي ومنذ خرجنا الى البر أخذ الاهالي وكلهم من المسلمين يفدون علينا افواجاً مرحبين بنا بعبارات الاحترام والتعظيم ولم يكتفوا بذلك بل انتظرونا بينما كنا عند الوالي وآتو يوسف خارج المحل وعند ما خرجنا رافقونا مهللين مكبرين واستمروا كذلك كلما نخرج يرافقوننا من محل الى آخر وينتهزون كل فرصة لاظهار سرورهم العظيم من ورودنا لثغرهم فاذا طلبنا مركبة يجري العشرات منهم لاحضارها واذا سألناهم الطريق يقدم مئات انفسهم للقيام بخدمتنا وما كنا نحتاج لهم لان الوالي كان عقب وصولنا عين سكرتيره ليكون (مهمانداراً) لنا مدة اقامتنا في جيبوتي ولكن اعتذرت عن ذلك شاكراً انسانيته واكتفيت بجنود الشرطة الذين خصصهم لخدمتنا

و بعد قليل من وصولنا الفندق تكاكأ المسلمون على بعضهم في الزحمة الكائنة أمام الفندق وأخذ يزداد عددهم كثيراً فكانوا لا يقنعون برؤية الوفد المرسل من قبل خليفة الاسلام مرة واحدة بل كانوا يريدون ان يروه كثيراً على قدر استطاعتهم • واستمر الزحام على هذا المنوال أمام المنزل الى ما بعد العشاء

واضطرنا الحر الى استعمال الثلج كثيراً فكنت ترى البعض منا يجتهد لتسكين حرارته بالقهوة المثلجة والآخر بالكازوزة والثالث بالليموناده . و بعد تناول طعام العشاء خرجنا الى الشرفة المحيطة بالفندق من كل جوانبه والقينا بنفسنا على الاسرة الموضوعة هناك من غير غطاء اذ يستحيل على الانسان ان ينام في الحجرات من شدة الحر . وقد اعتاد سكان البلاد الحارة أن يناموا في العراء ليلاً حتى اني كثيراً ما نمت في بيره جك واورفه وديار بكر والحجاز في العراء لا يظلني شيء سوى السماء . ووجدت النوم في العراء في المدينة المنورة احسن جداً منه في باقي البلاد المذكورة لان سطوح المنازل في تلك البلاد مكشوفة فالنائمون يرى بعضهم بعضاً وأما منازل المدينة المنورة فان سطوحها في الدور الثاني غرف بجدران عالية ولكنها لا سقف لها فيصعد الانسان بالسلم الواصل من الاسفل الى شبه دهليز بالسطح ومنه تتفرع الحجرات التي ليس لها سقوف كتفرع الحجرات الموجودة في الدور الكائن تحته . ولا يفتحون الشبابيك في الحيطان الفاصلة بين حجرة واخرى وانما يجعلون كوى شطرنجية الشكل في حيطان الدائرة الكبرى لتخلل الهواء مطلة على الخارج محافظة للتستر غير مانعة للهواء . وعند المساء يصعد السقاؤون فيرشون ارض السقف بالماء و يفرشون المراتب على اسرة مصنوعة من خوص النخل على غاية من البساطة والنظافة وعند النوم يذهب كل الى محل نومه . والناس في المدينة حتى الفقراء ينامون على الاسرّة لرخص ثمنها اذ لا يجاوز ثمن الجيد منها ريالاً مجيدياً . ويضعون في كل محل قلالاً متعددة لشرب الماء لان الانسان في تلك البلاد لا يستغنى عن شرب الماء كثيراً في الليل كالنهار . وهبوب الهواء الحار يبرد تلك القلال و يجعل الماء فيه كأنه مثلج واما آنية النحاس فلا تبرد فيها المياه بل تبقى كماء الحمامات . واذا انقطع الهواء الحار وظهرت الغيوم في الجو تسخن المياه في القلال وتصير غير قابلة للشرب فالانسان يشاهد هناك التطبيقات الطبيعية الواردة في مبحث التبخر في الحكمة الطبيعية . ان الحديث ذو شجون فذكر تلك البلدة الطيبة المباركة من حيث هواؤها وذلك بمناسبة هواء





جيبوتي . ساحل الصومال الفرنساوي

ويقيم بينهم واني أورد لك مثالاً على كرم هؤلاء الناس في القصة الآتية :

كان لأحد عرب البادية ناقة سريعة السير جميلة المنظر جداً فاتفق يوماً ان قصد الرجل عاصمة بلاده لغرض له فرأى احد اعيان تلك المدينة الناقة فاراد شراءها بمبلغ يزيد عن ثمنها الاصلي اضعافاً ولكن العربي ابى ان يبيع ناقته لشدة حبه لها وتمسكه بها وانصرف الى باديته . وأما الذي رغب في ابتياع الناقة فانه تولع بها وعزم على أخذها مهما كلفه الحال وتوسل لبعض اعيان بلده بالذهاب الى البادية وان يطمعوا البدوي بكثرة الدراهم وزودهم بالدنانير فذهبوا للبادية وسألوا عن بيت الرجل ونزلوا ضيفاً عليه دون ان يعرف سبب مجيئهم وما يريدون منه فاخذفي اكرامهم حسب العادة ولما آن اوان الاكل وجلسوا على المائدة وضع البدوي امامهم قصعة كبيرة من ثريد اللحم فأكلوا وبعد ان شربوا القهوة فاتحوا البدوي بمسئلة الناقة فقال لهم :

— لماذا لم تخبروني عن ذلك حين وصولكم الى هنا فان اللحم الذي اكلتموه مع الثريد هو لحم الناقة التي ذبحتها اكراماً لكم ولو أعلم ذلك لما كنت ذبحتها

فاستغرب الجماعة من هذا الامر واستولى عليهم البهت والحيرة ويحق لهم ذلك ومن ذا الذي لا يعجب من كرم رجل فقير لا يملك سوى ناقة يطلبها أحد اعيان الحضر الذي ربما نفعه يوماً بكثرة ماله وبعظم جاهه بثمن كبير اضعاف ثمنها الحقيقي فلا يفعل ثم لما لم يكن عنده سواها نحرها لاكرام ضيوف لا يعرفهم أداء لواجب الاكرام والضيافة وتمسكاً بالعادات البدوية

يقال ان الكلام يجر الكلام فاننا بينما كنا نتكلم على النوم في شرفة المنزل في جيبوتي اذ ذهب بنا الحديث الى النوم على سطوح منازل المدينة المنورة ومنها انتقلنا الى العربان وكرمهم واحوال ضيافتهم في البادية . ولنعد الآن الى البر الافريقي من البحر الاحمر ونرضى بالرغم عنا بالنوم على شرفة فندق (ده زاركاد)

بسيط وعلى هذا القميص وشاح(صديري) ونصفه الاسفل مستور بقطعة من القماش (فوطه) ولا يلبس حذاء في رجله ولا يضع قبعة او طربوشاً او ماشابه ذلك على رأسه والحاصل انه يكاد يكون نصف عريان والبعض منهم يلبس على رأسه طاقية حمراء وكل هؤلاء الخدام هم من الوطنيين وأعمارهم تتراوح بين السادسة عشرة والخامسة عشرة وهم على جانب عظيم من الذكاء ولهم مهارة تامة في أداء خدمتهم

هذا وقد غاب الخادم قليلاً ثم جاء ومعه الزائرون وكان عددهم ثمانية وهم رؤساء قبيلتي عبسا ودانجالي . وهم سمر الوجوه لون البعض منهم يميل للجوزي وكلهم طوال القامة متناسبو الاعضاء تجللهم سمات الوقار والمهابة ويلبس البعض قميصاً طويلاً وعلى رأسه طاقية والبعض ليس عليه سوى (فوطة) وهو مكشوف الرأس . وشعرهم الكث فوق رؤوسهم يشبه العمامة المدورة الكبيرة يضعون في خلاله سهماً طويلاً مصنوعاً من أغصان الاشجار مثل (الدبوس) الذي يربط به السيدات الغربيات قبعاتهن على شعورهن . ويستعملون هذا السهم لحك جلد رؤوسهم عند اللزوم لانه لا يمكن وصول اصابعهم لجلد رؤوسهم بسبب كثافة الشعر . وكان بعضهم وهم الذين كانوا يترددون على الحجاز يتكلم اللغة العربية جيداً والباقون لا يعرفون منها الا قليلاً

وبعد المصافحة والسلام اخذوا يدعون وهم وقوف على الاقدام للحضرة العلية السلطانية وأبلغوني أنه سيصل مساء وفود من طرف القبائل القريبة من جيبوتي للتسليم على الوفد السلطاني . ثم جلسوا فصاروا يسألون عن احوال الاستانة مستفسرين عن عدد سكانها وعن مساجدها الجامعة والمحلات المباركة فيها وعن الوجهة التي أقصدها وسبب سفري اليها

وكسوة هؤلاء الرؤساء بسيطة جداً والبعض منهم حافي القدمين والبعض يلبس في رجله نعلاً مثل النعال الحجازية . ومع كل ذلك ترى الانسان يشعر بهيبتهم ووقارهم حال رؤيته لهم . وسمات الشجاعة والبسالة الظاهرة على وجوههم تجعل كلاً منهم شبه

تمثال للحرب والكفاح صنع من (البرونز)

بينما كنا نتجاذب أطراف الحديث اذ جاء الموسيو بونهور والي الصومال الفرنسوية لرد الزيارة ومعه حاشيته والكل مرتدون أرديتهم الرسمية وكان يمشي امام مركبة الوالي فارسان من جنود الشرطة . فلما رأى الوالي الموما اليه رؤساء القبائل الصومالية هش في وجوههم وصافحهم جميعاً يداً بيد وسأل عن احوالهم وصحتهم . ولم يمض قليل من وصول الوالي حتى جاء ايضاً (آتو يوسف) قنصل الحبشة في جيبوتي . و بعد ان مكث الوالي برهة استأذن بالذهاب مذكراً اياي بالاجتماع عنده في دار الحكومة مساء لحضور المأدبة التي أعدها اكراماً للوفد السلطاني وقد كان الوالي دعاني ومن كان معي لهذه المأدبة يوم وصولنا الى جيبوتي

و بعد ذهاب الوالي ورؤساء القبائل جاءني زائران سوريان هما اسكندر افندي غالب و بشاره افندي غالب وقد كانا جاءا بالامس الى الفندق عقب وصولنا وحصل بيننا التعارف بواسطة آتو يوسف

وهذان الشابان هما من قرية بيت شباب من اعمال لبنان وكان عمر أحدهما حوالي الثلاثين والثاني يقرب من الثامنة والعشرين وقد اتما دروسهما في مدارس بيروت ثم اشتغلا بالتجارة في كثير من انحاء افريقيا وعلى الاخص في داهومي ثم استقرا قبل بضع سنوات في جيبوتي وأخذت تجارتهما تمتد وتنمو حتى دخلا في عداد التجار المشهورين هناك ونالا ثقة جلالة النجاشي منليك واكتسبا الصيت الحسن والشهرة الطيبة وعرفا بالامانة اللازمة جداً للتجار . و بواسطة هذه الخصال الحميدة والمزايا الحسنة ربحا كثيراً من الاموال حتى صارا من الاغنياء . وقد تسر حالة هذين الهمامين كل سوري عثماني ونود من صميم أفئدتنا ان يكونا قدوة لسائر شباننا السالكين مسالك التجارة . وقد اكرمانا غاية الاكرام وعرضا أنفسهما لخدمة الوفد وان يقوما بكل ما يلزم لنا فشكرت معروفهما ووقفت منهما على ما اريد الوقوف عليه من أحوال البلاد وهما بها خبيران لا سيما فيما يختص بثغر جيبوتي وعمرانها وقد جُلت المدينة متفرجاً

وطفت على احيائها بدلالة احدهما اسكندر افندي

ولما رجعت من مشاهدة المدينة وجدت ان ميعاد الذهاب الى المأدبة الرسمية لم يحن بعد فانتهزت هذه الفرصة لكتابة ما جمعته من الاخبار بشأن هذه البلاد وهذا هو :

كانت الحكومة الفرنسوية اشترت سنة ١٨٦٣ ميلادية المحل المسمى (اوبوك) الكائن خارج مضيق باب المندب والواقع شمالي خليج تاجورا من الرؤساء المحليين واتخذت المحل المذكور محطة للزاد والذخائر والفحم اللازم للسفن الحربية الذاهبة الى الشرق الاقصى أثناء حرب الصين سنة ١٨٨٣ وألفت هناك حكومة للضبط والربط وقد ظهرت فائدة هذا المحل أثناء الحرب المذكورة وأخذت أهميته تزداد حتى أضحى ثغراً مهماً لجميع البواخر الذاهبة الى الهندالصينية والآتية منها . ولكن نقص عمق المياه هناك كان يضطر السفن أن ترسو على مسافة بعيدة جداً عن الساحل وفي هذا من الصعوبة في أخذ الذخائر وما يلزم للسفن ما فيه كما ان وجود جبال شاهقة صعبة المرور بين هذه المحطة والبلاد الداخلية كانت تعيق حركة التجارة على الداخل والخارج لذلك كله أخذت الحكومة الفرنسوية تبحث عن محل آخر اكثر ملاءمة وموافقة من اوبوك . فاكتشف والي الصومال الفرنسوي حينذاك الموسيو لاغارد (سفير فرنسا في عاصمة الحبشة الآن) موقع جيبوتي الحالية الكائنة امام (اوبوك) بواسطة بعض البحارة الوطنيين . وقد وجدوا أن مياه ساحل جيبوتي اعمق من مياه الاولى (اوبوك) وان ميناءها صالحة لالتجاء السفن اليها عند الحاجة ولذلك تقرر نقل الثغر الى هنا وبوشر في سنة ١٨٨٨ ميلادية بتشييد ما يلزم من الارصفة والابنية على هذه الارض القاحلة الخالية من كل شيء ولم تمض مدة حتى أنشئت هناك بلدة بتشويق الحكومة الفرنسوية وتنشيطها للناس وبهمة التجار وأخذت تكبر شيئاً فشيئاً حتى أصبحت اليوم مرسى تجارياً مهماً ومما زاد في اهمية الثغر المذكور الطريق المتفرع منه الذاهب الى (هرر) التابعة للمملكة الحبشية ومنها الى (آديس آبابا) وهو الطريق

الذي تسلكه القوافل التجارية في ذهابها الى داخل الحبشة وفي ايابها منها

وكان الموسيو ايلج السويسري المستخدم منذ زمن بعيد عند النجاشي منليك نال من جلالته امتيازاً بمد سكة حديدية في البلاد الحبشية تنتهي في جيبوتي لمدة ٩٩ سنة وعقد شركة مع الموسيو شفنو المقيم في الحبشة منذ مدة مديدة الواقف على الاحوال التجارية في الحبشة المطلع على كيفية تأليف الشركات . فذهب المسيو شفنو الى فرنسا وحصل بواسطة نظارة المستعمرات على امتياز مد خط حديدي طوله ٩٠ كيلومتراً من المحل المسمى (عالي صبح) الكائن على حدود الصومال الفرنساوية الى جيبوتي وبوشر بأعمال مد الخط سنة ١٨٩٦ بعد ان عانى في الاعمال الابتدائية اي التخطيط غاية الصعوبة واخذت بعد ذلك جيبوتي تتعاظم وتتزايد فعدل التجار الوافدون عليها عن السكنى في الاكواخ الأرضية وأنشأوا يشيدون الأبنية الحجرية وتألفت شركة فرنساوية لتشييد المنازل لتأجيرها للأهالي والسكان واعطيت الاراضي اللازمة لبناء المخازن والحوانيت والمنازل مجاناً لمن يريد حتى ان بعض الصوماليين الوطنيين قلدوا الاوروبيين والتجار المسلمين فبنوا بيوتاً من الآجر وهجروا اكواخهم المصنوعة من البوص والقش

ويمتلك التجار المسلمون الوافدون على جيبوتي من اليمن وحضرموت كثيراً من الارض والعقار وأشهر وجهاء الاهالي الوطنيين المسلمين رجل يسمى (الحاج ديده آيده لا) وقد حضر لزيارتي مع سائر التجار المسلمين وهو رجل في السبعين من عمره ولكنه لا يزال متمتعاً بصحة تامة وقوة جسم عظيمة وله واحد وار بعون ولداً ذكراً من أربع زوجات ولذا كان مغبوطاً لدى جميع اقرانه

تأخذ المدينة المياه اللازمة لها من آبار حفرتها شركة على مجرى سيل يبعد سبعة كيلو مترات عن جيبوتي وذلك بان ترفع الماء بواسطة آلات بخارية الى احواض مرتفعة ومنها يوزع على المدينة بأقنية (مواسير) من حديد وكان انتهاء حفر الآبار ووضع الأقنية وتوزيع المياه منذ اربع سنين

وقد أعطت الحكومة بعض الاراضي الكائنة في المحل المسمى (صحبولي) الواقعة على السيل المذكور لبعض العرب الوافدين من الخارج مجاناً فحفروا الآبار في حقولهم وغرسوا البساتين والجنات وصاروا يزرعون الطماطم والخيار والباذنجان والرجلة (البقله) والقرع والبطيخ والشمام (البطيخ الاصفر) فزاحموا بذلك بساتين الصفائح (لان الاهالي الوطنيين يسمون علب الصفائح الواردة من اوروبا المحفوظ فيها الخضار والأثمار والبقول بساتين الصفائح)

تنقسم مدينة جيبوتي الى أربعة أقسام : فالاول يسمى حي المرابط (Marabout) نسبة الى رجل مبارك يسمى شيخ سراج كان أقام في هذا القسم ودفن بعد وفاته هناك وفي هذا الحي محل توكيل شركة مساجري ماريتيم الفرنساوية ومخازن الفحم ومخازن الآلات والادوات وورشة التعمير والتصليح وقد رأيت هنا كثيراً من الفحم الذي اشترته الحكومة الروسية وأعدته لأسطول البلطيك الذي عزمت الحكومة الروسية على ارساله الى الشرق الاقصى وقد بوشر بتشييد رصيف في هذا القسم طوله ٥٠٠ متر داخل في البحر لترسو البواخر عليه

والقسم الثاني اسمه حي مسيطح الحية (Plateau du serpent) ويوجد في هذا القسم محطة السكة الحديد وجميع المباني الخاصة بها ودير رهبان وراهبات الفرنسيسكانيين والمستشفى البلدي وسائر المباني الفخيمة

والقسم الثالث هو حي جيبوتي وقد كان بوشر بتأسيس المدينة من هذا القسم ويوجد بهذا الحي دائرة الحكومة والجمارك ومحل الشرطة ومخازن التجار الاوروبيين والعرب ومكاتبهم وسائر الابنية ذات البال مثل الفنادق وغيرها ويتصل هذا القسم بحي مسيطح الحية بشارع منتظم عريض طوله كيلومتر واحد وفي وسط هذا الشارع توجد دوائر الحكومة مثل ديوان الاشغال والبوستة والحقانية ويتنزه سكان جيبوتي في الشارع المذكور

أما القسم الرابع فهو حي الصوماليين الوطنيين ومنازل هذا الحي عبارة عن

اكواخ من البوص والاغصان و (العليق) ولكن شوارعه مستقيمة ومستوية وقد كانت الحكومة صرحت قبلاً ببناء اكواخ في هذا القسم والآن منعت بناء الاكواخ واذا انهدم كوخ فان صاحبه مضطر ان يشيد بدله بناء من الحجر

يوجد في جيبوتي مسجدان واسعان انشأ الواحد الحاج (ديده آيده لا) الصومالي المار ذكره والثاني أنشأه المرحوم السيد حسن الباز المصوعي وقد زرت هذين المسجدين فوجدت الائمة يعلمون الصبيان القرآن الكريم

وقد كان سكان جيبوتي تزايدوا جداً في أثناء مد الخط الحديدي حتى بلغ عددهم سنة ١٩٠٠ عشرين ألفاً ولكن لما وقف العمل في (ده ريدوا) سافر المهندسون والمتعهدون والعمال والفعلة الى بلادهم وانصرف البايعون الذين كانوا يتكسبون من بيع بضائعهم وسلعهم لهؤلاء العمال وأصحاب الفنادق والآن يبلغ عدد سكان المدينة المذكورة ثمانية آلاف بما فيها العرب والصوماليون والفرنساويون

يوجد وراء خليج (ناجورا) ملاحة غنية بملحها تسمى بحيرة عسب او عسال بينها وبين الساحل ثلاثون كيلومتراً وهي واقعة في محل شديد الحر كثير الحيات لهذا كانت الاستفادة منها في الحال الحاضر قليلة جداً

وقد رأيت ترغيباً للتجار العثمانيين ان أدرج هنا ما علمته من احوال جيبوتي التجارية والبواخر التي تمر عليها فأقول :

يمر على جيبوتي كل شهر ست بواخر من شركة (مساجري ماريتيم) الثلاث منها في الذهاب من بورت سعيد الى الجنوب والثلاث الاخر في الاياب الى الشمال فاثنتان من الآتيات من الجنوب الى الشمال تنتسبان الى خط ماداغسقار والواحدة تنتسب لخط الهند الصينية ويمر على الثغر المذكور باخرة من شركة الناسيونال مرة فقط وهي ذاهبة الى الهند الصينية كما ان للشركة (هاوره زينسولر) الفرنسوية باخرة تمر بثغر جيبوتي كل شهر مرة في الذهاب الى ماداغسقار وجزائر (ره اونيون) ومرة في الاياب منهما ولشركة انكليزية باخرة تمر عليها في الشهر مرة واحدة وهي ذاهبة

من بلاد الانكليز الى الخليج الفارسي والى البصرة وعدا ذلك يوجد باخرة روسية تقوم من اودسا كل شهرين مرة قاصدة البصرة ومارة بثغور الاستانة وازمير و بيروت ويافا و بورت سعيد وجيبوتي والبصرة وتعود الى اودسا مارة بهذه الثغور المذكورة فليلتفت تجار ازمير وسورية لهذه الباخرة التي يمكنهم ان يستفيدوا منها كثيراً وهذه البواخر متقنة تسافر وتعود في مواقيت معلومة ولا يدخل في هذا الحساب البواخر الظهورات التي تنقل الفحم الى مخازن شركة المساجري مارتيم وشركة أفريقيا الشرقية وغيرهما من الشركات و يوجد باخرة فرنسوية صغيرة محمولها ٣٠٠ طونيلاطة تنقل الركاب والبوستة والبضائع بين جيبوتي وعدن ولكنها كانت عند وصولي الى جيبوتي أخذت لورشة التصليح والترميم

ويأتي الى جيبوتي جميع انواع البضائع لبيعها في داخل البلاد وا كثر ما يباع للقبائل الصوماليين والدانفالين هو الارز الهندي والذرة والتنباك والذرة البيضاء الواردة من البلاد العربية والبفتة البيضاء وسائر الاقمشة الواردة من انكلترا . ويأتي بكثرة من امريكا نوع من البفتة يسمونه في البلاد الحبشية وفي ساحل الصومال ابو جديد و يباع منه مقادير كثيرة وا كثر البضائع التي ترسل من الساحل الى داخل الحبشة هي انواع الاقمشة القطنية والحريرية والاجواخ والآلات والادوات الحديدية والبسط العجمية وتقليدها والبسط الاوروبية وانواع الاسلحة النارية والاشياء المصنوعة من الفضة والنحاس . واما ما يرد من البلاد العثمانية فالستائر والطنافس المشغولة خاصة بالاستانة وعطر الورد يرد منها والاقمشة الحريرية المسماة بالقطني المصنوعة من الحرير والقطن معاً وسائر الاقمشة القطنية ترد من سورية . والبن والملح وانواع الحبوب والحصر ترد من اليمن . و يبيع التجار سلعهم هذه و يشترون بضائع مختلفة محلية وترد البضائع على الساحل الصومالي بواسطة السفن الشراعية . و يبلغ عدد هذه السفن التي تمخر بين ساحل اليمن و بين جيبوتي من جهة و بين عدن وزيلع وجيبوتي و بربره من جهة اخرى ا كثر من مائة وكلها مستظلة بالراية العثمانية

أما البضائع التي ترد من الحبشة بطريق (هرر) فانها من الحاصلات الطبيعية مثل بن (نعا) وسن الفيل (العاج) والذهب الاصفر (التبر) ؟ والشمع العسلي و (القاقوله) ومن الحيوانات الاهلية مثل العجول والغنم والمعز وغيرها من الماشية وقليل من جلود الحيوانات الوحشية والزباد المستخرج من قط المسك ويسميه الافرنج (Sivete)

والقالاليون يستخرجون التبر بتصفية رمال الانهار والغدران ويرسلون منه في السنة الى جيبوتي ما تحزر قيمته بمليوني فرنك وأما الزباد فانه يباع الكيلومنه بثلاثماية فرنك ويوجد في جيبوتي اكثر من مايتين من رعايا العثمانيين مثل السوريين واليمانيين والحجازيين والارمن فالبعض منهم يشتغل بالتجارة والبعض اصحاب دكاكين صغيرة ولبعضهم علاقات بمدينة (هرر) فيترددون اليها كثيراً

وما انتهيت من كتابة هذه السطور الا وقد مضى الزمن وآن وقت العصر وأنا اكثر من شرب القهوة الباردة المثلجة من شدة الحر ومناخ جيبوتي في غاية الحرارة وشمسها محرقة جداً واذا وقف الابيض مدة عشر دقائق في الشمس من غير مظلة يموت حالاً من ضربتها والموت بضربة الشمس هناك يعد من الحوادث المألوفة

وفي الساعة العاشرة على الحساب الشرقي سمعت أنغاماً وأصواتاً آتية من بعيد وبينما أنا اتفكر في ما عسى ان يكون ذلك اذ أخبرت بورود وفد قبائل عبسسا فخرجت الى شرفة الفندق فرأيت جمهوراً من الناس نحواً من خمسمائة ذوي ألوان نحاسية كبيري الاجسام متناسبي الاعضاء مسلحين بالحراب والهراوات وكانت أنصاف أجسامهم العليا عارية من اللباس وكانوا وهم مقبلون علينا يهللون ويكبرون مرة وينشدون الاناشيد الحربية مرة أخرى وجماهير الناس تمشي معهم محتاطين بهم للتفرج عليهم وبعد أن وصلوا أمام الفندق اخذوا يسلمون علينا بلسانهم ولما انتهوا من السلام تحلقوا وصاروا يغنون ويرقصون والبعض منهم كانوا يتبارزون داخل تلك

الحلقة ويمثلون حروبهم بأصوات خشنة مدهشة وبأوضاع خفيفة وسرعة عجيبة مما يدل على انهم أقوام حربيون أولو بأس شديد وميل للحرب والطعان وبعد ذهاب هذا الوفد اتى وفد الدانغاليين وبعدهم وصلت وفود العرب الوطنيين بطبولهم وزمورهم ثم انصرف الجميع شاكرين لما انوه منا من الاكرام وكانت قد دنت الساعة الثامنة على الحساب الافرنجي فارتديت الكسوة الرسمية البيضاء وذهبت أنا ورفيقي الى دار الحكومة لحضور المأدبة التي دعينا اليها

ولما وصلنا الى دار الحكومة وجدنا كوكبة من جنود الشرطة واقفة أمام المدخل لأداء التحية ويكتسي هؤلاء الجنود جاكت وبانطلون قصير الى الركب مصنوع من قماش أبيض وعلى رأسهم طربوش عليه نجمة وهم عراة الافخاذ حفاة الاقدام لان الوطنيين هنا يمكن ان يتعودوا لبس الثياب ولكن لا يمكن تعويدهم الاحتذاء لانهم يجدون السير من غير حذاء أسهل عليهم

وقد استقبلنا الوالي بكل احترام وتعظيم واوصلنا الى الشرفة الواقعة باتصال بهو الاستقبال وبعد ذلك اخذ المدعوّون يفدون فيجتمعون في تلك الشرفة وكان كلما دخل شخص يعرفنا الوالي به وبزوجه . وكانت ابواب دار الحكومة ودهاليزها وبهواتها مزينة جداً بالفوانيس الجميلة المختلفة الالوان والاعلام وبالزهور الطبيعية والصناعية وكان العلم العثماني يزين باب البهو الكبير بازائه العلم الفرنسوي . ولما آن وقت الطعام جلسنا على المائدة التي كانت مزينة جداً ومرتبة احسن ترتيب . ولما جلسنا أخذت المراوح الكبيرة المسماة (بانكار) تروح لتعديل الحرارة وتلطيفها . وهذه المراوح معلقة بالسقف على طول المائدة وتتصل بواسطة الحبال واللوالب بالخارج حيث يوجد الخدمة الذين يشدون تلك الحبال أخذاً ورداً فتتحرك المروحة وبذلك يحصل في الغرفة هواء لطيف ولولا هذه المروحة لكان الاكل من رابع المستحيلات من شدة الحر . ويوجد من المراوح المذكورة في اكثر المنازل والمخازن لان البيض لا يقدرون على تحمل حر تلك البلاد

وقد كانوا ألبسوا رؤوس الكرات المصنوعة من البلّور الموضوعة على الشموع بنوع من الغطاء مصنوع من المعدن حتى لا تنطفئ الشموع من الريح أثناء الطعام وقيل لي ان هذه الاغطية تعمل في الهند لاجل ذلك خاصة

أما طعامنا فانه كان من السمك ولحم الخرفان والعجول والطيور والخضار والحلويات وغيرها وقد علمت أن السمك في جيبوتي كثير ومتنوع جداً وانما لم أجد الطعم اللذيذ الموجود بأسماك الاستانة

ولما انتهى الطعام انتصب الوالي قائماً وخطب ودعا للحضرة العلية السلطانية وشرب نخب جلالته وهتف الحضور بالدعاء . و بعد ذلك قمت وخطبت خطبةً وجيزةً جواباً عن خطبة الوالي بما يناسب المكان . ثم قمنا عن المائدة وجلسنا بالشرفة حيث أديرت على المدعوين اطباق المرطبات والحلويات المثلجة والدخان والقهوة وانصرفنا بعد ذلك جميعاً شاكرين لطف الوالي وانسانيته

يوم السبت ٨ مايس (مايو) القيام من جيبوتي

القيام من جيبوتي — وصف الممر — الحديث مع الصوماليين في المحطات — اكواخ الصوماليين — اخلاص الصوماليين للحضرة السلطانية — الهباب بدل الصابون — مسواك نمل السجاير — الوصول الى حدود الحبشة

توجهنا صباح هذا اليوم في منتصف الساعة الخامسة الى المحطة ووجدنا هناك عدداً كبيراً جاءوا لوداعنا فودعناهم وركبنا القطار الذي قام في الساعة السادسة . ولكون الارض التي حول جيبوتي قاحلة رملية لا زرع فيها ولا ضرع كنت ظننت ان الحال سيستمر كذلك ولكن لم يصدق الظن اذ بعد ان بعدنا عن المدينة مقدار خمسة كيلومترات أخذنا نشاهد الاعشاب والنباتات الخضراء والشجيرات التي تقوم مقام حطب الوقود عندهم وهو ما تصلح ان تكون مرعى خصيباً لكثير من قطعان المواشي السائمة

ولما وصلنا الى محطة (حمبولي) المار ذكرها البعيدة مسافة سبعة كيلومترات عن البلد رأينا الآبار والآلات الرافعة واحواض المياه وقد كنت ذكرت آنفاً ان المياه تتوزع على المدينة من هنا . وسار القطار بعد وقوفه قليلاً في هذه المحطة لأخذ الماء اللازم للقاطرة . والاراضي التي كنا نمر عليها بعد هذه المحطة مع كونها بركانية كان يوجد بها قليل من الاعشاب والنباتات والبعض منها صالحة للزرع . وبعد ان قطعنا مسافة تغيرت المناظر بغتة وظهرت على اطرافنا الهضاب والمراعى وهي لابسة حلة خضراء كالزمرد . وكنا نرى لون الارض احمر كاراضي حوران (من اعمال دمشق) وطري كأنه الحناء فلا بدع ان تكون هذه الاراضي من اخصب ما يكون لو اعتنى بتنظيفها من الاحجار الموجودة على سطحها وحينئذ تذكرت ما كنت سمعته من الوالي عند ما كنا في جيبوتي من انه ينوي حفر آبار أرتوازية في الاراضي .

الفعلة كانوا مضطرين للتسلح في اثناء الشغل . والسبب في ذلك ان القوافل كانت تذهب وتجيء بين جيبوتي وهرر على جمال الاهالي الوطنيين فلما شرع في مد السكة الحديدية أخذوا يناوئونها مناوأة شديدة

وفي الساعة السابعة تغير لون الأعشاب والنبات شيئاً فشيئاً حتى أشبه لون الفضة . وفي منتصف الساعة السابعة وصلنا الى محل يسمى (اليلا) ووقفنا هناك ريثما وضع المستخدمون الزيت في عجلات القطار وآلاته . ويوجد في (اليلا) بضعة من الاكواخ المبنية من الحصى (الظاظ) غير منتظمة الجدران مسقوفة بالقش والبوص (القصب) . وهنا أردت ان ارسم بعض اولاد الصوماليين بالعدة الفوتوغرافية ولكن توسل اليَّ آباؤهم ان لا افعل خوفاً من ان يموتوا ؟؟؟؟ وبما انه يعز عليَّ موتهم عدلت عن تصويرهم !!!!!....

وبعد ان قمنا من هذه المحطة بقليل صادفنا قطعاناً من الجمال ترعى بيض الالوان نحاف الاجسام جميلة المنظر سريعة السير ورأينا أيضاً قطعاناً من المعز الابيض تشبه الغزلان وقد كنت رأيت فيما مضى في صحارى برقه التابعة لبني غازي نوعاً من الجمال يشبه هذه الجمال التي رأيناها من القطار

وفي الساعة الثامنة وصلنا الى محطة (هلهل) وهي ثلاثة اكواخ كبيرة خشبية منفصلة عن بعضها ويوجد على اطراف المحطة قرية صومالية فيها خمسون كوخاً . ويتعيش الصوماليون كسائر عربان البادية من ألبان مواشيهم ونتاجها ومن كراء جمالهم وينزلون حيث وجدوا الكلأ والمرعى ويمكثون هناك حتى ينفد الكلأ وتجول كل قبيلة في حلها وترحالها في دائرة حدود منازلها فسكان هذه الجهات هم عرب رحّل ولكن ليس لهم بيوت شعر كعربان الشام وبغداد وحلب والحجاز وطرابلس الغرب وبني غازي بل هم يبنون مساكن لهم حيثما نزلوا والبناء بالحجارة والطين اذا وجدوا حجارة واغلبهم يرفعون الجدران بغير طين وبدون انتظام ومساحة المسكن متران تقريباً وارتفاعه متر ونصف متر ويغطون سقفه باغصان الأشجار والنباتات وبهذه

ولما سار بنا القطار من هذه المحطة راقت في عيني مناظر أشجار جميلة قائمة على جوانبنا تشبه (الدفلي) فسألت عن اسم هذا الشجر فقيل لي انه يسمى (فرحى) وانه ينبت من نفسه كسائر أعشاب هذه الصحارى وانه يعمل من أغصانه نوع من السواك وقد كنت رأيت الصوماليين يضعون في أفواههم قطعاً يعبثون بها بأسنانهم تارة ويمتصونها اخرى فاذا هي من هذا الشجر وعلمت ان الصوماليين كبيرهم وصغيرهم مغرمون باستعمال هذه الاغصان فلا ترى صومالياً الا وفي فمه قطعة منه شبه السواك يمسكها في فمه فاذا أراد التكلم أخذها بيده واذا انتهى كلامه أرجعها الى فمه وامسكها بين شفتيه كسجاير الدخان فيمتصها او يديرها بين اسنانه من غير أن يمسكها بيده وقد ظهر لي ان استعمال هذا السواك خرج عن طور الفائدة المطلوبة منه الى طور المكيفات وهذا السواك ليس باليابس كالذي نستعمله نحن بل هو أخضر وقشره عليه وأظن ان عصارة هذا الشجر فيها مادة مكيفة

وقد وصلنا قبل الساعة العاشرة الى محطة (علي صبح) وهي واقعة بين ولاية (هرر) التابعة للحبش وبين الصومال الفرنسوي ويوجد فيها ما عدا المحطة أبنية تشبه القلاع مبنية على هضبة تشرف على الاطراف حيث يقيم أحد المستخدمين الفرنساويين مع رجاله ورفاقه وهذه المحطة وأطرافها خالية من السكان ومن الاكواخ بسبب جدب الارض وعدم وجود الكلأ فيها

وفي الساعة السادسة والدقيقة ١٠ وصلنا الى محطة (دادانلي) الكائنة في الكيلومتر ١٠٦ وقد شيد الصوماليون قرية حول هذه المحطة ووجدنا هنا مخفراً للجنود يخفق عليه العلم الحبشي وقد صنع هذا العلم من ثلاثة ألوان كألوان قوس قزح . فالأول من الاعلى لونه أخضر والثاني أصفر والثالث احمر وقد رفع العلم عمودياً على السارية ولما وصلنا الى المحطة خرج الجنود من المخفر لأداء التحية العسكرية للوفد السلطاني وسلاح هذا الجند من نوع البنادق الفرنسوية المسماة (غرا) وقد اشترت الحكومة الحبشية هذه الاسلحة من الفرنسويين أما كسوة الجنود فهي عبارة عن سراويل

وقميص ورداء ويرتدون فوقهما برداء ابيض كالذي يرتديه اهل طرابلس الغرب وهم عراة الرؤوس حفاة الاقدام

ويقف القطار في ذهابه من جيبوتي الى الداخول في هذه المحطة ثلاثة أرباع الساعة للطعام ولما عرف الصوماليون الموجودون هنا اني موفد من قبل الحضرة السلطانية أسرعوا اليّ وأخذوا يدعون للحضرة العلية السلطانية ويهنئونني بالوصول سالماً واكرمونا غاية الاكرام كما حصل في كل المحلات التي مررنا بها وقد زاد عددهم في برهة قليلة حتى صارت المحطة تموج بالناس كأنهم وجدوا ورود الوفد السلطاني فرصة انتهزوها لاظهار اخلاصهم وصدق ولائهم للحضرة المعظمة السلطانية وقد تذكرت هنا ما قاله لي والي الصومال الفرنسوي عند ما كنت في جيبوتي من ان اهالي هذه الجهات سيكونون في غاية الانشراح والسرور من رؤية الوفد العثماني في بلادهم لشدة تعلقهم بالعرش الأسمى السلطاني

وقمنا من محطة (داداتلي) في الساعة الحادية عشرة وعند تحرك القطار طلب الصوماليون اليّ ان أخبرهم بوقت رجوعي ووصولي في العودة

وبعد ان مررنا على كوبري قائم على وادٍ وصلنا في الساعة الثانية عشرة الا بضع عشرة دقيقة الى محطة (عدالى) الكائنة في الكيلومتر ١٣٢ وهذه المحطة صغيرة ليس فيها الا بضعة اكواخ وفي منتصف الساعة الثانية عشرة قطعنا صحارى واسعة جداً ومراعي عظيمة ممتلئة بجمال الصوماليين وحميرهم ومعزهم وكنا نرى اكواخ اصحاب تلك المواشي تلوح بين البهائم وفي الساعة الحادية عشرة وصلنا الى محطة (عائشة) وليس في هذه المحطة سوى ثلاثة أبنية خشبية صغيرة تشبه الاكواخ وحيالها قرية صومالية صغيرة تسمى (سالاري) فيها ثلاثون كوخاً والاراضي هنا مستوية مخصبة خصباً يجعلها مرعى جيداً للخرفان الصومالية وفي الساعة الثانية وصلنا الى محطة (عد الفلا) الواقعة في الكيلومتر ٢٠١ ويوجد هنا ورشة تصليح لشركة السكة الحديدية وبضعة اكواخ صومالية

وفي الساعة الثالثة بينما كنا نقطع صحراء مستوية رأينا من بعدٍ اكواخاً كثيرة من الطين لا يمكن عدها لكثرتها تشبه اكواخ الصوماليين فسألت عنها مأمور القطار فقال انها بيوت لصنف من النمل الابيض وقد صنع هذا النمل بيوته بطريقة متينة للغاية فهي متحجرة حتى إن الانسان ليعجز عن هدمها الا بالمعول وبين البيت الواحد والآخر (٥٠) متراً او اكثر وارتفاع كل بيت نحو متر ونصف ومنها ما هو نحو مترين وقطره يقرب من ذلك أيضاً . ما أعظم همة هذا المخلوق الصغير ! ما هي الأبنية التي يبنيها الانسان في هذا الزمان وما هو حجمها بالنسبة الى حجمه وارتفاعها بالنسبة الى ارتفاعه ! فانا لو قسنا ما يبنيه هذا الحيوان من البيوت التي هي اكبر من جسمه على هذه النسبة بما يبنيه الانسان لنفسه لوجدنا هذا متأخراً جداً بالنسبة اليه . والغالب على الظن ان هذا النمل هو من صنف النمل الابيض الموجود بصحارى الحجاز وفي مكة المكرمة والمدينة المنورة . ولكن النمل الحجازي لا يبني مساكنه فوق الارض بل يبنيها تحت الارض ولكن فعلها لا يكون أقل من فعل النمل الصومالي . والنمل الحجازي هو من الحشرات المضرة المخربة جداً فانها تقرض الاشجار والاخشاب واذا مكثت تحت صندوق أحد المسافرين او السياح تأكل أسفل الصندوق وتتلف ما فيه . واذا نظر الانسان في المدينة المنورة الى سقف الغرفة يرى خطاً من الطين يعمله النمل ويختفي تحته للقيام بعمله دون ان يراه أحد . وقد كان هذا النمل قرض أسفل بعض العواميد التي كنا وضعناها لاجل السلك البرقي الحجازي فاضطررنا الى قلعها وقطع المحل المقروض ووضعه ثانياً وقد كان القسم الفني قرر قبلاً ان تكون أعمدة الخط البرقي المذكور من الحديد ولكن لبعد المسافة وصعوبة النقل بقيت الأعمدة خشبية واذا أخذت السكة الحديد الحجازية الآن تتقدم في ظل الحضرة السلطانية الى القطر الحجازي فستبدل أعمدة السلك البرقي بعواميد من حديد

ولنرجع الآن الى حديثنا أي الى ما كنا فيه : في منتصف الساعة الثالثة بعد ان مررنا على كوبري من حديد طوله (٢٠) متراً دخلنا في أراضٍ مستوية واسعة مستورة

ممر السكة الحديدية قطعها المهندسون لفتح الطريق وأما الارض فانها مستورة بصنوف النبات وتوجد كروم العنب بكثرة والياسمين العراتيلي والنباتات المتعرشة متسلقة على الاشجار ومؤلفة انفاقاً ونوافذ طبيعية ، وصواوين زمردية بحيث يعجز أعظم مهندس بستاني عن عمل مثلها ويجاري في أمر هذه الطبيعة البديعة . وكانت هذه المناظر البديعة الرائقة تتنوع أمامنا كلما تقدم القطار الى الأمام واليك مايستطيعه قلمي من وصف هذه المباني الخضراء المصنوعة بقدرة الخالق جلت قدرته :

تصوّر أيها القارئ شجرة تدلت أغصانها ، وانبسطت أفنانها انبساطاً منتظماً واسعاً بنسبة جذعها حتى صارت كدائرة متحدبة تشبه الشمسية أي المظلة وقد تسلقت على جذعها النباتات حتى اذا بلغت الاغصان عادت فتدلت من الاطراف بهيئة عمود الى الارض وهناك غرزت في التراب ثم نبت منها فرع آخر وتساق على اصله وهكذا حتى تكون من هذه الشجرة غرفة طبيعية ذات جدران دائرة بها من تلك النباتات الزمرديه اللون لا تنفذ منها أشعة الشمس الى الداخل . وهناك منظر آخر أيضاً وهو ان تلك النباتات البديعة قد تسلقت على جذوع الاشجار الكبيرة المقطوعة واحاطتها بنسيج اخضر نتج منه ظلال جميلة حسب وضع الجذع وجسامته . ثم ان النباتات التي تنمو داخل هذه الغرف الطبيعية ليست مثل الموجود خارجها كبيرة وخشنة الملمس بل هي قصيرة ناعمة جداً تشبه الطنافس النفيسة الخضراء . وهذه أول مرة صادفت فيها في البر الافريقي مناظر جميلة كهذه حتى نسيت نفسي اني موجود في افريقيا وهي أول مرة أيضاً سمعت فيها تغريد الطيور التي تشبه السماني والقماري والحمام مما لا أعرف اسماءها وهي تنتقل من شجرة الى شجرة في ابدع الاشكال

وبينما كان قطارنا سائراً بين تلك المناظر الطبيعية اللطيفة وانا مشتغل بضبط ما يجب قيده لكتابة الرحلة اذ وقف القطار فاشرفت من النافذة فرأيت كثيراً من الجنود والمستخدمين الحبشيين وعرفت اننا وصلنا الى محطة (دريدوه) التي هي آخر محطة من السكة الحديد واقعة على الكيلومتر (٣١٠) وقد كانت الساعة حينئذ السادسة

مساء وعلى ذلك نكون قطعنا المسافة من جيبوتي الى (دريدوه) وقدرها ٣١٠ كيلومترات في اثنتي عشرة ساعة بما فيها زمن وقوف القطار في المحطات

وقد استوقفت نظري في هذة الجهة مساكن النمل الابيض الموجودة بكثرة في الأحراش والغابات مع انه لا يوجد فيها كوخ واحد للصوماليين فيالعجب ان النمل هذا ليس كأهل الصومال الذين لا يألفون الظلال بل منه ما يميل الى السكنى في الظل ومنه ما يميل الى السكنى في الشمس

وقد رأينا المحطة مزدحمة بالناس وكوكبة من الجنود الحبشية فيها ٢٠٠ جندي مصطفة على الرصيف لاداء التحية العسكرية للوفد السلطاني . وبينما نحن كذلك اذ فتح باب العربة ودخل شاب مهذب جميل الوجه والهيئة وبعد ان سلم عليّ بأدب كلمني باللغة الافرنسية فعرفني انه (آتو يايانا) نجل (آتو مارشا) مدير دريدوه وانه حضر مع الجند والمستخدمين ليقوم بالاستقبال مقام والده الغائب عن مركز وظيفته وبعد ذلك عرفني برجال حاشيته وسائر المأمورين ووجدنا صاحب الاوتيل الذي سننزل فيه وهو رجل رومي بين المستقبلين وقد علم بوصولنا لحضر لمقابلة الوفد . وبعد اتمام هذه المراسم ذهبنا الى الاوتيل وهو واقع أمام المحطة وليس ثمة غيره واقام (آتو يايانا) الخفراء من الجنود على الابواب الخارجية احتراماً للوفد السلطاني . وهنا يجب ان اصف الاوتيل قليلاً لنفهم ما هي الابواب الخارجية : ان هذا النزل مبني بالآجر على دور واحد وله ضلعان قائمان عمودياً على بعضهما وفي الوسط الخالي من الابنية يوجد جنينة أمامها درابزين والغرف والبهوات يحيط بها الطريق ولها ابواب للطريق كما للرواق الداخلي وقد وجدت هذا الفندق احسن من فندق (ده زاركاد) الكائن في جيبوتي او انه تراءى لي ذلك لجمال المناظر الطبيعية المحيطة بهذا النزل ووجود الاشجار وبرد الهواء والطقس . واخبرني صاحبه انه هيأ لنا الغرف اللازمة كما انه جهز بهواً للطعام . والحق يقال ان هذا النزل بالنسبة لدريدوه في غاية النظافة والترتيب . وبعد ان تناولنا الطعام واسترحنا قليلاً من وعثاء السفر ذهب كل منا لغرفته ونمنا نومة هنيئة لاعتدال الهواء ولما نالنا من التعب في السفر

دريدوه ٩ مايو (مايس)

دريدوه — التهيؤ لسفر البر — اخلاص الصوماليين الوطنيين للحضرة السلطانية — الصومال والصوماليون — (توالت) بالزاب والسمن — الترضية الكبرى

—

انتهى هنا في (دريدوه) القسم السهل من سفرنا وأتى القسم الذي نقطعه على الجبال والبغال فاخذنا في إعداد ما يلزم بما يمكن من السرعة من غير ان نضيع ساعة واحدة وذلك لقرب موسم المطر الغزير في هذه البلاد . وقد كنا في مساء اليوم الماضي نقلنا الى الفندق حقائبنا الصغيرة التي كانت معنا في مركبات السكة الحديدية . واليوم اشتغلنا قبل كل شيء بجلب الصناديق المحفوظة فيها الهدايا السلطانية وما بقي من متاعنا من الجمرك وقد اضطررنا ان نصغر هذه الصناديق لأنها كانت صنعت في الاستانة كبيرة جداً بحيث يصعب تحميلها على الجمال فضلاً عن البغال وجعلنا كل صندوق اثنين وقام لنا بهذا العمل اربعة نجارين اوربيين ولم يقبلوا ان يشتغلوا الا باجرة زائدة جداً لمصادفة ذلك اليوم عيدهم . وقد راقبتهم بنفسي طول ذلك النهار حتى تمكنا من تصغير الصناديق على قدر الامكان و بعد ان وضعنا ضمنها الاشياء لففنا كل صندوق بصفائح الزنك اتقاء المطر

أما (دريدوه) هذه فهي آخر محطة من سكة الحديد وآخذة في التقدم والعمران يوجد فيها ورشة السكة الحديد وصناع ونجارون وحدادون

ولما أقبل المساء ورأيت الصناديق عملت على ما أريد ولم يبق هناك مانع من السفر في اليوم التالي فرحت كثيراً لما كنت أسمعه من بعض الناس في جيبوتي وعند وصولنا الى (دريدوه) من عدم وجود قيمة للوقت في نظر الاهالي الوطنيين في هذه الربوع حتى انني عند ما وصلت الى (دريدوه) سألني بعض الناس عن المدة التي

أقضيها في (دريدوه) فلما أجبتهم بأني سأقوم من هنا بعد يومين ضحكوا من كلامي وقالوا انك تكون سعيداً اذا استطعت السفر من هنا بعد أسبوع . على أني لما كان الصناع والنجارون يشتغلون كنت أضطر الى الذهاب لمقابلة الذين كانوا يأتون للزيارة وأترك طالب بك ويس جاويش يناظران الشغل . وكان الزائرون من العرب يأتون كل خمسة او ستة معاً ولكن الصوماليين كانوا يأتون أفواجاً أفواجاً كل فوج لا يقل عدده عن سمائة فكنا نسمع ضجيجهم وأصوات التهليل والتكبير والاناشيد الحربية من نصف كيلومتر ولما اكتمل جمعهم وقفوا أمام الفندق ورفعوا أكف الدعاء للحضرة السلطانية ورحبوا بالوفد ثم أخذوا يرقصون على الاناشيد الحربية . وكانت الساحة التي أمام الفندق تموج بالناس الذين أتوا ليتفرجوا على رقص الصوماليين . وقد قال لي الاوربيون الذين كانوا هناك ان هذه اول مرة رأوا فيها اجتماع هذا العدد العظيم من الصوماليين للرقص وانه لم يحصل قبل ذلك لهؤلاء الناس سرور كما حصل لهم الآن وانه لم يحصل لأحد من الاستقبال البهيج كما حصل لنا

وفي المساء خرجت متجولاً في المدينة . واليك ما علمته بخصوص هذه الجهة من الزائرين ومن تجوالي في المدينة

ان (دريدوه) الاصلية هي قرية صغيرة واقعة على بعد عشر دقائق من المحطة وقبل وصول السكة الحديدية اليها كانت تجمع البضائع في هرر وتنقل منها على ظهر الجمال الى جيبوتي عن طريق (جلدسا) ولكن بسبب قرب هرر الى دريدوه أخذت البضائع بعد مد السكة الحديدية تأتي الى هنا كما ان البضائع الآتية من الساحل صارت توزع من دريدوه الى البلاد الداخلية ولذا صارت دريدوه مدينة ذات بال حتى ان الافرنج وشركة السكة الحديد أطلقوا عليها اسم (آديسا هرر) ظناً بأنها ستقوم مقام هرر وقيدوا اسمها كذلك في خرطهم ولكن النجاشي لم يرض بتغيير الاسم فبقيت دريدوه كما كانت قبلاً . وكلمة آديس باللغة الحبشية هي محرفة من الحديث العربية فيكون معنى (آديس هرر) هرر الجديدة



وجوه الصوماليين

وأمواله من الضرر لذلك كان المسافر مضطراً لتقديم بعض هدايا لمشايخ القبائل التي يمر من أراضيها كما انه كان يحتاج لحماية جمّـال يسمى (ابان) ويستصحب معه محافظين يرافقونه ليقوموا بحراسته في الطريق . واذا لقي المسافر (لا سيما اذا كان من البيض وعلى الاخص اذا كان افرنجياً) في الليل او في محل خال صومالياً خاطباً بنتاً للزواج فانه يكون معرضاً لخطر القتل لا محالة . والسبب في ذلك أن الصومالي اذا عزم على الزواج يتحتم عليه قتل رجل وان يبعث بعضو من أعضاء المقتول الى أهل البنت التي يريد الاقتران بها اثباتاً لفعلته الشنعاء وبغير تقديم هـذه الضحية البشرية لا يجوز له خطبة البنت ولا يتأتى له الزواج

والصومالي كسائر الاقوام البدوية متعظم مغرور وبسبب تحمله المشاق والمتاعب وتعوده خشونة البداوة تراه دائماً شديد المحافظة على كبريائه أمام سكان المدن المتنعمين بلذائذ المدنية وينظر اليهم والى انغماسهم في الراحة والترف بنظر الاستخفاف والاحتقار . وأضرب لك مثلاً بالصوماليين الذين يشتغلون في مهن حقيرة كالشيال والخادم والوقاد في البواخر فانهم مع ضعتهم واختلاطهم بالافرنج ورؤيتهم كل يوم آثار ذاك التمدن وقوة الغربيين ورقيهم لا يزالون ينظرون أهل المدن وبالاخص الافرنج منهم بنظر الأعلى الى الأدنى ويتظاهرون بالغرور والعظمة أمامهم

والصومالي شجاع باسل للغاية جريء حمول للعطش والجوع . أما سلاحه فهو رمح طول قامة الرجل وترس وخنجر يضعه في وسطه ولهم مهارة كبيرة في استعمال السلاح حتى ان احدهم ليصيب عدوه في أي عضو شاء من اعضائه اذا صوب رمحه نحوه ولو من مسافة بعيدة والصومالي يخرج وحده ليصيد الاسد والنمر والفيل والغزلان والارنب وليس معه من السلاح سوى رمحه الذي يتخذه في سائر الاوقات عكازاً يتوكأ عليه في سيره وقد جرى ذلك عند الصوماليين مجرى العادة حتى ان احدهم اذا لم يحمل الرمح لسبب من الاسباب حمل عصاً يتوكأ عليها في طول الرمح . وهم لا يعرفون الفلاحة والزراعة بل يتعيشون من الماشية واذا لم يجدوا بضائع للحمل على الجمال الى

الداخل بقوا عطلاً من الشغل ولهم اعتناء كبير وولع شديد بأخذ الاخبار والحوادث من كل من يأتي من محل أو يذهب الى محل . ويحمل البعض في رقابهم سبحاً ذات حبات كبيرة واكثر من يفعلون ذلك من الرجال . وهم يدهنون رؤوسهم بالزبدة والسمن بدلاً من الروائح الطيبة والرجال يزيدون على السمن والزبدة الكثيرة المقدار طلاءً من التراب الناعم فيأخذ الرأس لون التربة التي أخذ منها التراب لذا ترى لون رؤوس الصوماليين يختلف بين الحمرة والسواد . وقد تكون التربة المأخوذ منها التراب كلسية تبيض رأس الصومالي فيشبه رأس تمثال من رخام ناصع البياض أو الشعر المستعار الابيض الذي كان يستعمله قديماً الاوروبيون . والشعر وان يكن متجعداً بالطبع يصير بكثرة استعمال التراب والسمن والزبدة متدلياً بتجعد اذا مشط يأخذ هيئة الشعر المستعار المسمى في اوروبا (پروك)

واذا دعا الصومالي أحد اصحابه أو احبائه الى كوخه فانه قبل كل اكرام يجلس المدعو أمامه فيطلي رأسه بالسمن والزبدة وكلما زاد من هذا الدهن كان زيادة في الاكرام وقياماً بما يجب عليه من تعظيم الضيف . واذا مس أحدهم شرف الآخر أو تعدى عليه بقول أو فعل فسبيله ان يأخذ المعتدى عليه الى كوخه ويطلي رأسه بكثير من السمن وهذه اكبر ترضية لرد الشرف عندهم

وألوان الصوماليين تختلف من لون السمرة الحبشية الى اللون الحالك السواد وعيونهم كبيرة جميلة جداً وهم عراض الجباه



النساء الصوماليات

يوم الاثنين ١٠ مايو (١٠ايس)

القيام من دريدوه — رحل وكوخ — ركابات للاصبع — التعظيم — مهارة النساء — شجرة اللستيك — المعاول الخشبية — بحيرة هراما — الطيور البرية — البرد القارص — المستقبلين

كان من المقرر ان نسافر هذا اليوم من دريدوه لذلك استأجرنا بمعرفة (آتو بينا) البغال والجمال اللازمة لركوبنا ولأحمالنا . وقد جاء صباح هذا اليوم الرجال ومعهم البغال والجمال وأخذوا في تحميل الأثقال والجمالة كلهم صوماليون ولهم المام ومهارة في صنع ما يلزم لهم ولجمالهم من غير ان يحتاجوا الى استحضارها من الخارج

ان الصوماليين لا يستخدمون في عمل هذه الرحال لا السروجي ولا الحبال . يتألف القسم اللين من الرحل من حصر خشنة يحيكونها بأيديهم من الياف النبات ويضعون ثلاث حصر أو اربعاً بعضها فوق بعض حتى لا يجرح ثقل الحمل الجمل . وأما القسم الخشبي من الرحل فهو عبارة عن اربعة عصي طوال يربطون كل اثنتين منها ببعض في شكل زاوية . وهاتان الزاويتان المؤلفتان من العصي الاربع مرتبطتان ببعضهما أيضاً من رؤوس الزاويتين . وبعد وضع هذا الرحل فوق الحصر الموضوعة على ظهر الجمل تربطان بواسطة حبل من بطن الجمل ربطاً محكماً . فهذا الرحل في غاية البساطة والخفة والمتانة . واذ يحملون الأثقال يربطون حبل كل شقة من الحمل بالزاوية التي في الجانب الآخر وبالعكس فيكون الحمل بهذا الرباط في غاية المتانة لا يخشى عليه من السقوط قطعاً ولا يؤذي الجمل بسبب اتكاء الاحمال على الزوايا . وأما الحبال التي يستعملونها لهذا القصد فهي من نبات ناعم ينسجه الصومالي بيده . وللرحال الآنفة الذكر فائدة اخرى في غاية الأهمية وهي ان القافلة حين تحط رحالها عند المساء تأخذ العصي من الرحل وتركز بعضها على بعض كما تركز الجنود بنادقها

وتضع فوقها الحصر السابق ذكرها فيؤلف من ذلك اكواخ للجمالة يأوون اليها
واذا زاد شئ من الحصر يفرشونه على الارض للجلوس عليه و بالجملة ان هؤلاء الناس
يصيدون بحجر عصفورين

ولو كنت أعلم هذه الطريقة لكنت استعملتها في أسفاري بين المدينة المنورة
وسورية حينما كنت قائماً بوظيفة مد الخط البرقي الحجازي اذ ان رحال الأقطار
الحجازية بين المدينة المنورة وسورية تؤلف من مخدتين بسيطتين مملوئتين بالقش
مرتبطتين ببعضهما لا شئ من الخشب عليهما لهذا كان من الصعب نقل العواميد
اللازمة للخط على هذه الرحال فأضطرنا الحال الى أن نلتمس من ولاية سورية اسعافنا
برحال مناسبة فبعثت بها الينا من دمشق الشام بعد نفقات كبيرة وزمن طويل

**

انتهينا من تحميل الصناديق والمتاع في الساعة الثامنة ووضعنا السروج التي
احضرناها معنا من الاستانة على ظهر البغال . و بعد قليل وصل (آتو مارشا) المتصرف
(المدير) الذي كان عاد الى المدينة ليلاً ومعه ولده (آتو بينا) و بعض مستخدمي
المديرية وكوكبة من الجنود لوداعنا . وقد كانت بغال المدير ومن معه مهيأة أيضاً .
أما السروج الموضوعة على البغال الحبشية فانها تشبه سروج العثمانيين القديمة وانما
الركابات صغيرة جداً بحيث تسع رجل طفل صغير فعجبت من ذلك وصرت انظر
الى الركاب مرة والى ارجل المدير ومن معه مرة اخرى . ولا اعلم كيف تدخل هاته
الأقدام الكبيرة في تلك الركابات الصغيرة . ولما آن وقت الرحيل ركبنا وركب أيضاً
المدير وسائر الأحباش فأرسلت نظري الى أرجلهم فرأيتهم قد خلعوا الأحذية
وألقوها الى الخدم وأخذ كل منهم بوضع الأبهام في الركاب فقط . والركوب من
جهة اليمين. وقد علمت فيما بعد ان عادة الأحباش ان لا يضعوا في الركاب الا الابهام
وأما سبب ركوبهم من جهة اليمين فهو أن الأحباش يتقلدون سيوفهم على اليمين
ويشدونها بقطعة من جلد على اوساطهم شداً محكماً بحيث يكون السيف والجسم كأنهما

أخيها فيذهب هذا ويشتري قبل كل شيء قراطيس (خرطوش) للبندقية ليطلقها في الهواء كما أراد أن يسلي نفسه وعلى هذه الصورة تذهب اتعاب هذه المرأة التعيسة في الهواء من غير أن تنتفع هي أو ينتفع هو مما اكتسبته بكد يمينها فتأمل

وبعد ان تركنا المدينة وراءنا وعبرنا النهر الصغير الجاري الى البلد طلبت الى آتو مارشا وابنه ومن معهما أن يعودوا الى المدينة ولكنهم لم يفعلوا بل رافقونا جميعاً الى محل يبعد ساعة واحدة عن دريدوه وهناك ودّعونا وعادوا الى المدينة بعد ان تركوا خمسة من الجنود الحبشية تحت أمرة (آتو يومرو) مأمور بوليس دريدوه ليرافقونا . واستمر بنا السير داخل غابة كبيرة صاعدين بالتدريج الى الأعلى والنساء المحملات تمر بنا . وبعد ان سرنا على الطريق المرصوص (شوسه) ساعتين تركنا الطريق ودخلنا في السكة القديمة لنقتصر من السير . وهذه السكة القديمة هي عبارة عن طريق ضيق ذي صعود وهبوط وكنا في اثناء سيرنا نرى على الأشجار التي هي من نوع السرو والسنديان كثيراً من انواع الطيور مثل الحمام واليمام والطرغل والسمان والعصافير على اختلاف أجناسها وكثيراً من الطيور التي لا اعرف لها اسماً ولم أرها قط . وقد استوقف نظري بصفة مخصوصة منظر شجرة شكلها تشبه جنس نبات من فصيلة الصبار (تين برشومي) يوجد بكثرة في جنائن الزهور بالاستانة اغصانه مخرمة تخريماً حلزونياً يشبه الأداة التي يفتح بها القناني (تيربون) ولكن هذه التي رأيتها هنا هي اضخم وجذعها أقوى واكبر وتشبه جذع الحور وأغصانها من جنس أغصان الصبار ولكن ليست عريضة مثلها بل هي رفيعة طويلة ورؤوسها متجهة الى السماء وليس لها زهر ولا ورق وحين يراها الانسان لاول وهلة يحكم انها شجرة مصنوعة بيد الانسان من قطع الخشب ومدهونة بالدهان الاخضر . وسألت آتو يومرو عن اسم هذه الشجرة فاخبرني انها تسمى بالحبشية (قول قوال) واننا سنرى كثيراً من نوعها في طريقنا وقد علمت منه ان الافرنج يستخرجون من عصارتها المادة المسماة (كاوتشوك) فاذا كسرت غصناً من أغصان هذه الشجرة ترى سائلاً لزجاً جداً

الآن الاحجار التي يسحق بها البن فان سكان هذه البلاد يطحنون الحبوب بهـذه الاحجار لعدم وجود الأرحية الكبيرة عندهم فتألف طواحينهم من حجر مستدير أو مستطيل الشكل ومستوي السطح فتوضع الحبوب عليه ويؤتى بحجر آخر كالنشاب الخاص بفتح رقائق العجين ويضغط به على الحجر الاول ذهاباً وجيئة حتى يطحن ما عليه من الحبوب وكذلك الحال في سحق البن عندهم

**

بعد ان مكثنا هنا ساعتين وتناولنا الفطور الذي كان فيه نوع من الحمام صدناه بالبندق استأنفنا السير في طريقنا وكنا كلما تدرجنا في الصعود على الجبل يزداد امامنا رواء الطبيعة ومناظر الغابات البديعة ونرى الاشجار الضخمة الكبيرة . ولما انتهينا الى قمة الجبل انتهت هناك الغابات وظهرت امامنا اراض واسعة ممتدة على قدر ما يصل اليه النظر معمورة بالقرى والمزارع فعلمنا ان هـذا الجبل الذي صعدناه ما كان الا هضبة لهذه المروج العالية . وقد تغيرت المناظر امامنا فظننت اني في بلاد الروم ايلي (تركية اوربا) أو اني في أحسن بقعة من الاناضول (آسيا الصغرى) بكثرة سكانها وزهو عمرانها

والقرى في هـذه الاراضي الواسعة متقاربة متماسكة الاطراف ومساكنها مبنية بانتظام وسكانها من نساء ورجال كبار وصغار منتشرون في الحقول والغيطان يشتغلون في زراعتهم والاطفال يجرون وراء الخرفان والماعز ويلعبون بصغار البهائم. والماشية من البقر والغنم والمعز تسرح في تلك المروج الخضراء وترعى والحمام البري تطير أسرابه ألوفاً ألوفاً من حقل الى حقل لالتقاط الحب وقد اصطدنا منها بضعة عشر طائراً . ورأينا الزراع يعزقون أراضي الذرة المرتفعة نحو نصف ذراع بمعازق من الخشب كما ان جميع سكان تلك البلاد الذين هم على جانب عظيم من النشاط والاجتهاد يستعملون من الخشب كل المعاول والادوات اللازمة لحفر الاراضي حتى محاريثهم فانها مصنوعة من الخشب . ويشتغل الرجل وهو مكشوف الجسم لحد وسطه والمرأة

تستر كل جسمها ما عدا صدرها و يديها الى اكتافها

أما سكان هذه البلاد فكلهم مسلمون من جنس الفاللا و يظهر انهم مستفيدون من الثروة الطبيعية التي أنعم الله بها عليهم لان آثار السعادة بادية على وجوههم

وفي الساعة الثانية ونصف بعدالظهر وصلنا الى نقطة تلاقي الطرق الذاهب احدها الى هرر والآخر الى آديس أبابا فسلكنا الطريق الموصل الى هرر لاننا كنا اكترينا الدواب والبغال الى هرر فقط لكي نتمم بعض نقائصنا السفرية في المدينة المشار اليها ومنها نقصد عاصمة الحبشة عن طريق (چرچر)

يوجد ثلاث طرق مختلفة توصل الى آديس أبابا وأحسن هذه الطرق في هذا الموسم هو طريق (چرچر) الآنف الذكر وانما لا تسير الجمال على هـذا الطريق الكثير الوعورة الكثير الصعود والنزول أما الطريقان الآخران فانهما شديدا الحرارة وماؤهما قليل جداً تنتاب طارقهما الحميات . وسنفرد فصلاً مخصوصاً للطرق في البلاد الحبشة فيما يلي . وقد كنا نرى أعمدة السلك البرقي الى ملتقى الطرق من الحديدولكن بعد نقطة ملتقى الطرق المذكورة أخذنا نراها من الخشب . هذا و بعد قليل من السير أخذنا في الانحدار الخفيف حتى اذا بلغنا نهاية الانحدار ظهرت امامنا بحيرة كالمرآة الصقيلة في غاية الجمال واللطافة . هذه البحيرة هي بحيرة (هرمايا) وكنا كلما اقتربنا منها وظهرت لنا أطرافها يأخذ منظرها بمجامع قلوبنا ويحيط بهـذه البحيرة من كل الجوانب أكمات خضراء كالزمرد ومياهها حلوة عذبة تجتمع من سيول الامطار وطول هـذه البحيرة كيلومتران ونصف تقريباً (٢٠٠٠ متر) وعرضها كيلو متر واحد وبها ألوف من الاوز والبط البري يقوم على وجه الماء و يطير من جهة الى أخرى وكنا نرى أعشاشها على ساحل البحيرة بين الحشائش والنباتات وفيها صغارها . وموقع هـذه البحيرة يرتفع ٢٢٥٠ متراً عن سطح البحر لذلك أخذت درجة الحرارة تهبط وبرد الطقس بعد العصر . وكان معنا شاب الباني يسمى شوكت أفندي ذاهباً مع بكر ابراهيم أفندي الى آديس آبابا فاطلق على أسراب البط والاوز بضع طلقات من

يوم الثلاثاء ١١ مايس (مايو) الوصول الى هرر

الوصول الى هرر — الاستعداد للسفر — وصف هرر — من اين يشتق اسم القهوة — الحرز — شمسية بالوان قوس قزح — قصر رأس ماكونن — شعار من الذنب — صلاة الجمعة

—

لما استيقظنا هذا الصباح من النوم بادرنا بالاستعداد للسفر و بعد بضع دقائق كنا سائرين على الطريق على اني كنت متألمًا من الروماتيزم الذي اشتد عليّ مساء البارحة من البرد وكثرة الرطوبة المتأتية من الأمطار ومع ذلك تحملت وتجلدت . وكنت في أثناء السير أسرح الطرف بتلك الاطراف والا كناف وأستعلم عن احوال المدينة من المستقبلين السائرين معنا وسأبين ذلك بعد وصولنا الى هرر . ولما اقتربنا من هرر ولم يبق بيننا و بينها سوى ساعة ونصف أخذ الناس المستقبلون يردون أفواجاً أفواجاً و بينهم كثير من أشراف مكة والمدينة ومن أهالي تركية آسيا والهنود ومن أهالي جزيرة العرب وكلهم يشتغلون بالتجارة هناك فكان جل هذا الجمع راكبين خيولهم و بعضهم مشاة على أقدامهم وكانوا يطلقون مسدساتهم و بنادقهم في الهواء والشبان منهم ينشدون الأناشيد الحماسية احتفالاً بالوفد . وقد ضاق السهل على رحبه وسعته بالناس حتى خيل لي انه لم يبق في المدينة سوى العجائز والأطفال والنساء وكانت تلك الافواج عند اقترابها منا تنزل عن خيولها للتسليم علينا فكنت أضطر في كل مرة الى النزول عن الحصان للتسليم عليهم . و بالجملة كان الاستقبال هنا حافلاً باهراً تظهر منه دلائل الحب والود لان احتفال الناس هذا كان من تلقاء أنفسهم وكان بين المستقبلين مفتي هرر وقاضيها الشرعي وأئمة الجوامع والمساجد . وقد سررت جداً باستقبال الهنود واحتفائهم بنا فانهم كانوا يقدمون لنا المناديل الحريرية ذات

الروائح العطرية وصحاف الورد والزهور المختلفة الاشكال ويرشون علينا من كل جانب المياه المعطرة مثل ماء الملكة واللاوندا وما أشبه

أخذنا نقترب من هرر بهذه الهيئة الحافلة والجمع الغفير وكنا كلما تقدمنا خمس عشرة دقيقة نرى كوكبة من الجنود الحبشية بقيادة ضابط حبشي وبعد ان يؤدوا التحية العسكرية للوفد السلطاني يلتحقون بنا ويسيرون معنا . ولما صرنا على بعد ساعة واحدة من البلد وجدنا جنداً حبشياً يقربون من ألفين واقفين في سهل متسع لأداء التحية للوفد ، ولما اقتربنا منهم ترجّلنا وقصدنا الموظفين المأمورين باستقبالنا وقواد الجيش الواقفين أمام جنودهم فلما رأونا توجهوا هم ايضاً نحونا فالتقينا في وسط تلك الساحة المتسعة . وكان جماعة المستقبلين من قبل الحكومة مؤلفين من قينازماج جنمي وكيل رأس ما كونن وبالمبراس شتى نائبه الثاني وكثير من كبار المستخدمين . وبعد السلام والتحية بلغني قينازماج جنمي أن الرأس ما كونن الموجود الآن في آديس آبابا أنابه قبل سفره باستقبال الوفد بدلاً عنه وانه يهدي رئيس الوفد السلطاني وسائر أعضائه تحياته وسلامه ثم أخذ يعرفني برجال حاشيته والمستقبلين والموظفين الآتين معه . وبعد الانتهاء من هذه الرسوم سرنا قاصدين المدينة ولما دخلناها من باب السور أخذوا يطلقون المدافع من الابراج ايذاناً بقدوم الوفد . وكانت الطرق مزدحمة ازدحاماً شديداً بالناس حتى خيل لي ان هذا اليوم هو يوم الحشر وكذلك أسطح الحوانيت والمنازل مملوءة بالنساء والاطفال وهم يرحبون بالوفد العثماني بالزغاريت (لولولولو) الواصل دويّها مع دوي المدافع الى عنان السماء . سرنا هكذا حتى وصلنا الى قصر رأس ما كونن الكائن في بقعة مرتفعة تشرف على البلد كانت الحكومة خصصته لنزولنا فيه . وهنا أعاد قينازماج جنمي وسائر المستقبلين ورجال الحكومة عبارات الترحيب وانصرفوا بعد أن عرفونا بالرجال الذين خصصوا لمرافقتنا وخدمتنا وقبل ذهاب القينازماج أظهرت له رغبتي في مقابلة المدير النائب عن الحكومة في دار الحكومة فأجاب (انكم الآن في تعب من مشاق الطريق فليكن هذا في يوم آخر)

و بعد وصولنا بقليل وفد قنصل انكلترا وفرنسا وايطاليا للزيارة فأفادوني جدًا بما يعلمونه من أحوال هذه الجهات . و بعد ذهابهم جاء المهماندار (المصاحب الذي أختير لمرافقتي) وأخبرني ان قدجاء لمطبخنا من منزل رأس ما كونين ثور كبير و بعض خرفان و بضع سلال من العنب والموز فامرت بهم جميعهم للجنود والخدمة المرافقين لنا من دريدوه فذبحوا الثور حالاً وسلخوه وجلسوا يأكلونه نيئًا وتكاد الروح لم تفارقه بعد وكنت أشاهدهم من النافذة فلما رأيت هذا المنظر قفلت راجعًا متعجبًا مما رأيت

أما المهماندار المخصص لمرافقتنا فانه رجل من أعيان هرر يسمى سيد محمدالنقيب وهو شاب مليح الوجه أديب مهذب نشيط . ولما أخذنا نستعد للسفر الى (آديس أبابا) فوّضنا اليه أمر ابتياع ما يلزم لنا من الزاد والمؤن وكراء البغال للاحمال والركوب وتقرر ان يكون القيام من هرر يوم السبت

ومن عادات هذه البلاد اذا أراد الانسان السفر من بلد الى بلد ان ينوط الامر برجل يسمى (نجادي) وهو الذي يوجد البغال اللازمة للسفر . واذا كانت البغال عائدة حديثًا من سفر بعيد لا يؤجرونها ثانيًا ولا يسافرون بها الا بعد ان يريحوها الراحة اللازمة و يتركونها ترعى في المراعي زمنًا كافيًا اذ ان البغال والخيل هنا لاتعطى شعيرًا بل تقتات بالكلاء في السفر والاقامة

ويجب على المسافر ان يأخذ معه غير أصحاب البغال (المكارين) طاهيًا لمعالجة الطعام ومساعدًا له وعددًا من الخدم لنقل الماء وجمع الحطب اللازم وقت النزول ولنصب الخيام ورفعها ويجب ان يكون هؤلاء الخدام من الذين تعودوا الاسفار في صحبة السياح . وكثيرًا ما تحدث للسياح والمسافرين عوائق بسبب هؤلاء الناس فلا يتمكنون من تجهيز قافلتهم الا في برهة ١٥ يومًا

وكان قبل انشاء السكة الحديد يستعد المسافر للسفر من الساحل ولكن الآن يستعدون لذلك في دريدوه أو في هرر وهذه الاخيرة هي أحسن لانها مدينة كبيرة

تجارية كما سنصفها في فصل مخصوص لانها محطة لجميع القوافل الذاهبة والآتية فاذا ورد على هذه المدينة سائح أو مندوب مثلنا يأتيه من يرغب ان يكون في خدمته اثناء سفره ويبرز له شهادة من الذي ساح معه قبـل ذلك . ويطلق على هؤلاء الخدام (اسكري) . ويدل هـذا الاسم على انه محرف من كلمة (عسكري) ذلك لانهم يكونون كالجنود طوع أوامر مخدومهم منذ يوم دخولهم في خدمته ولا يبالون باقتحام المهالك حتى الموت في سبيل طاعته وخدمته ويقومون بحراسته ليلاً بالمناوبة والمخدوم يعطيهم الاسلحة اللازمة لهم . والسياح الذين يقصدون الجهات القاصية من أفريقيا ذات المخاطر والمهالك لا يستغنون عن هؤلاء الاسكريين . ويمكن للانسان ان يأخذ لخدمته العدد الذي يريده من هؤلاء والحكومة لا تمانع بذلك أبداً . ولنصف الآن مدينة هرر

هرر

ان الانسان الذي يقترب من هرر آتياً من الشمال أي من الطريق الذي أتينا منه لا يتأتى له رؤية المدينة بسبب وقوعها وراء أكمات هي اكثر ارتفاعاً من المدينة نفسها . والمدينة قائمة على اكمة من هذه الاكمات بيضاوية الشكل مستطيلته لذلك ترى منازلها مشرفة بعضها على بعض ويحيط بالمدينة سور قديم يجعل الدفاع عنها سهلاً

والمنزل الذي تخصص لنا واقع في أعلى نقطة من المدينة فيشرف الناظر منه على أطراف المدينة واكنافها لا سيما اذا كان في الدور الأعلى حيث يظن نفسه انه في البلاد العربية لما يرى امامه من المنازل المشيدة من الحجر والطوب النيء والسطوح المسطحة وعليها النساء المعصبات رؤوسهن يشتغلن اما بتجفيف الحنطة وتنقيتها وجمعها أو بنشر الملابس المغسولة واكثرهن يستعملن الخمار الاحمر

أما طرق المدينة فانها غير منظمة وهي صاعدة هابطة ذات تعاريج وضيق وذلك لانها لم تخطط حين تأسيسها على أصول هندسية لذا كانت ممراتها ضيقة جداً كأنها

في غاية من القذارة ولكون هذه المدينة محاطة من كل جوانبها بالرياض الغناء والاكمات الخضراء فهي تشبه دمشق الشام أو تشبه قصرًا كبيرًا قائمًا في وسط حديقة واسعة الاطراف . ويزرع في حدائقها من الفواكه قصب السكر والموز والبن (القهوة) والعنب والليمون والبرتقال ومن الخضار القرع والخيار والباذنجان والقوطة والفاصولية وما أشبه ذلك . ولكل منزل فناء (حوش أو ديار) واسع مكشوف وفيه الاشجار الباسقة التي تتجاوز بعلوها سطوح المنازل فتزين منظر البلد وتزيد في رونقها . وسبب ضيق طرق هـذه المدينة ما كنا نرى داخلها من أعلى منزلنا ولو لم نرَ بعض النساء على السطوح أو نسمع من حين الى حين صوت الكلاب تنبح أو أصوات الجمال ترغو لظننا ان هذا البلد خالٍ من السكان

ويبلغ سكان المدينة (٤٠٠٠٠) نسمة منها (٣٥٠٠٠) مسلمون والخمسة آلاف الباقية هم خليط من الاحباش والافرنج والارمن والروم . ويظن الانسان لاول وهلة ان الحر في مدينة (هرر) شديد جدًا لوقوعها قرب الدرجة العاشرة من العرض الشمالي لخط الاستواء ولكن ارتفاعها البالغ ١٨٥٦ مترًا عن سطح البحر والرياض والحقول المحيطة بها تجعل طقسها معتدلاً لطيفًا جداً . وقد قال لي القناصل الذين هنا ان درجة الحرارة في هرر لا تتجاوز الستة والعشرين في موسم الصيف الذي يعتدل فيه الهواء لسقوط الامطار الغزيرة . وفي الشتاء يكون معتدلاً بواسطة حرارة الشمس. وموسم المطر في هذه البلاد وفي سائر الاقطار الحبشية والسودانية هو في الصيف أما في الشتاء فانه لا يسقط المطر ويبتدئ نزول الامطار من مايو (مايس) وينتهي في أواخر ستمبر (ايلول) ويبلغ سقوط المطر أشده في شهر يونيو (تموز) ويوليو (حزيران) واغسطس وستمبر . واعتدال هذه البلاد مما يساعد على زرع البن (القهوة) في جوار وضواحي هرر وفي البلاد الحبشية الاخرى حتى ان الجهات الجنوبية الغربية من الحبشة خصوصًا في جهات بلاد (كافا) ينمو فيها شجر البن نموًا عجيبًا بحيث يصير كالغياض والغابات الطبيعية . ولعل الناس أخذوا اسم القهوة من اسم بلاد (كافا)

الآنفة الذكر التي تنبت فيها أشجار البن في حالة طبيعية . وتوجد أشجار البن في هرر وضواحيها بكثرة

يمر من هرر نهير يسمى (ارر) وبعد ان يقطع مسافة الف كيلومتر باراضي الصومال واوجاده يغور في الرمال قبل ان يصل الى البحر . وتأتي النساء كل يوم أفواجاً أفواجاً من القرى والمزارع المجاورة لهرر بالحب والدجاج والعسل والزبدة ويجلسن في ساحة خاصة للسوق ويبعن ما معهن من السلع والمأذون لها من وليها بصرف قسم من الدراهم ترى من الواجب عليها ان تشتري قبل ايابها الى القرية حلياً تزين بها نفسها ويجعلها محبوبة في عين الناظر اليها فتذهب بعد بيع سلعها الى الصائغ وهو بائع الخرز فتقف امامه وتأخذ في تقليب العقود والاساور والخواتم فتغير وتبدل وتلبس عقداً وتنزعه ثم تلبس خاتماً ثم تنزعه ثم اسورة كذلك وهكذا تبقى بين تردد واحتياط حتى يستقر رأيها على شيء وربما استشارت رفيقاتها عدة مرار وفي النهاية تنتخب اسورة مثلاً وتأخذ المرآة بيدها لترى نفسها فتطيل النظر في المرآة وبعد ان تبتسم عن أسنانها البيضاء تدفع الثمن واذا لم يكن عندها مرآة فانها تبتاع واحدة اذ من الضروري ان ترى نفسها هي أيضاً كما يراها الآخرون وهي بحليها ومصاغها . لذلك يروج الخرز (وهو مصنوع تقليداً للأحجار الكريمة) والمرايا رواجاً عظيماً في هذه الأقطار فعلب الخرز التي في أسواق هرر كل سنة يبلغ عددها (١٠٠،٠٠٠) علبة في كل علبة (٦٠٠٠) خرزة والمرايا يبلغ عددها (٣٠٠،٠٠٠) وهاته الأصناف تأتي الى الحبشة من تريستا وألمانيا . ومن الاصناف الرائجة في التجارة بعد الخرز الأقمشة الافرنكية . والاكثر رواجاً من هذه الاقمشة هي ذات اللون الاحمر والازرق لان نساء هرر يرغبن الاقمشة الملونة بهذين اللونين ويلبسن الكساوي المعمولة منها . أما التجارة فان القسم الاعظم منها في يد فرعي التاجرين الهنديين محمد علي وطيب علي اكبر . ومركز تجارة هذين التاجرين المسلمين هي في (بومباي) وتجارتهما واسعة ومحلهما كبير جداً . ويوجد غير ذلك تجار من الارمن والاروام

والفرنساويين والطليان وغيرهم وكل هؤلاء التجار يعترفون بعدم استطاعتهم لمجاراة التاجرين الهنديين السابق ذكرهما في التجارة لان معيشتهما المبنية على الزهد والقناعة تمكنهما من بيع سلعهما بأرخص ثمن وبأقل ربح وهذا مما لا يقدر عليه الاوروبي أبداً . وقد ابتعنا كل ما يلزم لقافلتنا من هذين التاجرين . وتجارة الهنود في هذه الاقطار قديمة جداً . والمصنوعات الأوروبية لم تأت الى هذه البلاد بكثرة الا بعد فتح ترعة السويس أما البضائع الهندية فانها كانت تأتي الى افريقيا من قديم الزمان عن طريق زيلع قبل تأسيس ثغر جيبوتي . ولما كنا في جيبوتي بحثنا عن ارز مصري لنبتاع منه فلم نجد له اثراً فيها فارتضينا بالارز الهندي وهنا كذلك لم نجد الارز المصري على أن المسافة بين مصر وبين جيبوتي ليست الا بضعة أيام . أليس بعجيب أن لا يرد اليها الأرز المصري ؟

يرى من دور منزلنا الاعلى اكبر أسواق المدينة وهو ساحة متسعة تزدحم كل يوم بالبائعين والمشترين . والحوانيت الشبيهة بالاكواخ مبنية اما في وسط الساحة أو على أطرافها ويوجد بهذا السوق كل ما يوجد في المدن مثل الجمال والبغال والحمير والبقر والخراف والماعز والدجاج والذرة والبصل واللحم ويؤتى بكل هذه الاشياء من القرى المجاورة . ويرى الناظر امامه في السوق منظراً جميلاً بسبب شدة الازدحام وتنوع ملابس الناس المختلفة الاشكال فالاحباش عامة يرتدون ثوباً يسمى (شما) مصنوعاً من القماش الابيض . والشما التي يرتدونها هي ثلاث قطع فالطرفان أبيضا اللون والوسط أحمر اللون فيخيل لمن يرى الرجل في ردائه انه علَم يمشي أو شخص مرتد بعلم وكثيرًا ما يرى بعض اكابر الاحباش وفي أيديهم انواع من المظلات الغريبة الاشكال التي تليق ان تعلق فوق حوانيت بائعي الشمسيات لتقوم مقام اعلان أو دليل (يافته) على المحل فقد جرت العادة ان تكون الشمسيات ذات لون واحد أما هؤلاء فيحملون شمسيات ذات لون فضي زاوية من زوايا الشمسية القائمة قطعة بلون يخالف الآخر بحيث تصير التسمية جامعة لكل ألوان قوس قزح . وهذه الشمسيات

تُصنع لهذه البلاد خاصة لانها مقبولة ورائجة عند القوم والحبشي يحمل الشمسية لاظهار التأنق لا لاتقاء حر الشمس لان أغلب الاحباش رؤوسهم عارية . وقد أخذ منذ مدة يتفشى لبس القبع بين الاكابر من مسيحي الاحباش

يرى من هرر جبل عالي يسمى (غوندور) يرتفع على سطح البحر ٣٢٠٠ متراً . وكان قديماً يرسل محصول البن من هذه البلاد الى (مخا) ومنها يصدر الى الخارج فسمي البن باسم (موقا) والى يومنا هذا يباع في اوروبا تحت هذا الاسم ويظن الكثيرون ان (مخا) هي بلاد البن ومحل زرعه على انه من محصولات هرر وضواحيها . وقد قامت الآن عدن بدل (مخا) ومع ذلك فان اسم موقا لم يزل الى الآن يطلق على البن الآتي من هرر عن طريق عدن. وقد كان رؤوف باشا أحد القواد المصريين احتل هرر وما يتبعها بالجنود التي كانت تحت امرته عام ١٨٧٥ وذلك بعد تفويض أمر ادارة ساحل البحر الاحمر الافريقي للخديوية المصرية . وفي اثناء فتنة المتمهدي سنة ١٨٨٤ أخلى المصريون هرر من جنودهم وتركوا المدينة لرجل يسمى عبد الله كان أمير المدينة قبل احتلال المصريين لها . فقام هذا المغرور بضع مئات من البنادق كانت تحت أمرته وأنزل العلم العثماني ورفع بدلاً عنه علماً خاصاً به وأوصله الجهل الى ان تجرأ وانتحل لنفسه لقب أمير المؤمنين وأمر بقراءة الخطبة باسمه ولم يكتف بذلك بل أرسل الى منليك سجادة صلاة وكوزاً وطستاً للوضوء فدعاه الى اعتناق الاسلام وهدده بالمسير اذا لم يجب طلبه . وأما منليك فقد بعث اليه يلاطفه بكلام لين ولكن عبد الله لم يصغ لاقواله فنشبت الحرب بينهما سنة ١٨٨٧ فدارت الدائرة فيها على عبد الله فوقع هذا الغر أسيراً بين يدي منليك ودخلت هرر في قبضة امبراطور الاحباش ولا تزال كذلك الى الآن . وأما عبد الله فان الامبراطور منليك رتّب له راتباً من الحكومة وأمره ان يقيم في هرر وهو الآن منزوٍ فيها لا يقدر على مقابلة الناس خجلاً وحياء مما صدر منه من الهفوات التي أذهبت بلاده . ولما كنت في هرر جاء أخوه لزيارتي. وأما حكاية عبد الله هذه فقد سمعتها من الالبانيين والاكراد

ما كونن قتله في الصيد . والصيد في الحبشة من ملاهي الكبار والاعيان والرؤوس حتى النجاشي نفسه . واذا صاد أحدهم حيوانًا من الحيوانات الوحشية يعلق ذنبه على باب منزله وتقام لتعليقه احتفالات ومآدب مخصوصة . ومن يقتل أسـدًا أو نمرًا يعلق شعر الحيوان على رأسه في الايام الرسمية والتشريفات وفي المواسم والاعياد كعلامة شرف أو اكليل فخار ولا يحق لمن لم يقتل من هذه الحيوانات الكاسرة وضع شعر على رأسه واذا وضع يتهم بارتكاب التزوير والغش والتدليس .

وفي الرابع عشر من مايس (مايو) أعدت الزيارة لقينازماج جنمي وكيل الرأس ما كونن ولجميع القناصل . ومنزل القينازماج مبني من دوربن . وأما دور القناصل فمن دوربن فقط وليس بينها و بين منازل آحاد الناس فرق من الخارج وانما متى دخل اليها الانسان يرى الانتظام التام والنظافة والترتيب ويكاد ينسى نفسه انه موجود في هرر . وقد رأى الوفد السلطاني من القناصل لا سيما المستر جون القنصل الانكليزي والموسيو جابريل جينوتي القنصل الفرنسوي واليوزباشي سترني القنصل الطلياني غاية الاكرام والاحترام وكرم الاخلاق وقد أرادوا ان يعدوا المآدب للوفد ولكن اعتذرت لهم بضيق الوقت فقبلوا عذري وقد بينوا غير مرة استعدادهم لمعاونة الوفد السلطاني بكل ما يقتضي له فكنا نشكرهم على عنايتهم هـذه أحسن الشكر . وكذلك جاءنا الموسيو قارره وكيل الموسيو شفنو الذي له المقام السامي لدى بلاط النجاشي منليك والحائز على شهرة عظيمة في البلاد الحبشية والموسيو آدولف ميشل وكيل الموسيو ايلج ومدير التلغراف في هرر و بلّغانا السلام من قبل موكليهم ثم عرضا أنفسهما للقيام بخدمتنا حتى نصل الى آديس آبابا ، ولكن بسبب استكمالنا معداتنا لم أر لزومًا لمساعدتهما فشكرتهما أيضًا على ما أظهراه من الميل لنا وكلفتهما ابلاغ شكرنا وامتناننا الى موكليهما . وقد زارني أيضًا الدكتور جان كوزما مرارًا لما ألمّ بي من المرض اثناء وجودنا في هرر . و بالجملة ان الوفد حيثما حل في رحلته هـذه كان يرى بظل الحضرة السلطانية ضروب الاحتفاء والاحتفال والاكرام والاحترام

يوجد في هرر عدة مساجد جامعة أدّينا صلاة الجمعة في الجامع الكبير منها الكائن امام القصر فكانت أنظار المصلين كلها متجهة الى أعضاء الوفد حين وجودنا في الجامع . وقد تأثرت تأثرًا شديدًا حتى دمعت عيناي لما سمعت الخطيب وهو يدعو للحضرة السلطانية و يؤمّن على دعائه قدر الفين من المؤمنين الموحدين . نعم ان هذه العادة جارية في كل الممالك الاسلامية ولكن العثماني الصادق لا يملك نفسه من التأثر عند سماع ذاك الاسم الفخيم يذكر بالتبجيل والتعظيم في ممالك شاسعة يقطع اليها الفيافي و يجوز البحار وهي غير مطروقة بالعثمانيين . هذا وقد سمعت المصلين بينما هم يخرجون من المسجد بعد الصلاة يدعون أيضاً بحفظ صاحب الخلافة و بتوفيقه ومن هذا يظهر ان قلوب الموحدين أينما كانوا بعدوا أو قربوا مرتبطة بذاك المقام الاسمى ارتباطاً متيناً أساسه الدين . فما أعظم هذه الرابطة وما أسمى هذا الدين الذي يجعل المؤمنين كلهم كجسم واحد

السبت ١٥ مايس مايو

السفر من هرر

المرافقة — رحل من البضائع — البغال الحبشية — القيام من هرر — عدد أفراد القافلة الخدمات السفرية — صواوينا — دور'و — الحاج يوسف طباخنا — خبز سهل — الطعام مخفياً .

—

كان أصحاب البغال الذين اكتريناهم يأتون كل يوم لمنزلنا ويرون الطرود واحداً واحداً ويزنون بأيديهم ثقلها فاذا وجدوا طرداً ثقيلاً أو تخيّل لهم انه ثقيل عزلوه عن باقي الطرود بحجة ان البغال لاتقدر على حمله فكنا نجاريهم على رأيهم فننقص من الاشياء الموجودة ضمن الطرود . وفي هذا اليوم وهو يوم السفر أتى أصحاب البغال من غير بغالهم فأنزلوا كل الطرود ووضعوها في الفناء . ولما كان أصحاب البغال عدة أشخاص أراد كل منهم ان يأخذ الأخف من الطرود والصناديق ليحمله على بغله . فلم يمض بضع دقائق حتى قامت قيامة هؤلاء المكارين واشتبك بينهم الخصام وعلا الصراخ والصياح دون ان يسمع بعضهم مايقوله الآخرون . وما كنت افقه مايقولون لعدم معرفتي باللغة الحبشية ولكن كنت أسأل من المهماندار عن سبب هذا الخصام . وكان معهم رئيسهم المسمى (بنجادي) فلم يستطع اسكاتهم وكيف يستطيع ذلك وأصواتهم العالية قد بلغت عنان السماء . فلما رأيت ذلك عيل صبري فأرسلت الى الفينازماج جنمي وأخبرته بالواقع فأرسل من قبله رجلاً يسمى (آتو جاناخ) . فلم يكد هذا المأمور يضع رجله في الفناء حتى انقطعت الأصوات وخمدت الأنفاس . فجاءني الأتو وبلغني سلام فينازماج جنمي ثم أخذ بروئية الطرود وتقدير ثقلها بيده وبعد ان أتم عمله هذا صعد على أضخم طرد وأعلاه ووضع رجله اليمنى على اليسرى

و بطن البغل عدة لفات ثم يأتي اثنان من المكارين فيمسك كل منهما بطرف السير واضعاً رجله الواحدة على الارض والأخرى على بطن البغل ويشدان السيور بكل قوتهما حتى يصغر بطن البغل المسكين وتلتصق السيور و يبرز جلده من خلال السيور بحيث لا تعود ترى تلك السيور و يصبح الحمل وجسم الحيوان كأنهما قطعة واحدة. وقد اعتادت البغال مع التمادي على هذا العذاب وتكون في مكان السيور من جسمها طبقة خشنة ربما تقيه ولو قليلاً من هذه الآلام. وكلما كانوا يحملون بغلاً يتركونه وشأنه و يذهبون لتحميل آخر فينام الاول و يتمرغ على الارض ويقوم ويمشي ويرعى والحمل على ظهره لا يتزحزح من محله لانه أضحى هو والبغل قطعة واحدة كما قلنا آنفاً

وفي الساعة الواحدة بعد الظهر انتهى تحميل البغال فقمنا مع القافلة من هرر وأرسلت الحكومة معنا نفراً من الجند تحت قيادة صف ضابط (جاويش) ومشى معنا القينازماج وسائر المأمورين لوداعنا

و بعد سير ساعتين نزلت القافلة على سفح اكمة تسمى (قارصة) وكان معنا وقتئذ البغال المأخوذة احتياطاً ما عدا بغال الركوب و بغال الاحمال فبلغ عدد جميع بغال القافلة نحو أربعين بغلاً. ولما نزلنا واسترحنا ضبطت عدد وأسماء النفوس الموجودة بالقافلة

(أنظر الاسماء بالصحيفة التالية)

وها هي الاسماء أوردها هنا نموذجاً للاسماء الحبشية :

(أعضاء الوفد)

أنا . البكباشي طالب بك . الجاويش يسين افندي . ابراهيم بكر افندي . شوكت افندي

(الجنود الحبشية)		(البغالة وعددهم عشرة)	(الاسكريين اي الخدمة وعددهم أربعة عشر)	
أبو بكر	جاويش	عيالالا نجادي	الحاج يوسف	طاهي
عمر	جندي	لمما	جمعه	
عثمان	«	بوقوللا	أحمد	
حسين	«	شفاو	محمد	
أتمي	«	بلاي	عبد الرحمن	
		آديس	علامو	
		حيلو	محمد	
		بوتقاس	غرادو	
		اغا	نورو	
		بواط	دوغوبا	
		عيالالا	واق غيرا	
		قبر مريم	بشرا	
		غوشو	علامو	
		زكارترادا	عبد الرحمن	مارمطون الطاهي
		كزمو		

وقد انضم الى قافلتنا بعض الفقراء من أهالي البلاد بكفالة الخدمة للذهاب الى آديس آبابا من غير أن يكلفهم ذلك شيئاً من الدراهم فبلغ عدد القافلة ٤٠ شخصاً



جنودنا وخدمنا

و ٤٠ بغلاً . ولما وضعت القافلة رحالها أخذ الخدمة يؤدون وظائفهم فالبعض منهم كان يشتغل بنصب الخيم والبعض بوضع الصناديق والأحمال ضمن الصواوين وترتيبها والبعض ذهب ليحتطب والبعض اشتغل بنقل الماء الى المطبخ

ونقل الماء والحطب هي خدمة ذات أهمية في القوافل التي تسير في هذه الفيافي لان القوافل مضطرة أن تنزل على بعد ٨٠٠ متر من الينابيع او الأنهار ابتعاداً عن أذى الحيوانات المفترسة كالأسد والنمر والذئب التي ترد على الماء ليلاً . أما الحطب فانه لازم جداً لطرد الحيوانات باشعاله ليلاً على أطراف القافلة فلا تقرب من محل نزولها . ويقوم الجنود والخدمة بالمناوبة بحراسة القافلة وبايقاد النيران على أطرافها فتخافها الحيوانات الوحشية فتهرب منها ولولا ذلك لهاجمتنا الحيوانات المفترسة وأتلفت كثيراً من البغال والبهائم التي ترعى قربنا

ويغلق ليسهل حمله معنا ومائدة (طاولة) صغيرة وحقائب الملابس وما أشبه . ويعلق الملابس والأسلحة والحقائب الصغيرة في المسامير الموجودة على عمدان الصواوين . وأما صناديق الزاد والذخائر فانها مستورة بطبقة من الزنكو لحفظ ما في داخلها من وصول الماء اليها

بينما كنت مشتغلاً بكتابة وصف مساكننا اذ رأيت نساء ورجالاً من الأحباش مقبلين على محلتنا يحملون على رؤوسهم سلالاً وأوعية حتى اذا بلغوا المحلة استقبلهم أبو بكر وأتى بهم اليَّ ولما دخلوا الصيوان أدى الرجل الذي كان ماشياً امام الجميع السلام باحناء رأسه الى الارض فقال لي أبو بكر ان هذا الرجل شوم (عمدة) القرى الكائنة قرب محل نزول القافلة وانه أحضر (الدورغو) فقلت لابي بكر وما هو الدورغو ولمن أتى به ؟ فاجاب ان العادة في الحبشة ان يقوم الاهالي لتقديم ما يلزم من الزاد والذخائر لجنود وضيوف الامبراطور عند مرورهم على كل بلد من بلادهم ولكونكم أنتم خير ضيوف النجاشي فقد أرسلت السعاة لكل الجهات لاخبار الاهالي بقدومكم ليؤدوا الواجب عليهم في مثل هذه الاحوال . فقلت له اننا والحمد لله في غنى عن ذلك لا سيما وان لدينا من الزاد والمؤن ما يكفينا ذهاباً واياباً ثم امتنعت عن قبول الدورغو فقال أبو بكر ان كل ما يأتي به الاهالي ليس هو تكرماً منهم بل ان كل ما يقدمونه لضيوف النجاشي يحتسبونه من أصل الضرائب التي يؤدونها للحكومة اذن الدورغو هو من أموال النجاشي والحكومة فلا يليق والحالة هذه رد اكرام الامبراطور . فاضطررت حينئذ لقبول الدورغو . وكان أبو بكر يتكلم معي وعيناه ترمق الدجاج وسلال المؤن والمأكولات الموجودة على رؤوس النساء والرجال . ولما أفهم أبو بكر الشوم انني قبلت الدورغو انحنى هذا امامي فاخذ يقول (ازكا اصطلى دهناي اصطلي دجنو) وقد فهمت من حركاته وكيفية كلامه بانه يشكرني على قبول الدورغو . واستلم أبو بكر السلال من الاحباش فارسلنا قسماً منها الى المطبخ والباقي فرقناه على الجنود والخدمة . وأما الدورغو فانه كان عبارة عن دجاج

و بعد الفراغ من تناول الطعام أخذت الحركة في القافلة تقل شيئاً فشيئاً حتى نام الجميع ما عدا الديدبان (الخفراء) القائمين بحراسة القافلة وايقاد النيران حولها . وكنت كلما استيقظت أنهض لأتحقق بنفسي ان كان الحراس قائمين بواجباتهم أم لا

ولم نجبرهم على تحميل الاثقال امام أعيننا لقضي معظم النهار قبل ان نقوم من هذا المحل الذي أحبه المكارية لكثرة نباتاته وحشائشه .

بعـد ان سرنا مدة في أراض مزروعة أخذنا نتسلق آكمات جبل (قلوبي) فصرت أرى نفسي كأني في جبال سويسره أو جبال الاناضول (آسيا الصغرى) وغاباتها وكنا نرى من أشجار الراتينج والصنوبر ما يزيد طولها عن ٢٥ متراً ومن أشجار العفص ما ينيف طولها على ١٥ متراً ومن أشجار الزيتون والجوز ما يزيد جسامة عن جسامة الدلب . والارض تحت هـذه الاشجار مستورة بطبقة خضراء من الحشائش كالزمرد . هذا غير الاشجار الغريبة الجنس التي ما كنا لنعلم أسماءها . وأصناف الطيور التي تتطاير على أغصان هذه الاشجار كثيرة كأصناف الاشجار وكلها تغرد باصواتها اللطيفة و بالجملةفكان يد القدرة خلقت هذه الغابات لتكون معرضاً أو انموذجاً للاشجار والطيور

وما كنا نحتاج لفتح المظلة بالنظر لعدم نفوذ أشعة الشمس التي كنا لا نراها الا من خلال الاغصان من حين الى حين

و بعد أن سرنا ثلاث ساعات ونصف وكنا قد خرجنا في طريقنا من الغابات قليلاً ودخلنا بين حقول ذرة نزلنا تحت بعض أشجار الراتينج وجلسنا على الطنافس التي كانت معنا فتناولنا طعامنا في هذه الروضة الطبيعية . وكنا نرى كثيراً من المعز ترعى بين هذه الحقول والغريب من هذه المعز أنها لا تمس الذرة وعيدانها بل تأكل كل ما تجـده من الحشائش الطفيلية النامية من نفسها بين الذرة . و بذلك ترعى وتتغذى من جهة وتخدم الحقل والزرع من جهة اخرى . وقد علمت ان هذا الجنس من الماشية قد تعوّد ذلك . كنا نتناول طعامنا ونتأمل أسراب المعز بين حقول الذرة وقطعان البقر والغنم والحمير التي كانت ترعى في المراعي الطبيعية ونسرّح الطرف في الاشجار وما عليها من الطيور الغريبة الاصناف ونتفرج على نفر من أولاد الفاللا كانوا يسبحون في بركة ماء قريبة منا

وصادفنا في هذه الغابة قافلة ذاهبة الى هرر حاملة كثيراً من البن

و بعد ان سرنا ساعتين نزلنا في بقعة تشرف على مراعٍ واسعة ومروج زمردية اللون من كثرة الاعشاب والحشائش وجلسنا على الطنافس التي فرشت تحت الاشجار الجسيمة نستريح قليلاً و بينما كنا نتناول طعامنا اذ مر بنا بضع نسوة فاستوقفت نظري مخلاة معلقة على ظهر احداهن وفيها طفل صغير فعلمت ان النساء الحبشيات يحملن صغارهن على ظهورهن ضمن مخلاة ولا يفارقنهم قط في ذهابهن وايابهن وقيامهن وجلوسهن

وعلى هذا المنوال ينمو الطفل على جسم والدته كما ينمو الغصن الصغير على الشجرة. والناظر لا يرى من الطفل سوى الرأس الذي لا تؤثر الشمس عليه قط مع ان الابيض لا يقدر على الوقوف في الشمس خمس دقائق من غير مظلة . لان شمس هذه البلاد مؤثرة جداً فاذا أصابت الانسان بضربة منها يلتهب الدماغ و يقضى على المصاب في الحال . واذا بكى الطفل اثناء سير الأم فانها تسحب المخلاة اما على اليمين أو على الشمال وترضعه وهو في كيسه و بعد الفراغ من ارضاعه تنتفض فتذهب المخلاة الى محلها القديم على ظهر المرأة

سرنا بعد الطعام مسافة ساعة ثم وصلنا الى مرجة خضراء واسعة تدعى جالنقو تحيط بها هضاب ذات أشجار كثيرة ونزلنا بها وقد كان عبـد الله الذي مر ذكره انهزم في حربه مع الاحباش في هـذا المحل . ورأينا طابية حربية باقية من زمن المصريين مبنية على اكمة واقعة ازاء هذا المحل . وهنا قام الاتومجي باكرامنا غاية الاكرام . وقد أخذ البرد يشتد ليلاً يوماً عن يوم حتى اني اضطررت ان أدفأ داخل الخيمة بالنار لأزيل الرطوبة فكنا نشعل الحطب خارج الخيمة حتى اذا صار جمراً ندخله الى الخيمة .وقد أزعجتنا الذئاب والضباع بصراخها وعوائها طول الليل ولكن أخذنا نتعود ذلك كما يعتاد الانسان عواء الكلاب

يوم الاربعاء ١٩ مايس (مايو) مرحلة دررو

بوركا — فتك الوباء البقري — التلفون والتلغراف — طعامنا

ولما أصبحنا أخذنا في الاستعداد للرحيل وسلمنا الصناديق والحقائب للمكارية وقمنا في الساعة الثانية عشرة عربيـة وصرنا نسير تارة بصعود وطوراً بنزول الى ان قطعنا مرجة واسعة وكانت المناظر جميلة جداً كالسابقة من حيث الاشجار الجسيمة ذوات الظل اللطيف والمراعي الواسعة والسفوح المزروعة وما فيها من الحيوانات الاهلية والقوافل السائرة ذهاباً واياباً

وتسمى هـذه الارض التي نقطعها الآن (بوركا) وكانت قبلاً اكثر عمراناً وسكاناً ولكنها فقدت جانباً عظيماً من عمرانها وسكانها من فتك الوباء البقري الذي كان تفشى في البلاد الحبشية عام ١٨٩٠ وأورث البلاد خسائر جمة . وكان أول ظهور هذا الوباء القتال في ولاية تيغري وسرى الى جميع الاقطار الحبشية ما عدا بعض المحلات (وبوركا) هذه هي المقاطعات التي فتك فيها فتكا ذريعاً وأباد جميع أبقارها فلم يجد السكان المواشي اللازمة لحرث حقولهم وزرعها . فقامت الحكومة في السنة الاولى ببعض ما يلزم من الحبوب لميشة الناس ولكنها لم تقدر في السنة الثانية على مد يد المساعدة لهم فلذلك أصابهم القحط وبسبب الجوع تفشى مرض التيفوس والجدري والكوليرا فابادت كثيراً من السكان حتى اني سمعت من بعضهم بان الذين سلموا من الامراض كانوا ضعافاً نحافاً حتى ان الاسود والنمور والذئاب كانت تهجم على القرى وتفترس الرجل امام بقية السكان ولا يقدر أحد من هؤلاء على المدافعة لعجزهم

وبعـد ان سرنا ثلاث ساعات نزلنا تحت ظل بعض الاشجار وتناولنا طعامنا

والطيور تشنف أسماعنا بالحانها حسب المعتاد .واسترحنا مقدار ساعة ثم استأنفنا السير الى ان وصلنا الى (دررو) . وهـذا المحل واقع على اكمة خضراء كسائر الهضاب التي مررنا بها مستورة بالاشجار . وقد وجدنا هنا مركزًا للتلفون وترتبط هرر بثغر جيبوتي بواسطة سلك برقي (تلغراف) من جهة و بعاصمة الحبشة بسلك آخر من جهة أخرى . و يوجد في مكاتب آديس أبابا وهرر وجيبوتي البرقية عدد للتلفون غير عدد التلغراف و بذلك يتسنى للاهالي وخصوصاً للتجار ان يكلم بعضهم بعضاً عند ما يكون الجو صافياً والطقس مساعدًا وأما المراكز الصغيرة الموجودة بين المدن الثلاث المذكورة فليس فيها سوى عدة تلفون فقط وفي كل مركز يوجد موظف . ومن شاء ان يكلم أي مركز من مراكز التليفون فما عليـه الا ان يدفع ريالاً واحدًا لمدة عشر دقائق

واذا لزمت المخابرة بالتلغراف بين المدن الثلاث المار ذكرها فان المأمورين الموجودين بمراكز التليفون المتوسطة تفتح لها طريق المخابرة ومع ذلك فان المخابرات ليست على ما يرام من السهولة لبعد المسافة ولعدم اطراد الطقس والجو قرب آديس أبابا وكثرة حدوث الانواء الشديدة وسأذكر مكتب التلغراف وأصفه باسهاب بعد وصولنا الى آديس أبابا وزيارة هذا المكتب

أما مركز التلفون في هذا المحل فانه عبارة عن كوخ مثل سائر اكواخ الاحباش جدرانه الاربعة البالغ ارتفاعها أربعة أمتار مبنية من أشجار شائكة (سياج) على شكل دائرة وأركز عمود في وسط الكوخ كعمود الخيام ومدد من هذا العمود عواميد أخرى واصلة الى الحائط وربطت مـع بعضها بخيوط مصنوعة من النباتات المعرشة وغطي هذا السقف بالنباتات والحشائش الرفيعة ويشبه هذا الكوخ في شكله خيمة ذات أطراف واسعة وللكوخ أطراف بارزة من الأعلى لمحافظة الحيطان وباب يغلق ويفتح

والارض في داخل الكوخ مفروشة بالنباتات والحشائش اليابسة حيث يوجـد

مقعدان الواحد لجلوس الشخص الذي يريد التكلم والآخر لمستخدم المحل

ويرى الداخل الى الكوخ في ركن من أركانه كثيراً من الاسلاك والفناجين المصنوعة من الخزف الابيض لوضعها على رؤوس العواميد لابعاد التيار الكهربائي عن كل ما يلامسه

وبعد ان قضينا ردحاً من الزمن بالكلام وتناولنا عشاءنا انسحبنا الى خيمتنا للراحة والمنام . ربما يوجد بين القراء من يسأل عما كنا نأكله في طريقنا لذلك رأيت ان أدرج هنا أسماء الاطعمة التي كنا نتناولها :

كان طعامنا وقت الظهر يؤخذ من طعام المساء ويوضع في المطبقيات (طاسات) وهكذا يحفظ لليوم الثاني . أما طعامنا هذا فكان مؤلفاً من شوربة عدس وكستلتا من لحم الضاني بالبطاطس ودجاج محمر وكفته شامية (كيبة) محمرة وخشاف البرقوق وزيتون وجبنه

يوم الخميس ٢٠ مايس (مايو) مرحلة (طوللو)

حفظ المراثم في الطريق — الآنية الموضوع فيها الذخائر — القرى في هذه الجهات — المطر الشديد — رحلة الرأس من محل الى محل — الأكواخ الوقتية —

——

لم يمر من الليل قليل حتى علمنا من شدة البرد اننا في ارتفاع زائد جداً عن سطح البحر ولما أصبحنا وجدنا ضباباً كثيفاً غطى كل الاطراف حتى ان الانسان يستحيل عليه ان يرى أمامه من مسافة عشرين متراً . وقام المكارية الذين كانوا عكوفاً أمام النيران المشتعلة يديرون تارة وجوههم الى النار وطوراً ظهورهم ليدفئوا أنفسهم وأخذوا يحملون الاثقال ولما كملوا تحميلها سارت القافلة وكان وقتئذ قد انقشع الضباب قليلاً . وانحدرنا من الجبل الواقع عليه (دررو) ومشينا في صحراء (بوركا) مدة ساعتين . وهذه الصحراء مستورة كلها بالخضرة والأكمات والجبال المحيطة بها كانت مزينة بالأشجار . وفي منتصف الساعة الرابعة وصلنا الى نبع ماء يسمى (بوركاماچللا) وقد وجدنا هذا المحل من ألطف ما يكون وهو واقع على سفح جبل وينابيع الماء الصافي تحت ظل الاشجار الكبيرة تشكل حوضاً طبيعياً . ولكن ويا للأسف لم نقدر على النزول او الوقوف هنا لاننا وجدنا الماء معكراً تعكيراً شديداً من كثرة الجواميس النازلة تستحم فيه والنساء الحبشيات اللاتي يغسلن ملابسهن وحوائجهن وصار الحوض كأنه بركة من طين فاضطررنا ان نبتعد وننزل تحت أشجار واقعة على بعد ٣٠٠ متر من هذه الينابيع . ولم تكن المراعي التي امامنا عارية من الشجر بالمرة بل كانت الاشجار ترى فيها متفرقة هنا وهناك وفي بعض المحلات كانت آخذة هيئة غيضة كبيرة . وكان على الشجرة التي نزلنا تحتها سرب من النسور العظيمة يبلغ عددها عشرين او ثلاثين وتناولنا طعامنا واسترحنا قليلاً وكان في مائدتنا زيادة على المأخوذ

كنا نرى قطيعاً من الغزلان يرعى على الجبل الواقع امامنا وكانت هذه الحيوانات على غاية من الخوف والوجل لانه كان الرأس ما كونن قدمز من هنا قبل أسبوعين فاحاطت رجال حاشيته بهذا الجبل وطردوا الغزلان منها الى السهل واصطادوا ١٥٠ منها فالباقي كان لذلك وجلاً جداً . وعند ما يقوم أحد الرؤوس في البلاد الحبشية راحلاً من محل الى محل ينضم اليه سكان البلاد التي يمر منها نساء ورجالاً كباراً وصغاراً وعلى هذا المنوال يجتمع بمعيته ألوف من الناس وزد على ذلك الذين يأتون الى قافلة الرأس كل يوم مساء (بالدورجو) أي الاتاوة بقطعانهم وحيواناتهم وذخائرهم فمن ذلك يكون محل نزول الرأس كمحشر . وليس لهؤلاء الناس خيام سوى بعض أفراد من أكابر رجال الرأس وأما الباقون فانهم يصنعون لانفسهم اكواخاً في غاية البساطة من بعض أغصان الاشجار يغرزون أسفلها في الارض على شكل دائرة صغيرة . ثم يوصلون القسم الأعلى من الاغصان مع بعضها فيربطونها معاً ثم يغطون أطراف الكوخ وأعلاه بالنباتات المجففة . ويسهل جداً لكل واحد صنع كوخ في الحال لكثرة الغابات والاحراش . وعند قيام القافلة وتحركها تبقى تلك الاكواخ على حالها . لذلك كنا نرى على طريقنا كثيراً من هذه الاكواخ الخالية المتروكة في المحلات التي نزل بها الرأس المشار اليه

هنا وقف أحد المكارين وأخذ ينادي بأعلى صوته رجلاً كان على مسافة بعيدة قائلاً « بوغا كي بوغا كي هو » وكلما كرر الاسم ثلاث مرار يأتي بكلمة هو مرة فذكرني هذا النداء العادة المتبعة عند نساء الاستانة حيث تقول احداهن عند ما تنادي جارتها (فلان هانم هو) وأظن ان هذه القاعدة أتى بها الجواري الحبشيات ولقنتها السيدات في الاستانة

استمر نزول المطر ساعة ونصف ثم انقطع فتمكنا حينئذ من القيام بامور المطبخ وكان هذا المساء طعامنا شوربة ارز ودجاجاً بالبسلة ومحمر الطير المعروف باسم (طرغل) ومقارونا مصنوعة مع البطاطس وكبد الدجاج ومنقوع القمر الدين . وقد ورد لنا

هذا المساء قصب سكر مع الدورغو

وكانت الرطوبة شديدة جدًا حتى اني اضطررت ان أدخل لخيمتي من جمر النار لازالة الرطوبة والتدفئة من شدة البرد وقد زدنا هذه الليلة اضرام النيران لكثرة الوحوش الكاسرة في هذه الارجاء وكنت قلما أصحو من النوم ليلاً الا وأحقق بنفسي هل النوبتجية قائمون بوظائفهم أم لا

ذات تلال منحطة ووديان ويرى من هذه الجهة بالافق جبل (عصبوت) الاكثر ارتفاعاً في هذه البلاد بعظمته الكاملة

كان طعامنا هذا المساء شوربة الارز ومشوي لحم العجل بالبسلة وكفتة البرغل وارز مفلفل ونوع من الحلوى يصنع من العجين والعسل والبيض

وفي الليل هبت زوبعة شديدة ونفخت الخيام كما ينفخ الريح قلوع السفن ولم يمض الا قليل حتى سقطت خيمتي علي وأنا فيها فازعجت طول الليل ولكن من حسن الحظ ان المطر الذي كان مصاحباً للزوبعة لم يكن شديداً كهبوب الرياح

يوم السبت ٢٢ مايس (مايو) مرحلة قوني

صاعقة خفيفة كضربة كرباج — المطر , الطين , الرطوبة , البرد — على ارتفاع ٣٠٠٠ متر عن سطح البحر

قمنا الصباح في الساعة الثانية عشرة نسير في طريقنا و بعد ان انحدرنا من هضبة وتسلقنا أخرى أكبر من الاولى نزلنا تحت شجرة جميز للاستراحة قليلاً وتناول الطعام وهنا علمت سر ربط الاحمال ربطاً محكماً يلتصق في جسم البغل حتى يكون كقطعة منه وسبب ذلك كثرة الصعود والنزول وشدة ميلانها ومرونة الاراضي المار منها الطريق حتى ان البغل بعد سير أربع أو خمس ساعات في اليوم تنتهك قواه فلا يعود يقدر ان يستمر على السير وكثيراً ما رأيت البغال تصعد أو تنزل من انحدار يكاد يكون أصعب من صعود أو نزول سلم

استرحنا هنا تحت الشجرة ساعة ونصف وعدنا لقطع التلال والاكمات صعوداً وانحداراً الى ان وصلنا الى قرية (قوني) الكائنة على دورة جبل شامخ . ويرتفع هذا المحل عن سطح البحر ٣٠٠٠ متر ولكن الاشجار على أطراف واكناف العزبة كانت تكسر شدة الهواء البارد واستمر المطر الذي كان آخذاً في النزول ونحن في الطريق مدة ثلاث ساعات مع صواعق كثيرة فلم نتمكن من ادارة المطبخ . وقد أصابتني صاعقة خفيفة على رأسي أثرت على رأسي كضربة كرباج واستولى على جسمي رعشة شديدة وهي أشد من صدمة كهربائية تلقى على التلامذة اثناء دروس الحكمة الطبيعية . وكانت بيدي المظلة فاظن ان هذه الشرارة الكهربائية جذبت الي بواسطة الحديدة الرفيعة الموجودة على قضيب المظلة و بعد انقطاع المطر أخذت الحياة تدب في القافلة حيث تمكنا من ادارة أمور المطبخ وغيره وأضرمنا النيران وصار كل منا يؤدي وظيفته

وكانت الخيام مبللة بالماء والنباتات غارقة بسيول الامطار . وكان شوكت افندي الاكثر اشتغالاً بيننا فانه مع كثرة الوحول والسيول والامطار ذهب واصطاد بضعة من الطيور فاوجد بذلك بين طعام المساء من لحوم الصفاري والسمان والدجاج البري . وكان داخل الخيام في الليل رطباً وبارداً حتى اني اضطررت ان أضع الماء الغالي ضمن قناني وأدخلها معي في الفراش لتدفئتها . نحن الآن على ارتفاع ٣٠٠٠ متراً من سطح البحر

يوم الاحد ٢٣ مايس (مايو) مرحلة بددسا

تفاوت طلوع الشمس — الطيور الموسيقية — والقرود البهلوانية — صداقة الارقاء — البغال تخدمها الطبيعة — السكي — ذلك الحيوانات — أنا طبيب — أجناس من الفراش — تعدي الطيور الجارحة على البغال المجروحة — خفة الاحباش

وعند الصباح أعطينا أمتعتنا للمكارية وقمنا نسير في الساعة الثانية عشرة والى يومنا هذا ما تمكنا من القيام قبل هذا الميعاد . وربما يوجد من يرى قيامنا في الساعة المذكورة في شهر مايس (مايو) متأخرًا جدًا . أذان اليوم تشرق الشمس في الاستانة في الساعة ٨ والدقيقة ٥٤ على انها تشرق هنا في الساعة ١١ ونصف . وهذا الفرق ناشئ من كوننا موجودين في جنوب القسم الشمالي من الكرة الارضية لذلك ترى هنا الليل والنهار متساويين تقريبًا

أخذنا عقب قيامنا نسير بانحدار من جبل (قوني) وقطعنا غابة عظيمة طبيعية (أي انها نمت من نفسها) في مسافة ساعتين وكانت أشجار هذه الغابة المؤلفة من أجناس مختلفة تمنع نفوذ أشعة الشمس من الوصول الينا لكثافة الاشجار والاغصان . وكنا نرى على طريقنا دائمًا أسلاك التلغراف والفناجين البيضاء المصنوعة من الصيني لابعاد التيار الكهربائي مربوطة بالاشجار بدلاً من الاعمدة . وكنا نسمع طول طريقنا تغريد ألوف من الطيور المختلفة الاصناف كما اننا كنا نرى كثيرًا من القرود ذوات الشعر الطويل المار ذكرها تقفز من شجرة الى أخرى كأن الطبيعة جعلت تغريد الطيور مقام جوق موسيقى والقرود جوق ألعاب بهلوانية . والطيور التي كنا نراها اكثر من غيرها هي صنف منقارها وطرف عينها أحمر ونصف جناحها اسود والنصف الآخر بلون الاحمر القاني وهي بجسامة الحمام تشبه الببغاء تطير باسراب من شجرة الى شجرة . وقد ضرب شوكت أفندي واحدة منها ببندقيته ولحم هذا الطير لا يؤكل

لذلك منعت شوكت أفندي من صيد هؤلاء الطيور ثانياً وقدحفظ هو أجنحة الطير المضروب الذي كان في غاية الجمال ويليق ان يوضع على برانيط السيدات للزينة

وفي الساعة الثانية أخذت الاشجار تقل بنسبة تقربنا الى سفح الجبل وفي الساعة الثالثة وصلنا الى الوادي القائم بمنتهى الجبل من هذه الجهة . ويوجد هنا نهير تكفي مياهه لادارة حجرين طاحون ويسمى (بوراما) باسم المحل الجاري فيه . وصادفنا في طريقنا امرأة ذاهبة من قرية الى قرية أخرى وقد وقف بغلها الحرون بها لايخطو خطوة الى الامام ويظهر انه جفل من شيء رآه في طريقه . وكانت المرأة تكلم البغل وتقول له بعض كلمات بلسانها . ولدى السؤال عما تقوله علمت انها تستعطف البغل مخاطبة اياه بهذه المكالمات (برأس أبيك وأمك لا تتعبني . بربك أيها البغل امش) لذلك وقفنا قليلاً وساعدناها على اكراه البغل على السير فسار . وبعد هذه المرأة رأينا عبداً مغلولاً بالحديد كان أبق من عند سيده فاخذ ثانياً ليعاد الى منزل سيده . والرقيق في هذه البلاد ممنوع رسماً ولكن قلما يعملون بهذا المنع ولكن اخراج الرقيق الى البلاد الاجنبية ممنوع حقيقة بالفعل . ولا يوجد في داخل البلاد الحبشية من لم يكن عنده عبيد أرقاء حتى ولو كان من المتوسطين اذ ان أشغال الجميع من تاجر وزارع ومكاري تقضى بواسطة هؤلاء الارقاء واذا الغي بيع الرقيق من هذه البلاد بالمرة تقف حركة الاشغال والاعمال لان الناس هنا لا تعلم استخدام العمال بالاجرة . ويرى الرقيق هنا الاطاعة والانقياد لسيده أمراً طبيعياً فتراهم غاية في الصداقة والاطاعة لاسيادهم حتى انه كثيراً ما يسلم السيد ماله وجميع ممتلكاته لرقيقه ويأمن له اكثر مما يأمن لاولاده . وليست هذه الحالة هنا فقط بل انها موجودة أيضاً في البلاد اليمنية والحجازية وعلى الاخص بين العربان الضاربين في البوادي حتى ان أمراء العشائر لا يعتمدون الا على أرقائهم فتراهم يحترزون من أولادهم واخوانهم ويسلمون أرواحهم الى الارقاء الذين يفدون حياتهم في سبيل كلمة سيدهم . ويعد الرجل رقيقه واحداً من بيته وعضواً من أعضاء عائلته

فرشنا البسط تحت شجرة جميز وجلسنا تحت ظلها ساعة تناولنا فيها الطعام ورعت البغال و بعد ذلك قمنا نسير في سبيلنا فقطعنا نهيرًا آخر يبعد عن الاول خمس دقائق فقط وهو بجسامته وفي الساعة الخامسة قطعنا نهيرًا آخر ودخلنا في صحارى ومراع تحيط بها الجبال والتلال . وهنا تنتهي حدود ولاية هرر وتبتدئ أراضي شرشر . وشدة نمو النباتات البرية هنا تدل على خصوبة الاراضي وقوة انباتها والاشجار فيها ليست بحالة غابات أو أحراش وانما يوجد هنا وهناك أشجار برية صغيرة وكبيرة قريب بعضها من بعض وسفوح الهضاب والا كمات عامرة بالقرى وا كثر سكانها من الفاللا والأينو المسلمين ومنها ما يسكن فيها الامجريون المسيحيون

وكان سكان هذه الجهات من قبل اكثر مما هم الآن فقل عددهم فتك الاوبئة وتوالي الحروب الداخلية

مررنا الساعة السادسة على نهير ونزلنا أزاء جبل (هلفتا) ويسمى المحل الذي نزلت فيه قافلتنا (بددسا) وقد تعب جدًا رجالنا و بغالنا من حزونة الطريق في هذه المرحلة وكثرة النزول والطلوع في جبال وعرة . فلذلك ما نزلنا في المحل المذكور حتى أخذ الرجال الذين ليس لديهم ما يشغلهم مثل نصب الخيام وغيره يتمددون تحت ظل الاشجار طلبًا للراحة والبغال صارت تتمرغ في التراب على عادتها بعد أخذ ما عليها من الاحمال . والمجاريح منها كانت تنظر الى النيران التي كان المكارية يشعلونها نظر الحزن والكآبة وترفع أذنيها وتظهر بعض حركات وأصوات كأنها تريد تتأوه وسبب ذلك ان سكان هذه البلاد يهملون خدمة البغال الخدمة اللازمة فيرى الانسان حوافرها طويلة بارزة ولا ينظفونها ولا يعطونها العلف اللازم لها بل يتركونها بحالتها الطبيعية فينزل المطر الشديد و يغسلها عند ما تكون هذه الحيوانات خالية من الحمل والشغل اذ تترك دائمًا في العراء و بعد قليل تظهر الشمس الشديدة فتنشفها حالاً وعلى هذا المنوال تخدمها يد الطبيعة والقدرة من نفسها . ولكن لا بد من كي البغال المجروحة وذلك انهم يشعلون نارًا حامية يضعون فيها حدائد منحنية ذات أيدٍ

خشبية طويلة وتؤخذ البغال الجريحة من بين السليمة وتشد في رجلها سيور من الجلد وتلقى على الارض ويجلس المكارية على رأس البغال وعلى سائر أطراف جسمه ويمسكونه كيلا يتحرك ويأتي آخر بالحديدة المحماة لدرجة الاحمرار ويكوي بها الجرح فيمزق الشعر والجلد الذي على أطراف الجرح ويدخل الحديد المحمي حتى يصل الى اللحم وتتصاعد روائح كريهة والبغل يجأر من شدة الألم والبغال المنتظرة دورها تنظر هـذه الحال بنظر الاندهاش واليأس آخذ منها مأخذه وفي الغالب لا يحملون البغل عقب الكي بل يتركونه يستريح بضعة أيام . هذه هي الخدمة الوحيدة التي يخدم المكارية بها بغالهم ولقد كنت أسخط على هذا وآمرهم ان يكونوا بعيداً عنا وبالجملة ان هـذه الحيوانات تعيش في هذه البلاد بيد الطبيعة ولا يعتني أحد بخدمتها قط على ان الاعتناء بالدواب في الاقطار الحجازية الواقعة أزاء هـذه البلاد عظيم جداً حتى ان سائق المركبة في المدينة المنورة ينظفها ويخدمها ويكبسها كل يوم مساء وهو ما يعبر عنه الغربيون بالمساج (Massage) والتكبيس في الحجاز مرغوب جداً فتجد أغلب الناس في الحمامات والمنازل يكبسون أنفسهم من غير ان يكون هناك مرض يستلزم ذلك بل يعملون التكبيس طلباً لراحة البدن فقط حتى ان الانسان ليرى كثيراً من الناس يتمددون على حصيرة في القهاوي أو الساحات العمومية من غير مبالاة بالناس الرائحين والغادين والمكبس يكبسهم

وأغلب المكبسين في الحجاز من الهنود ويكبسون من أراد باجرة نحو عشرين فضة . وهذه القاعدة نفسها جارية في الحيوانات أيضاً . وقد اندهشت عند ما رأيتهم يكبسون الحيوانات لاول مرة وكنت راجعاً ليلاً من مكتب التلغراف في ساحة المناخة الى منزلي فرأيت حماراً كبير الجثة ملقى على الارض وصاحبه جالس عليه يكبسه وكان الحيوان يظهر امارات الراحة والاستحسان بتشخيره الخفيف ويمد رجله الثانية عند ما يتم تكبيس الاولى فقلت لصاحب الحمار ماذا تفعل أيها الرجل فاجابني ان هذا البهيم المسكين تعب جداً هذا اليوم فأنا أكبسه حتى يستريح

هذا والمكارية هنا يداوون بغالهم بأنفسهم أما اذا مرض الواحد منهم فقد كانوا يأتون لعندي ليستمدوا من مهارتي الطبية على زعمهم . فكنت أعالجهم حسب ما تدلني تلك المهارة المزعومة فأعطي مسهلاً لمن يشكو معدته أو بطنه او روح النعنع وحبوب (آنتى ديسانتريكوم) للذي يشكو من الاسهال وفن آستين او انتيبيرين للذي يتألم من وجع الرأس . وقد حضر اليوم لعندي أحد المكارية وهو يعرج فمد رجله ونظرني وجهي نظر الاستمداد فوجدت في رجله ورماً شديداً من الاصابع الى نصف أخمص القدم و بين الأصابع جروح ملتهبة يكاد يظهر فيها الدود .

فلما رأيت حال هذا الرجل حرت فيما أعمله لاني لست بطبيب ولا علم لي بفن الجراحة وليس عندي شيءٌ من المراهم فخطر في بالي حمض البوريك فقلت له اغلِ ماء صافياً في حلة نظيفة وسأعطيك دواءً تضعه في الماء المغلي فتغسل به رجلك و بعد ذلك ار بطها وداوم على هذا الدواء بضعة أيام مساء وصباحاً فتبرأ ان شاء الله . ولكن الرجل أخذ يطلب مني بواسطة الترجمان الاسراع بعلاج فأخرجت من جيبي حقة ماء كولونيا فحقنت محل الجرح بهذا الماء الذي آلم الرجل جداً حتى احمرت عيناه وصار يتمرغ على الارض و يئن و بعد نصف ساعة خف الألم فأحضرت قليلاً من ماء البوريك لغسل الجرح به ثم وضعت السمن ليطري الجرح و يقوم مقام المرهم فليحكم الاطباء ان كنت فعلت حسناً أم لا . وأما رفقاء الرجل المجروح فلما رأوا رفيقهم وهو يتمرغ على التراب و يئن و يتألم أخذوا ينظرون اليّ بطرف عجيب يستر تحته الريب والشك مما أعطيته لرفيقهم ففهمت ذلك في الحال وأردت الحقنة عليّ وصرت ألقي ماء الكولونيا على وجهي فزال ما كان دخل في قلوبهم من الشك والارتياب واقتنعوا بأن ألم الرجل ناشيء من جرحه وان الدواء الذي أعطيته اياه ليس مسموماً .

كان محل نزول قافلتنا هنا كثير الصيد كالطيور والأرانب والغزلان كما انه كان كثير الحشرات والهوام مثل النمل وأبو دقيق (فراش) وما أشبه حتى انه اذا

الصيد وكان الثالث يسعى لتحويل البغل نحو رفيقيه القابضين على الجلد . و بعد ان ركضا مقدار نصف ساعة نفدت قوى البغل فوقع بالجلد وأدركه المكارية الذين كانوا يعدون عدواً حثيثاً من غير ان يظهر عليهم علامة من علامات التعب . وهذه ايضاً هي حالة أهل البادية الذين وصفتهم في رحلتي الى صحراء افريقيا الكبرى

هنا أصيب أحد جنودنا المسمى (انحى) بألم شديد في بطنه فمسده أحد رفاقه بكل قوته وهذا يدل على ان التكبيس معروف في هذه البلاد أيضاً . ومع ذلك فان الألم لم يفارقه فاضطررت ان اداويه بروح النعنع و ببعض أدوية اخرى

أما طعامنا هذا المساء فشوربا بالبيض وشواء اليمام البري وكبد الخروف ومحمر اللحم وكبيبة ولقمة القاضي

يوم الاثنين ٢٤ مايس (مايو) مرحلة قالمو

بحيرة (جرجر) — اعشاب بطول القصب — الاعشاش المتدلية

قمنا اليوم من محل نزولنا في منتصف الساعة الثانية عشرة وأخذنا نقطع أراضي تعد مستوية بالنسبة للتلال والجبال . وخصوبة الاراضي هنا وقوة نمائها عظيمة جداً و يوجد فيها طيور الصيد والحيوانات بكثرة وانما سكان هذا القطر المسمى (چرچر) قليلون جداً على نسبة سعته وفي الساعة الثانية نظرنا بحيرة (چرچر) عن يسارنا وكانت المسافة بيننا و بينها كيلومترين . وكان سيرنا محاذياً لهذه البحيرة فلذلك كنا نراها عند ما نكون سائرين في الارض المستوية وتخفى علينا عند ما نسير بين الجبال والهضاب وهذه البحيرة اكبر من بحيرة (هرمايا) السابق ذكرها بثلاث مرات وعلوها عن سطح البحر ١٧٥٠ متراً وفيها كثير من الطيور مثل الاوز البري والبط البري وغيرها من الطيور كما انه يوجد في مائها بقر الماء (*Hippopotam*)

وتخرج هذه الحيوانات من الماء ليلاً فترعى بالارض الواقعة على أطراف البحيرة وتختفي نهاراً في الماء و بعد أن سرنا ساعتين سيراً موازياً للبحيرة غابت عن انظارنا

وفي الساعة الخامسة وصلنا لقرب بحيرة (جغا انياني) ونزلنا تحت شجرات جسيمة بالقرب من العزبة وفرشنا طنافسنا على قاع غير واسع وقد كانت احدى القوافل المارة قبلنا من هنا قد قلعت كل ما فيها من الحشائش والنبات وأعدته للنزول فيه . وأما ما بقي من الاراضي التي على أطراف محل نزولنا فانها كانت مستورة بالحشائش والنباتات الواصلة الى كتف الانسان والناظر اليها من بعيد يظنها غابة من القصب . والى يومنا هذا من رحلتنا لم نر قط محلاً خالياً من الحشائش والنبات حتى نضرب الخيام فيه . والمحلات الخالية فيها هي الاراضي المحروثة أو المزروعة حديثاً

لخزانة لحفظ الذخائر وما يلزم للمنزل . وقد ألصق على الحائط الداخلي قماش أبيض ووضع امامه مقعد للجلوس . ليس في هذا المنزل من التزيينات سوى بعض جرائد مصورة معلقة على الحائط وصورة ملكة انكلترا وصورة قيصر الروس وصورة ملك اليونان وصورة الرأس صاحب المنزل نفسه . وأما الرأس فلا يسكن هنا بل يأتي هذا المنزل و يقضي فيه ليلة أو ليلتين عند مروره في تجواله في هذه البلاد او خروجه الى الصيد والقنص . وفيه حارس قد أفرغ المنزل بشكل فندق ينزل فيه أبناء السبيل وكان يبيع فيه الجرار والقرع والمشروبات المسماة (طاللا) و (تج) ضمن قناني تبيعها لعابري السبيل حبشية حسناء تعرف الطرق اللطيفة لاستجلاب الزبائن . والمشروب المسمى (طاللا) هو ضرب من الجعة (بيرا) المعروفة يستخرج في هذه البلاد من الشعير أو من الذرة . وأما المشروب المسمى (تج) فانه مزيج من الماء والعسل مختمر بنوع من الاعشاب تسمى (كچو) بعد ان يمر عليه زمن يكون في حدة طعم الشامبانيا . واذا شرب الانسان هـذا المشروب وهو جديد يجد له طعماً كطعم عصير العنب ولا يسكر شاربه .. والمسلمون هنا يستعملون هذا المشروب من غير ان يضعوا فيه (كچو) ويسمونه برز

ان محل نزولنا هذا اليوم كان أجمل المحلات التي كنا ننزل فيها فكان امامنا سهل زمردي واسع فيه بعض التلال التي تشبه الامواج في البحار . وكان على جوانبنا وورائنا هضاب عالية ذات خضرة لطيفة . وكنا نمر في طريقنا على كثير من أشجار تسمى هناك (قول قوال) وهي شجر اللاستيك وتارة يكون مقدار هـذه الاشجار كثيراً وتارة تقل جداً حتى وصلنا الى هنا . والانهار التي مررنا منها لا يمكن قطعها بعد شهرين أي في ابان فيضانها في موسم اشتداد الامطار فتضطر القوافل ان تنتظر أياماً على شاطئ النهر وقت هبوط الفيضان .. لذلك يجب علينا ان نفتكر في طريق آخر للاياب الى ساحل البحر

ان النقطة التي نحن فيها الآن ترتفع عن سطح البحر ١٦٠٠ متر . وهذه الاراضي

وما حولها من نهر (هرنا) الذي كنا مررنا به قبل ثلاثة أيام الى نهر (أواش) الذي سنصل اليه بعد ثلاثة أيام أخر كانت كلها لمدة قريبة تحت ادارة (فينور أرى آصنعا) ولكن الرأس ما كونن نزع ادارة هـذه البلاد منه وألقاه في غيابة السجن مكبلاً بالحديد عقاباً له على ضربه أحـد عبيد الرأس الموما اليه بغير حق . وهنا وفد علينا (آتو آفني) شوم هذه الاراضي (اي عمدتها)ومعه سكرتيره اتوسارتي . آتو آفني هذا كان حضر واقعة (عدوه) المشهورة التي حدثت بين الطليان والاحباش وكان تحت امرة رأس ما كونن . وقد شرح لنا بعض حقائق عن هذه المعركة سندرجها في محلها . وكان يحمل مسدساً كان اغتنمه في الواقعة المذكورة من الطليانيين فاراناه اياه وقال ان الطليان قتلوا من الاحباش برصاص المسدسات من هذا النوع اكثر ممن قتلوا برصاص البنادق فكنا اذا اقتربنا من المجروح الطلياني يطلق من مسدسه مع ما هو عليه من عدم القوة

رأينا هنا قرب كوخ بجانب كوخ الرأس اثنين من شبان الاحباش يطحنون بمدقات خشبية النبات المار ذكره المسمى (كچو) وقد وضعوه ضمن (هاون) كبير مصنوع من الخشب . فكانا يقولان عنـد كل دقة (اينج اينج اينج) والنساء قد أحطن بهما يغنين بانغام موافقة لضربات المدق

وبعد ان تفرجنا على هذا المنظر والاحباش والحبشيات تفرجوا علينا أيضاً دخلنا لنرى أحد اكواخهم فرأيت فيه فتاة تطحن دقيق الحبوب المسمى (دف) فكانت واقفة على رجليها وراء القسم العالي من الحجر وتضع الحبوب على الحجر وتضغط عليها باسطوانة حجرية فينطحن الحب وينزل دقيقه الى المحل الموجود بالقسم السفلي من الحجر . وطريقة الطحن هـذه لا تشبه قط الطريقة المستعملة عندنا للطحن بواسطة الارحية ومطاحن اليد . ثم كان في وسط الكوخ نار مشتعلة وعليها قدر فيـه طعام فكان الدخان المتصاعد من النار يخرج من شقوق صغيرة بجانب السقف وبقرب القـدر امرأة طاعنة في السن جالسة على الارض وهي تدخن بنوع من الشيشة

مصنوعة من القرع لها فم طويل من البوص بدلاً عن اللي ورأس الشيشة من الفخار موضوع على رأس القرع في القسم الاقل ثخناً منه . ويوجد باحد أركان الكوخ سرير يسمى (الفا) نصب هناك لنوم صاحب المنزل . وقوائم هذا السرير وأطرافه مصنوعة من الخشب والوسط من سيور الجلد . وبركن آخر بضع نسوة جالسات على الارض ينقون القمح والدف وامامهن صواني كبيرة مصنوعة من النبات أو من جلد البقر . وفي المخزن الخاص بحفظ ذخائر المنزل يرى الانسان كثيراً من أنواع القرع يستعملونها بدلاً عن القدور والخوابي لوضع السمن والعسل وما ماثله . ما أبسط هذه المعيشة . وبالجملة ان ثروة هؤلاء الناس هي في الحقيقة ثروة الطبيعة

وبعد قليل وردت قافلتنا فنصبت الخيام وأحضر الطاهي الطعام فتناولناه . وكان الماء كدراً جداً من كثرة السيول فاضطررنا لترويقه حتى تمكنا من شربه . ونحن الآن على علو ١٦٠٠ متر عن سطح البحر

الساعة الثالثة وكان هذا المنحدر أيضاً وعراً وحزناً كالصعود . ولما رأيت ما يعانيه بغلي من التعب أشفقت عليه فنزلت لأسير راجلاً ولكن ما قطعت مسافة ربع ساعة حتى رأيت نفسي مضطراً للركوب ثانياً لأن رجلي زلت مرتين فوقعت على الصخور وعلمت من ذلك ان البغل امهر مني في السير في هذه المحلات لانه تعود السير في تلك الاودية والجبال الوعرة . وفي الساعة الثالثة بلغنا سفح الانحدار ودخلنا في أراضي (ارغهغا) والاشجار هنا صغيرة لا ظل لها و بعضها متفرق عن بعض .

هنا أخذت طبيعة الارض تتغير . فرأينا حشائش ونباتات قصيرة صفراء بدلاً عن الحشائش الطويلة الخضراء . وصرنا نبحث هنا عن شجرة لننزل في ظلها فنتغدى فوجدنا واحدة بعد بحث طويل ولكن ظلها لم يكف لذلك فقام أبو بكر جاويش الذي كان على غاية من النشاط في اشغاله وقطع أغصاناً كثيرة من الاشجار الأخرى ووضعها على أغصان شجرتنا وأراد المكارية بالنظر لشدة تعب بغالهم ان نقضي الليل في هذا المحل ولكن لم أوافقهم على ذلك، بل بعد ان تناولنا طعام الغداء واسترحنا قليلاً قمنا مستأنفين السير متوجهين الى (قاجانواها) التي كنا اتفقنا على النزول فيها وقد تخلف المكارية والبغال وراءنا فكررت عليهم وجوب اللحاق بنا . وقبل السير سقينا بغالنا من المياه الراكضة هناك المتخلفة من مياه الامطار . والمحل المذكور كان شديد الحرارة لوقوعه في بقعة منحطة .

ورأينا صنفاً من الطيور بجسامة الديك الرومي يسمى بحّاً وكثيراً من الدجاج البري والغزلان والأرانب فضربنا بالبندقية ثمانياً من الدجاج المسمى (بحّاً) فوقع البعض منها بين الشوك والحشائش فلم نجدها والبقية أخذها الطاهي ليجهزها لطعام المساء . مررنا هنا بشجرة معلق عليها قرع ذو ذنب يستعمل للشرب في هذه البلاد وتحت الشجرة على الارض خرقة مفروشة وقد قيل لنا ان هذا القرع وهذه الخرقة موضوعتان تذكاراً لاحد القابلين المشهور بالشجاعة والبأس .

وفي الساعة عشرة بلغنا (قاجانواها) ومعناها (الماء الصغير) فوجدنا هنا

الاشجار النامية على طرفي النهر كبيرة ومتلاصقة والقاع مستور بالخضرة والناظر على طول النهر يرى امامه منظر الماء تظلله الأشجار الكثيفة كأنه نفق والحاصل ان هذا المحل كروضة من الجنان بالنسبة الى الصحراء القليلة الاشجار والخضرة والكثيرة الحرارة

ويوجد هنا كثير من شجر التمر هندي فأخذنا نقطف منه ونحله بالماء ثم نشربه

ومنبع نهر قاجانواها في سفح جبل (كومبي) ويجري ببطء وسط نفق مصنوع من الاشجار من غير ان يرى أشعة الشمس . وهذا النهر اللطيف مشهور بالمهالك والمخاطر وذلك لان الحيوانات الوحشية مثل الاسود والنمور والذئاب والضباع تأتي الى حافته وتلتجئ لظلال الاشجار هرباً من شدة حرارة الصحارى والقفار والذي لا يأتي منها في النهار يأتي ليلاً ليشرب ماءً لذلك أقمنا صواوينا بعيداً عن الماء بمقدار خمسمائة متر حسب عادة هذه الجهات على رابية مرتفعة . ولم نغسل أيدينا وأرجلنا ووجوهنا ونسترح قليلاً على ساحل الماء الا والسلاح بأيدينا وقد استحضرنا معنا الماء اللازم لنا ليلاً قبل ان يهجم الظلام .

يوجد على بعد مسافة كيلو متر واحد من النهر هضبة قليلة الارتفاع عليها بعض اكواخ متروكة وقد علمت ان هذه الاكواخ كانت مخازن لبنادق (جرا) التي اشتراها الامبراطور منليك من الفرنسويين وان الاحباش كانوا يوزعون هذه البنادق من هنا على المعسكرات والبلاد . وقد وجدنا في محل نزولنا كثيراً من الحطب والحشايش المجففة التي تركها الرأس ماكونن وقد كان مرّ من هنا قبلنا بقليل .

وتقرر ان نرحل من الآن وصاعداً من محل نزولنا قبل بزوغ الشمس وذلك لشدة حرارة السهول التي سنمر بها على طريقنا . وقد قضيت الليل تحت الصيوان الصغير ولم اشأ اقامة الصيوان الكبير . أما الجنود والبغالة فانهم ناموا في العراء لشدة الحر . أقمنا هذه الليلة الخضراء اكثر من سائر الليالي كما اننا اكثرنا من وقود النيران ابعاداً للوحوش الكاسرة . وفي الليل ثارت زوبعة شديدة وكان يتخلل صوت الريح الشديد أصوات الجنود والبغالة وهم ينشدون، بعضهم باللغة القابلة و بعضهم باللغة الحبشية

جلسنا مدة على حافة النهر ومتعنا أبصارنا بجمال الماء وانحداره البديع والبعض منا استحم من غير ان يجسر أحد على الدخول لوسط النهر خوفاً من التماسيح التي تكثر فيه وقت فيضان النهر . وهذا النهر هو اعظم انهار الحبشة طول مجراه ٧٠٠ كيلو متر من الجنوب الغربي الى الشمال الشرقي ثم يغوص في البرك والمستنقعات بأراضي اوسا غربي خليج تاجورا . ووادي اواش هو احط الوديان في هذه الجهات لذلك ينصب فيه كثير من المياه والنهيرات من اليمين واليسار كما انه يأخذ جميع مياه المطر التي تنزل على الجبال والهضاب الواقعة على طرفيه . وهو أحد الطرق الطبيعية المؤدية من ساحل البحر الاحمر الى داخل الحبشة وقد مررنا على الجسر لكثرة الماء في النهر وأخذنا نسير صعوداً على الجهة المقابلة لمحل نزولنا وكانت شديدة الوعورة و بعد قليل وصلنا الى السهل ولشدة الحر لم نشأ ان نستمر على السير فنزلنا تحت شجرة وعزمنا على المكث هنا الى وقت العصر وأخذ البغالة بغالهم وعادوا الى النهر ليسقوها بعد ان انزلوا عنها الأثقال والسبب في ذلك هو انهم لو سقوا البغال ونحن مارون على النهر وعليها الاحمال لعطشت البغال ثانية من شدة التعب الحاصل من تسلق الجبل . وقد اخذنا معنا الماء اللازم لنا لانه لا يوجد ماء في المحل الذي سننزله في هذا المساء

قضينا النهار في حر شديد جداً حتى ان الشمع الموجود معنا ضمن الصناديق ذاب فصار كأنه كتلة طين . و يقال لهذه الاراضي الكائنة على هـذه الضفة من نهر اواش (عروس) ولا يوجد هنا من الاشجار الكبيرة الا النادر كما ان الاشجار الصغيرة الموجودة هي عبارة عن شجيرات من العليق والنبـات الموجود مصفر اللون قليلاً . ولما كنا ننام ليلاً في الجبال الأخرى التي مررنا بها كنا نقوم في الصباح فنجد الصواوين وكل ما بقي خارجها من الأثقال وغيرها مبتلة جداً من كثرة الندى وأما هنا فلم نر أثراً للندى . وقد قيل لنا ان المطر لا ينزل في هذا المحل الا قليلاً لانحطاط الموقع وقلة الأشجار فيه . و يوجد في هذه البادية قوم يسمون (كره يو) يعيشون عيشة بدوية يرحلون من محل الى محل . لا يعرفون الزراعة والفـلاحة ولا يدينون بدين

يوم الجمعة ٢٨ مايس (مايو) (مرحلة تاديجامالكا)

ديك ديك ! — بع ! — ارغوبيا — حر شديد — النار والدخان — الذباب الهائل — المواشي الجميلة

أخذ الطاهي بعد نزولنا يجهز لنا ما يلزم للفطور صباحاً فطبخ القهوة على نار النباتات الجافة فكان فطورنا عبارة عن القهوة وقليل من خلاصة مرق اللحم المسمى (ليبك) والبقصماد . و بعد استراحة ثلاثة ارباع الساعة استأنفنا المسير . و بعد قليل ظهر جبل فنطالي امامنا ظهوراً تاماً فكان كقوس يحيط بالارض التي كنا نسير فيها و بعد برهة بلغنا طرفه الواقع امامنا وأخذنا نتسلقه من سفحه ذي الصخور العظيمة فلما بلغنا ذروته رأينا امامنا جبل (فرحان) وعلى سفحه (تاديجامالكا) والوادي ذو الاشجار الخضراء والنهر المسمى بهذا الاسم . ولما عاينا هـذا المنظر البديع ازداد شوقنا للوصول الى هذا المحل فصرنا ننزل بكل نشاط من هذا الجبل الأجرد الذي كنا نسير عليه . وفي هذا المسير اصطاد شوكت افندي بالبندقية بضعة غزلان صغيرة الجسم تسمى (ديك ديك) وهي اكبر بقليل من الارنب الكبير . ولا يكبر اكثر من ذلك وكنا كلما اقترنا من تاديجامالكا نرى طيور الصيد مثل البح والدجاج البري واليمام البري بكثرة تشبه العصافير الدورية في مدننا لذلك منعنا صيدهم بالبارود خوفاً من نفاد القراطيس (الخرطوش) الموجودة معنا .

وصلنا الى (تاديجامالكا) بعد ان قطعنا في سيرنا هذا اليوم ست ساعات . ويجري من هذا الوادي نهر يسمى (قسام) وهو من توابع نهر اواش وينبع نهر قسام من سفوح جبل (مقرز) ويجرى مسافة ٢٠٠ كيلومتر تقريباً من الغرب الى الشرق ثم ينتهي بنهر اواش قرب محل يسمى (سادى مالكا) وسعة هذا النهر

عند ما أقبلنا على هذا المحل ورأينا الوادي عن بعد

وكنا نرى من محلنا الدخان متصاعداً من النيران التي أوقدها الاهلون على الضفة الاخرى من النهر في الحشايش والنباتات الجافة حسب عادتهم وكان صوت فرقعة الاغصان وهي ملتهبة يصل الينا . وقد اعتاد الناس في الحبشة احراق الغابات والاحراش ليعملوا من أرضها حقلاً يصلح للزرع كما انهم يحرقون كل سنة النباتات الجافة على الارض ليقوم رمادها مقام السماد فتنبت الاعشاب نباتاً حسناً

وقد أنزل البغالة الاحمال بعيداً عن النهر وساقوا امامهم البغال التي كانت قد تعبت وظمئت جداً لانها لم تشرب من حين قيامنا من محطة أواش فاخذوها الى الماء فاخذت تكرع منه كرعاً يخيل لنا انها لا ترتوي من شـدة العطش . وقد أثر حر هذا اليوم على رجالنا من الجنود والبغالة مع انهم من أهل هذه البلاد ومتمرنون على احتمال الحر وشدته فاخذوا يستلقون تحت ظلال الاشجار كأنهم اموات لا حراك بهم . وكنت أود ان أعرف مقدار درجة الحرارة في هذه الاصقاع ولكن كنت وضعت في هرر مقياس الحرارة في أسفل احد الصناديق ظناً مني ان الطقس سيكون دائماً معتدلاً مثله في هرر وقتئذ . وهذا الحر أمره طبيعي لاننا بعد ان كنا على ارتفاع ٢٥٠٠ — ٢٧٠٠ متراً في رؤوس الجبال هبطنا مرة واحدة الى ٩٢ متراً والذباب هنا كبير بقدر النحلة أخضر اللون واذا لسع الانسان يؤلمه كالنحلة والزنابير . وبينما كنت اكتب هذه السطور ورد الماء قطيعان أحدهما غنم رأسها مع الرقبة اسود حالك وما بقي من جسمها أبيض كبياض القطن الناصع . والقطيع الآخر عجول صغيرة أجسامها بقدر أجسام الماعز . ويلتقي طريق (چرچير) في هذا المحل بطريق (ادال) لذلك تتقابل القوافل هنا وتوجد أحياناً بكثرة ورأيت بالقرب منا بضعة اكواخ متروكة من اكواخ القبيلة المار ذكرها المسماة (قرەيو) ولم أعلم انها اكواخ هؤلاء الناس حتى اقتربت منها وقد كنت ظننتها في باديء الامر أي عن بعد ٢٠٠ متر خلايا للنحل . وهذه الاكواخ هي عبارة عن عدة أغصان مغطاة بالحشائش الجافة

ليس الا . ولما صار العصر أخذت القوافل النازلة على طرفي النهر تحمل أثقالها استعداداً للرحيل . والعادة عند القوافل في بلاد الحبشة انها اذا وصلت الى نهر تريد النزول عنده تجتازه في الحال الى الضفة الثانية وسبب هذه العادة هو خوف مفاجأة الامطار للقافلة فانها اذا انهمرت يفيض النهر فيتعذر بل ويستحيل وقتئذ العبور الى الضفة الاخرى فتضطر القافلة اذا كانت لم تجتز النهر الى انتظار زوال الفيضان وهذا يؤخر سيرها بالضرورة فلذلك يعبرون الماء وينزلون على الضفة الاخرى حال وصولهم الى النهر ولما أزف الرحيل كان كل واحد منا عديم النشاط مضعضع الجسم كأنه مريض وهذا من كثرة الرطوبة الناشئة عن المياه الراكدة على أطراف هذه الاراضي فقمنا نحمّل أثقالنا ونتزود من الماء لنصعد الهضبة الكائنة امامنا وننزل في محل مرتفع للمبيت فيه فبعد ان سرنا نحو ساعة ونصف وصلنا الى السهل الكائن باعلى الهضبة المذكورة فنزلنا وبعد ان تناولنا طعام العشاء بعزم شديد نمنا ولم نصبح الا وقد زال عنا كل ما طرأ علينا من الكسل قرب النهر

يوم السبت ٢٩ مايس (مايو) مرحلة جوبا

مجلة لتمهيد الطريق — تمهيد طريق للعجلة — نيران هائلة — نزولنا في العراء

استيقظنا قبل بزوغ الشمس فوجد كل واحد منا في نفسه نشاطاً وهمة بفضل الهواء الجيد . وقد كان ذهب اثنان من خدمتنا للبحث عن بغل ضل البارحة منا بينما كنا في (تاديجامالكا) ولما لم يعودا ظننا انهما لم يعثرا على البغل فعزمنا على البقاء هنا للعصر لانتظارهما ولاستجلاب الماء اللازم لنا من نهر (قسام) الذي مررنا عليه البارحة وهي فرصة حسنة أيضاً للبغال لتستريح . وقد كنا نود أن نقضي النهار كله في العراء لنتمتع بذلك الهواء الجاف النقي الخالي من الشوائب ولكن شدة حرارة الشمس اضطرتنا لأن ننصب الخيام والصواوين ففعلنا ورفعنا سجوفها ليتخللها الهواء الطري المنعش للابدان . وعلمنا هنا ان الماء لا يوجد امامنا في مرحلتي (جوبا) و (منابللا) اللتين سنقطعهما لذا أمرت رجالنا بتحضير طعامهم وخبزهم عن يومين حتى لا تضطرهم الحاجة لاخذ الماء الذي سنحمله معنا وهؤلاء الرجال لا يعلمون كيف يحتاطون لأنفسهم وليس عندهم أقل تفكر بما يأتي في الغد ففي الامس كنا نازلين قرب الماء فلم يخطر على بالهم عجن الدقيق وخبزه ولما أمرناهم بتحضير عجينهم أرادوا ان يأخذوا الماء اللازم لهم من الماء الذي حملناه للسفر بدون أدنى تفكر في انه سيلزم لنا في الغد هذا مع ما كنا سمعناه منهم انفسهم من ان كثيراً من الناس هلكوا عطشاً بين نهر اواش و (تاديجامالكا) و بين هذه والمحطات الكائنة امامنا ومع هذا فانك لا تجد واحداً منهم يحمل كوزاً او أناء او ركوة لحمل الماء اللازم له بل ان كل واحد يتكل على زميله بحمل الماء . قلنا اننا نصبنا خيامنا للاستظلال . اما المكارون فما نصبوا خيامهم . بل صنعوا أكواخاً من أغصان الشجر وجلسوا تحتها للاستظلال لان الشمس كانت محرقة هذا مع ارتفاع الهضبة التي كنا نازلين عليها . وما شربنا

قط ماء بكثرة مثلما شر بنا هذا اليوم حتى ان رجالنا اضطروا مراراً ان يذهبوا بالقرب الى النهر ليملؤها منه . بيد ان الحرارة اخذت قبيل الغروب تخفض فقمنا واستأنفنا السير في طريق ممهّد مثل الطرق التي تعمل في البلاد المتمدنة (شوسه *Chaussé*) وقيل لنا ان جلالة منليك نجاشي الحبشة كان اوصى من أوربا على عدة تدار بالبخار لرصّ الشوارع (مثل التي تستعمل بالقاهرة لرص الشوارع و يسميها العوام وابور الزلط) وقام بجر العدة بضعة آلاف من الرجال بالمناوبة حتى أوصلوها من الساحل الى هذا المحل عن طريق (آدال) لانه اكثر سهولة من الطرق الاخرى ولما وصلت العدة الى هذا المكان لم يعد في الامكان جرها لصعوبة الطريق لذلك استعملوا آلافاً آخرين من الناس لفتح طريق يذهب من هذه الهضاب والحزون الى آديس ابابا عاصمة المملكة و بذلك تسنى لهم ايصال العدة المذكورة الى العاصمة وبالجملة فقد أتوا بالعدة لرص الطريق ولكن عملوا طريقاً لايصالها . وقد كنا نسير مرة على الطريق المذكور ومرة اخرى نحيد عنها ونقطع الاراضي السهلة اختصاراً للمسافة . ولما خيم علينا الظلام رأينا عن بعد ناراً عظيمة متأججة قرب قلعة بلغا على جبل واقع على يميننا وقد سألنا فقيل لنا ان السكان هناك يحرقون غابة كثيفة ليجعلوها حقلا يصلح للزرع ولما اشتد الظلام أوقدنا مصباحاً وحمله احد رجالنا وسرنا نقطع طريقنا على نوره حتى وصلنا (جوبا) . و يسمى مجموع الاراضي من (تاديجامالكا) لحد المحطة المسماة بالجي مقاطعة منجار .

ان جوبا هذه هي عبارة عن قرية صغيرة مؤلفة من بضعة عشر كوخاً كسائر قرى هذه البلاد . وليس فيها مياه جارية ولا ينابيع لذلك تجد نساء أهلها يذهبن الى الاماكن البعيدة ليأتين بالماء من غدران أو برك تجمعت هناك من مياه الامطار. ولما وصلنا جوبا لم تكن وصلت بغالنا بعد فاضطررنا ان ننزل في العراء وان نستعمل البسط بدلاً عن الفرش والكساوي الكبيرة بالطو بدلاً عن اللحف واخراجنا بدلاً عن الوسائد .

يوم الاحد ٣٠ مايس (مايو) محطة منابللا

أعمال النساء الشاقة ــــ طاللا

لم تصل الى الآن أحمالنا ومتاعنا ولم نشأ ان نبق في محل كهذا ليس فيه ماء لذلك عزمنا على السير الى المرحلة الاخرى الكائنة امامنا وهناك ننتظر وصول البغال والاحمال . وعلى ذلك أخذنا في السير و بعد ساعة مررنا بمسجد خرب ومدافن خاصة بمسلمي قبيلة (اورغو بة) وعاينا من هنا بحيرة ذات ماء مالح تسمى غاوله على بعد خمسة أو ستة كيلومترات على يسارنا . و بعد ان سرنا أر بع ساعات بلغنا (منابللا) وسكان هذه القرية يأتون بالماء اللازم لهم من غدران تجمعت من ماء المطر كائنة في واد عميق خطر المنحدر جدًا . وقد ذهبت الى أعلا الوادي وأشرفت من هناك على تلك الهوة العميقة فهالني ما رأيته من عمق الوادي ووعورة الصخور والاحجار و يكاد الانسان يعتريه دوار من هذا المنظر الرهيب . والوادي ليس فيه شيء من النبات بل كله أحجار وصخور سوداء . وقد تذكرت هنا الوادي الموجود فيه دير مارسابا في فلسطين الخاص بسجن واقامة الرهبان المحكوم عليهم أو المراد تهذيب نفوسهم فانه يشبه من كل الوجوه هذا الوادي الهائل بوحشته وعدم انباته وقلة مائه وانقطاع المرور منه . وقد رأيت النساء وهن صاعدات يتسلقن الصخور وعلى ظهورهن أو رؤوسهن الجرار الكبيرة المملوءة ماء

نزلنا تحت شجرة خفيفة الظل فأخذ أبو بكر جاويش الذي كان نشيطاً جداً وسائر خدمنا يقطعون الاغصان من الأشجار و يضعونها على شجرتنا ليتسع ظلها ويكفي لاظلالنا على قدر الامكان . و بعد قليل حضر رجل ومعه قربة ماء فاشتريناها منه ثم أتت امرأة عجوز تحمل جرة كبيرة من المشروب المسمى طاللا فباعته

لجنودنا وخدمنا الذين أحاطوا بالجرة في الحال لشغفهم بشرب هذا المشروب ثم أخذوا يشربون ما في الجرة بالقرع المجفف الذي يقوم مقام غطاء لها ومقام كأس للشاربين ولم يمض خمس دقائق حتى نفد ما في الجرة فلما رأى بنات القرية ونساؤها اقبال الجنود والخدم على شرب طاللاصرن يأتين بجرار ويحومون حول قافلتنا ليبعنها لجنودنا وخدمنا . ولما رأيت ان هؤلاء الجنود والخدم شربوا كثيراً خشيت أن يتجاوزوا الحد ونقع فيما لا تحمد عقباه فمنعت شرب طاللا هذا اليوم . أما بغالنا والمكارون فانهم ما زالوا متأخرين ولم يصلوا الينا هذا اليوم أيضاً وسبب ذلك ترجيحهم راحة بغالهم ورعيها على حث السير . ولكن نحمد الله على انه كان في اجربتنا واوانينا مقدار كاف من الغذاء والماء . وكان الهواء مساعداً على النزول في العراء وانما كانت الطرق والأطراف كثيرة الغبار من جفاف الطقس وقلة الماء اعتباراً من تاديجامالكا فكلما هبت الريح يتصاعد الغبار فتعمى الابصار . مكثنا هكذا تحت الشجرة و بيدنا المظلة طول النهار وقضينا الليل تحتها أيضاً متوسدين البساط الموجود معنا وقد وضعنا تحته قليلاً من الحشائش الجافة ليقوم مقام الوسائد .

توابع نهر (قسام) الذي كنا قطعناه في (تاديجامالكا) الذي مرّ ذكره .

والناظر الى مائه يظن انه واقف لا يجري لقلة انحدار مجراه ويكفي ماء هذا النهر لادارة حجر طاحون واحد فقط . وكنا نرى من هذا المحل قرية (بالجبي) على هضبة مرتفعة صعبة المنال وهي غريبنا وما أشبه هذه القرية بعش النسر لارتفاعها ويأخذ أهلها وأهل قرى القرية ماءهم من هذا النهر وقد حفروا أيضاً حفراً يجتمع فيها ماء المطر فينتفعون بها بيد ان هذه الحفر يأسن فيها الماء فيغدو ضاراً

فرشنا بساطنا تحت شجرة تبعد ٣٠ متراً عن الماء ووضعنا على الشجرة بضعة أغصان وعدة من اغطية الجنود وجلسنا تحتها و بينا نحن كذلك اذ مر بنا الوف من القردة فأطلق عليها شوكت افندي بندقيته فأخذت تجري وتصيح وكان صغارها التي لا قدرة لها على الجري تركب على ظهر امهاتها وآبائها فكان منظر هؤلاء الخيالة من القردة أجمل من منظر مشاتها فهو مضحك جداً و بعض هذه القردة سمين كبير الجسم جداً حتى ان شوكت افندي ظنها ادباباً ولو لم أر كثيراً من القردة الكبيرة الجسوم في حدائق الحيوانات في أوروبا لكنت ذهبت مذهب شوكت افندي و بعد قليل من نزولنا اكفهر وجه السماء واشتد البرق والرعدوأخذالمطر ينهمر كأفواه القرب وكنا لابسين أحذية المطر الطويلة الساق (الجزمة العسكرية) والكساء المصنوع من اللستك المانع لنفوذ الماء و بأيدينا المظلات فلم نبتل بالماء ثم انقطع المطر وتقشعت الغيوم وظهرت الشمس وراء السحاب مرسلة اشعتها الحارة . وقد كانت اتسخت أجسامنا من الغبار الذي كان يثيره الريح في وجوهنا من حين قيامنا من مرحلة نهر اواش فلما استرحنا قليلاً اخذ كل منا يذهب وحده الى محل في النهر للاغتسال وازالة هذه الاوساخ وذهبت أنا أيضاً للاستحمام وتجردت من الملابس ووضعتها بين حجرتين ثم دخلت في الماء وأخذت أنظف جسمي بالليف والصابون ولم يكن عندئذ أحد قرب هذا المحل فوضعت الصابون على وجهي وغمضت عيني لئلايدخل الصابون فيهما ولما فتحتهما رأيت شيئاً مخيماً عليَّ كقطعة من الغمام ولما أمعنت فيه النظر

(٩)

استطلاعاً للخبر اذا هو حبشي لونه يقرب للسواد واقف على صخرة مرتفعة تعلو عن رأسي وهو منحن على يديه الى الامام يمسك بهما احرامه الكبير وطرفه الواحد على رأسه وكان عاري الجسد الا القسم الاسفل من جسمه . فسألته بالاشارة عما يريد بهذه الوقفة الغريبة فاشار باصبعه أولاً الى الشمس ثم الى رأسي ففهمت انه يريد ان يحافظ عليَّ من حرارة الشمس فشكرته ونويت ان لا أستحم بعد الآن في الشمس لان شمس هذه البلاد تؤثر في الحال على رؤوس البيض فيصاب الانسان بضربتها كما اني رأيت ان لا أقف بعد ذلك تحت شمسية ذات روح مثل التي وقفت تحتها اليوم

بعد ان أتممنا الاستحمام وجلسنا تحت شجرتنا اقترب منا بعض الاطفال الذين كانوا يتفرجون على ملابسنا وأزيائنا فاعطى يس أفندي للاقرب منهم بعض قطع من السكر . فاخذها وأراها لرفاقه فصاروا ينظرون اليها كمن لا يعلم ما الفائدة منها ثم ذاقوها بالسنتهم فلما وجدوها حلوة الطعم حكموا بانها (ملح افرنجي) وذلك لمشابهتها الملح في اللون وقد ترجم لنا كلامهم أحد خدمنا وبعد ذلك اكلوا قطعة السكر ثم صار كل واحد بالدور يطلب ملحاً أفرنجياً فوزع يس أفندي قطعاً أخرى عليهم فانصرفوا يشكرون ولما وصلنا الى مرحلة يوركا ذهب بكر أفندي الى مكتب التلفون الكائن في قرية (بالجي) وشكا الى عمدة (شوم) البلد والى آديس أبابا من كسل البغالة واهمالهم ففي الحال قام العمدة وركب للبحث على المكارية واحضارهم الى حيث ننزل . ولما قطعنا الامل من انضمام بغالتنا لنا هذه الليلة أيضاً عزمنا على المسير الى قرية (بالجي) فكان الطريق وعراً كثير الصخور والحزون يكتنفه من جهته جبل شامخ يشبه الجدار ومن الجهة الاخرى هوة هائلة يبلغ عمقها بضع مئات من الامتار فبينما كانت البغال تتسلق صاعدة في هذا الجبل الشاهق بكل مشقة وعناء كنت ترى بعض بنات الاحباش يصعدن بكل راحة وسرور وعلى ظهورهن أحمال الحطب أو جرار الماء وهن ينشدن الاناشيد ويغنين كأنهن راجعات من نزهة

وصلنا بعد ساعة الى (بالجى) . ووجدنا هذه القرية في سفح هضبة مرتفعة

جدًا ومشرفة على وادي بوركا الذي مررنا منه وعلى الهوة التي أتينا منها . دخلنا كوخ شوم البلد وكان البرد هنا شديدًا فكنا نوقد النار خارج الكوخ ثم ندخله فيه للتدفئة فبينما كنا نشكو نهارًا من شدة الحر نشكو الآن من شدة القر . والكوخ الذي كنا فيه كسائر أبنية هذه البلاد يشبه خيمة ذات سجف مدورة وفي وسط الكوخ عمود تستند عليه عواميد السقف وهي متفرعة منه كتفرع عيدان المظلات الحديدية ومستندة من الجهة الأخرى على حيطان الكوخ .

أما الباب فأطرافه من الخشب وهو نفسه (أي الرتاج) من جلود الثيران وقد كنت ذكرت ان الناس هنا يتخذون هذه الجلود بدلاً عن الطنافس لكثرة هذا الحيوان في هذه البلاد . وبناء الاكواخ في البلاد الحبشية يشابه بعضه بعضاً وانما هناك فرق صغير في بناء اكواخ البلاد التي في السهول المنحطة الشديدة الحرارة حيث يبيضون الجدران المصنوعة من العليق والنباتات بالكلس أي الجير على قدر قامة الانسان ويتركون ما بقي على حاله استجلاباً لتيار الهواء . وأما اكواخ الجهات المرتفعة الباردة فيتركون بعض ثقوب بنسبة شدة البرد فقط لذلك كنا اذا أقفلنا باب كوخنا هنا نظل في شبه ظلام .

وفي المساء وصل بعض المكارية بالاجمال فتعشينا واسترحنا على قدر الامكان رأيت هنا نوعاً من الحصير أليافه رقيقة جدًا كأنها شعر أو وبر ناعم وهو مع ذلك قوي كما اني رأيت نوعاً من الاحرامات يشبه الاحرامات المستعملة في البانيا يستعمله سكان هذه البلاد بدلاً عن الفرش للنوم والتدفئة .

يوم الثلاثاء ١ حزيران (يونو) مرحلة تنيجه فيدنسا

مراع مرتفعة — ثيران جميلة — نهر جنقورا — نهر لقادوبى — عراء الحيوانات الوحشية — برد شديد

——

كانت نتيجة تشكي رفيقنا بكر افندي بالتليفون الى آديس ابابا عن بطائة البغالة ان صدر الامر لشوم البلد (اي عمدته) بالبحث عن البغالة فكان كذلك اذ نهض الشوم بنفسه للبحث عن المكارية وساقهم امامه حتى أوصلهم الى حيث كنا نازلين فأخذوا يعتذرون بالتعب الذي أنهك قوى البغال فلم تستطع السير الحثيث فقلنا لهم اننا بعد الآن لا نقوم من محطة ما لم تمش البغال كلها امامنا كما اننا لا نسمح لهم بالابتعاد عنا قطعاً . وفي الحقيقة ان البغال كانت في منتهى التعب والجوع من قلة الكلأ والمرعى في الطريق ومن مواصلة السير منذ بضعة أيام والذي ظهر لنا من حالة البغالة انهم لا يريدون السفر هذا اليوم بل يريدون الراحة وقالوا انهم لا يستطيعون مواصلة السير ما لم نمكث هنا يوماً لتستريح فيه البغال ثم ان بعض البغالة اختفوا عن أعيننا ظناً منهم انه لا يمكن تحميل البغال ما داموا غائبين فأشرت بالبحث عن شعير وذره لتقيت بهما البغال فتقوى على السير ولما أحضروا الشعير وضعوه للبغال و بعد ان اكلت كفايتها أمرتهم بحمل الاثقال فحملوها على البغال على الرغم منهم وشدة رغبتهم بالبقاء هنا هذا اليوم وقمنا في الساعة السادسة ونصف وسرنا في أراضٍ منبتة مخصبة جداً كثيرة السكان والقرى حيث كنا نمر كل خمس عشرة دقيقة على قرى عامرة . والمواشي هنا سمينة كبيرة الجسم كسائر المواشي التي شاهدناها في طريقنا ولم أر قط في حياتي مواشي أجمل من مواشي الحبشة وقد سبق لي ذكر طرف من جمال الماعز و بياض الخرفان الناصع في الفصول السابقة . وأما ثيران الحبشة فانها لا مثيل لها وهي كبيرة الجسم على رقابها سنام من اللحم وقرونها طويلة ومتناسبة كالاهلة

وهي رخيصة جدًا . فالثور الذي لا يباع بأقل من ١٢ ليرا في غير هذه البلاد يؤخذ هنا بليرة ونصف وسبب ذلك قوة انبات الارض ووجود المرعى وقد كنت ذكرت آنفًا ان اللحوم في بلاد الحبشة كثيرة ورخيصة للغاية .

وصلنا الى نهر جنقوره بعد ان سرنا ساعة ونصفًا . ويجري هذا النهر في أرض خالية من الأشجار وهو أسرع جريانًا من نهر بوركا فلذا كانت مياهه أنظف وهو يكفي لادارة حجري طاحون . وقد وقفنا هنا بضع دقائق تزوّدنا من الماء وشربت البغال ثم سرنا في طريقنا مارين في سهول قابلة للزرع ولكن المزروع منها جزء صغير والباقي متروك . وأما الشجر في هذا السهل فآخذ في النقصان فما كنا نصادف شجرة الا كل ساعة ونصف . والاراضي المتروكة غير المزروعة كانت مغطاة بطبقة من العليق والنباتات البرية . وفي الساعة الحادية عشرة وصلنا الى ماء (لقادوبي) الذي يشبه في بطء جريانه وانسلاله بين الصخور والاحجار ماء (بوركا)واصطدنا هنا بطتين بريتين . ثم واصلنا السير الى أن وصلنا في الساعة الحادية عشرة ونصف الى ماء (تجفيدنسا) الجاري أيضًا ببطء و بعد نصف ساعة مررنا بماء آخر بطيء الجريان أيضًا وفي الساعة الحادية ونصف نزلت القافلة في الصحراء لقضاء الليل . وهنا اضطرينا لكسر أحد صناديقنا الخاصة بالمؤن لنتمكن من طبخ طعامنا فحرقناه مع الجلة . وأما نيران الليل فقد كانت كلها من الجلة لذلك كانت ضعيفة فكان ضعفها سببًا لاقتراب الحيوانات الوحشية في الليل منا وازعاجهم ايانا بأصواتهم وعوائهم . وكان البرد في الليل شديدًا جدًا فكنا طول الليل نرتعش من البرد . وبردت مياهنا حتى تخالها مبردة بالثلج .

يوم الاربعاء ٢ حزيران (يونيو) مرحلة عقاقي

هضاب متوالية — ضيافتنا عند الحاج أحمد أفندي — غرامافون — بوفه

وفي الساعة الحادية عشرة صباحاً أشرقت الشمس وأخذت ترسل حرارتها على الاطراف ومع ذلك رأينا ان نشرب الشاي لتدفئة أجسامنا . وما قدرنا ان نقوم من هنا الا في الساعة الحادية ونصف (عربيـة) صباحاً وذلك لتمنّع البغالة من القيام بسبب وجود الكلأ بكثرة في هذا المحل . ومنذ رحلنا من (بالجي) أخذنا نقطع الاراضي بصعود خفيف وأما الاراضي التي كنا نقطعها اليوم فانها كانت ذات مرتفعات ووديان خفيفة المنحدرات . وقد لاح لنا على بعد الوادي المسمى عقاقي الذي عزمنا ان تنزل القافلة فيه وظننا اننا اقتربنا منه وان ليس ثمة هضاب تحول بيننا و بين الوادي المذكور ولكن خاب ظننا هذا اذ كنا كلما صعدنا اكمة نرى امامنا أخرى فنصعد في هـذه وننحدر في تلك وهـذا الطريق أشبه بالطريق بين رابغ والمدينة فانه على هذا النمط أيضاً اذ يرى المسافر رابغ عن بعـد فيظنها قريبة منه فاذا صعد هضبة رأى هضبة أخرى امامه و بالجملة فقد وصلنا الى وادي عقاقي في الساعة السابعة بعـد ان قطعنا عدة اكمات . وهذا الوادي واسع وعميق جداً الا ان الماء الجاري فيه ليس با كبر من نهير قسام الذي مررنا عليـه في تاديجامالكا وفي موسم الامطار ينصب في هذا النهر كثير من السيول فيفيض الماء و يأخذ بالارتفاع في هـذا الوادي العميق لذلك أقاموا عليه جسراً (كوبري) منتظماً من الخشب على قوائم مبنية من الحجر طوله ٣٠ متراً وعرضه متران . وأطراف هذا الوادي مثل الاراضي التي مررنا منها عارية من الاشجار . ولما نزلنا في هـذا المحل وعزمنا على تهيئة الطعام لم نجد خشباً لايقاد النار لتسخين طعامنا فاضطررنا ان نجمع من هنا ومن هناك قليلاً من القش والنباتات الجافة

أخذنا نتجاذب أطراف الحديث نحن والذين وردوا لاستقبالنا وقال لنا وكيل أحمد أفندي انه تخلف لاشتغاله بتزيين منزله وتهيئته في آديس آبابا وقد علمنا ان سرور المسلمين هنا من ورود الوفد السلطاني لا مزيد عليه حتى اننا رأينا البعض منهم يبكون من فرحهم وأخبرنا بان كل المسلمين القاطنين في آديس آبابا سيخرجون في اليوم التالي لاستقبالنا ولما وصلت البغالة ومعهم الاثقال نصبنا الخيام . وفي هذه الاثناء وصل أحمد أفندي عبد القادر من آديس آبابا وهو رجل على غاية من التربية والأدب والكرم وحب الخير وقد ثبت لي ذلك من أعماله ومن حسن شهادة الناس به ومما سمعته من المدح فيه والثناء عليه من أفواه الناس اثناء الطريق . وقد عجبت جداً من نشاط هذا الرجل الذي مع كثرة خدمه ومماليكه ما كان يرضى الا ان يشتغل بنفسه وقد أرانا ورقة فيها اذن من ناظر قصر الامبراطور بنزول الوفد السلطاني بمنزله عاصمة الحبشة وذلك بناء على التماسه ذلك من النجاشي . ولا يمكننا وصف ما لقيناه من الاكرام هنا والادعية التي رفعت من أجل الحضرة السلطانية . وقد أخبرنا ان الاستقبال الرسمي الذي سيقام للوفد من قبل الحكومة سيكون في المحل المسمى (چولا) الذي يبعد ساعة ونصفاً عن العاصمة

يوم الخميس ٣ حزيران (يوليو) مرحلة جولا

الادعية للحضرة السلطانية — الاستقبال بالمياه المعطرة والزهور — لقاؤنا الموسيو ايلغ — التحية الامبراطورية — المطر والبرد الشديدان — رخص الحيوانات — لماعز والغنم لا تجلب بردعة من فضة هي مكافأة — الحيوانات الوحشية أيضاً

—

أستيقظنا اليوم مبكرين وأخذ كل منا يتهيأ ويلبس استعداداً للدخول الى عاصمة الحبشة و بعد ان تناولنا فطورنا قمنا في الساعة الاولى والدقيقة ٤٥ على الحساب العربي قاصدين (جولا) و برفقتنا جم غفير من المستقبلين و بعد قليل أقبل علينا كثير من أعيان الهنود والعرب والمسلمين الاحباش الوافدين من العاصمة وكانوا راكبين على خيول مطهمة وعليها السروج المزركشة ومرتدين بافخر اللباس وهم يطلقون بنادقهم في الهواء ترحيباً بنا . ولما اقتربوا من موكبنا نزلوا عن الخيول ووقفوا امامنا رافعين اكف التضرع الى الله بالدعاء للحضرة السلطانية و بعد ان تم الدعاء أخذوا يرشون المياه المعطرة علينا و يعطون لكل منا باقة من الزهور ومناديل حريرية ذات روائح عطرية كما انهم علقوا على رأس الحصان الذي كنت راكباً عليه طوقاً من الزهور ثم استأنفنا السير جميعاً و بعد بضع دقائق لقينا جماعة آخرين من المستقبلين وهكذا أخذت الوفود تكثر الى ان قربنا من (جولا) فلاح لنا على بعد بضع مئات من الامتار المسيو « ايلغ » السويسري الذي كان بمثابة رئيس نظار الامبراطور منليك ومستشاره الخاص ومعه ثلاثون فارساً ولما تقاربنا نزل هو ورجاله عن الخيل فترجلنا نحن أيضاً فبعد التحايا أبلغنا ان جلالته يهدينا تحياته الخصوصية ثم قال ان الحكومة الحبشية ستستقبل الوفد السلطاني بصفة رسمية في اليوم التالي بكثير من الجنود ورجال الحبشة . وان دخولنا الى العاصمة بصفة رسمية أيضاً وان الوفود المستقبلة الرسمية ستحضر في اليوم التالي الى هنا

وبعد ان انتهى ذلك استأذن المسيو « ايلغ » بالاياب الى العاصمة لتلقي الاوامر الامبراطورية الخاصة باليوم التالي فرجوته ان يقدم ويعرض بالتليفون شكري العظيم لجلالته ثم ذهب المسيو « أيلغ » ونصبنا نحن الخيام والصواوين ونزلت قافلتنا هنا لقضاء هذه الليلة وأخذت ترد الوفود أفواجاً افواجاً من اديس ابابا وكان بينهم هذه المرة كثير من الارمن والاروام وشاع بين القافلة ان الوفد لا ينزل بمنزل احمد افندي عبد القادر بل سيكون ضيفاً بمنزل احد أعيان الارمن وقد اكد لنا هذا الخبر أحد رجال معية النجاشي المسلمين وعلى ذلك ركب احمد افندي حصانه وذهب تواً الى اديس ابابا وفي الليل وصلني كتاب من الموسيو ايلغ ينفي ما أشيع ويؤكد صحة الكتاب الذي كان مع احمد افندي عبد القادر وفيه الاذن له بأن يضيف الوفد السلطاني بمنزله وفي الساعة الثامنة من النهار أخذت الامطار تنهمر بشدة فبللت داخل الخيام وتجمعت المياه في الاراضي المنخفضة والحفر التي امامنا حتى صارت كبرك وبحيرات صغيرة . وبينما كان المطر منهمراً أرسل لي أحد الاحباش قبعته لاحفظها داخل الخيمة وبقي هو (أي صاحبها) مكشوف الرأس تحت أهوال المطر . وبعد قليل انقشعت الغيوم وظهرت الشمس وأخذت تعكس حرارتها الشديدة على السهول والوديان الرطبة . وكان امامنا مراعٍ واسعة ترعى فيها المواشي وبينها كثير من الخيول الجميلة . ولا ثمن للخيل هنا أي انها رخيصة جداً حتى ان الحصان الذي يساوي ٥٠ ليرة لا يباع ولا يشرى هنا بأزيد من ست ليرات فقط . والخيل الجميلة في هذه البلاد هي التي تأتي من مقاطعة (ادال) . ورقاب هذه الخيول جميلة جداً الا ان مؤخرها غير جميل ولا ترفع اذنابها وقت السير كما ترفعها الخيول العربية الاصيلة . ولا يستطيع المرء ان يأخذ معه خيلاً من هنا الى الاستانة للموانع الكثيرة التي تعترضه كغلاء الأجور بالسكة الحديد من در يدوه الى الساحل والبواخر من جيبوتي الى السويس كما ان الحكومة المصرية تمنع اخراج الخيول الى السواحل المصرية تحوطاً من الامراض الحيوانية .

كان في صحبتي بضعة عشر فارساً من الجاندارمة الجركس لما كنت قائماً بوظيفة مد السلك البرقي الحجازي بين الشام والحجاز . وكان هؤلاء الجنود تابعين لكوكبة الجاندارمة المقيمة في لواء الكرك لذلك كانت خيولهم من أحسن الخيول العربية فاذا أراد الانسان ان يقتني واحداً من هذه الخيول بالاستانة لا يقدر ان يشتريه بأقل من خمسة وعشرين ليرة عثمانية . ولما عدنا الى سورية عن طريق البحر اضطر الجنود ان يبيعوا خيولهم الجميلة في جدّه بثمن بخس جداً لا يتجاوز ثمن الحصان الواحد ثلاث أو أربع ليرات . وذلك من كثرة المصروف في البحر والمشاق والعوائق . واهل جدة لا يحبون اقتناء الخيل لانهم يركبون الهجن .

وليس هنا أي في البلاد الحبشية طريقة للاستفادة التجارية من رخص اللحوم والمواشي سوى طريقة واحدة وهي تأسيس فابريكات (معامل) في دريدوه التي هي المحطة الاخيرة من السكة الحديد أو في (هرر) القريبة منها لعمل المحاشي المسماة (صوجوق) واللحوم المقددة المسماة (باصديرمة) من الجواميس ولعمل خلاصة مرق اللحم واصداره الى الخارج . ورغم كثرة المواشي والابقار والجواميس في هذه البلاد خصوصاً في البقاع التي مررت بها تجد الاهالي لا يعملون الجبن بل لا يستخرجون من الالبان الا السمن والزبدة فقط . ولا يستفيدون شيئاً ما من البان الماعز والضان لانهم يأنفون من حلب الماعز والضان لصغر أجسامها وقلة ألبانها ويعدون حلب الماعز والنعاج نقصاً وعيباً كبيراً ويقولون ان لبن هذه الحيوانات هي حق لصغارها . وقد كنت كلما تسنح لي فرصة اذكر لهم ان في سورية وحلب تجمع العرب ألبان هذه الحيوانات وتستخرج منها السمن حتى ان السمن الذي نأكله بالاستانة هو من البانها فكانوا يستغربون مقالي جداً . فاذا أنشئ في المحلات الآنفة الذكر معامل للجبن والسمن فانه يكون منها ارباح وافرة لان النقل منها واليها سهل بواسطة السكة الحديد ولان المراعي كثيرة فما من نفقات سوى أجرة الرعي فقط

كان اليوم بين الواردين لاستقبالنا بعض الاعيان الراكبين على برادع من فضة

وهي احسان من النجاشي لان الانسان هنا لا يقدر ان يشتري بردعة من فضة ويركب عليها مهما كان غنياً بل هذه تمنح من لدن الامبراطور كانعام على من شاء . فهي والرمح والسيف والترس تعتبر في هذه البلاد في مقام النيشان والرتبة فلا يجوز استعمالها الا اذا اهداها النجاشي لاحد الناس . وقد كثر الزوار اليوم لدرجة عظيمة حتى صار محل نزولنا كسرق عظيم . والتف كثيرون حول الفونوغراف الذي شغله احمد افندي وأخذوا يسمعون الغناء بحيرة ودهشة عظيمة . وكان من جملة ما اسمعنا الفونوغراف بعض محاورات بين حواة (مزعبر) فكان من وقت لوقت يسمع من هؤلاء الحواة قهقهة فيقهقه القوم وهم مندهلون حائرون والبسطاء منهم ظنوا ان الاصوات اصوات شخص كانت صورته مرسومةً على عدة الفونوغراف وأما الذين هم أعقل من هؤلاء البسطاء فلم يقبلوا هذا التعليل بل ادعوا ان الافرنج حبسوا شيطاناً داخل الماكنة على ان القوم بالجملة في منتهى الذكاء ولكنهم محرومون من نور العلم والمعارف ولا يعرفون ما هي المدارس

بعد الغروب أخذ الناس والزوار ينسحبون الى المدينة ولم يبق في محل نزولنا الا من كان قد أتى معه بخيمة . ولم نوقد هذه الليلة نيراناً عظيمة لان الحطب لم يكن كافياً الا لعمل القهوة وتسخين الطعام . لذلك اقلقنا الذئاب وغيرها بهجماتها طول الليل واضطررنا مراراً لاطلاق البنادق لطردها

يوم الجمعة ٤ حزيران (يونيو) آديس ابابا

السعي في بناء جامع — سرور الاهالي المسلمين — الاحتفال باستقبالنا — دخولنا الى آديس ابابا — دورغو الامبراطور — منزلنا — تاريخ الحبشة مختصراً — وصف الحبشة — الاهالي والتقسيمات الادارية ,

---

وعند الصباح ورد قبل كل الناس التجار الهنود المسلمون ومعهم صحف الورد والزهور والمياه المعطرة والمناديل ذات الروائح الطيبة وبينما كنا نشرب القهوة كنا نتجاذب اطراف الكلام فانتقل حديثنا الى صلاة الجمعة وعلمنا منهم انه لا يوجد في آديس ابابا مسجد وان المسلمين يؤدون صلاة العيد في الفضاء . وقد قيل لي ان المسيحيين في آديس ابابا من غير الاحباش مثل الكاثوليك والروم والارمن أرادوا ان يبنوا كنائس خاصة بهم فعرضوا ذلك للحكومة الحبشية فأجابتهم انكم وايانا مسيحيون فيمكنكم ان تصلوا في كنائسنا فلا لزوم لبناء كنائس أخرى . فلذلك لم يقدم المسلمون لانشاء جامع خوفاً من ان تمنعهم الحكومة كما منعت النزالة الاخرى وقد علمت منهم ايضاً ان المسلمين الذين يبلغ عددهم زهاء الفين في آديس ابابا ليس لهم مقبرة خاصة بهم بل انهم يدفنون موتاهم في منازلهم وحدائقهم . فوعدتهم عند سنوح الفرصة ان التمس من جلالة الامبراطور منح قطعة أرض لبناء جامع وأخرى لتكون مدفناً للمسلمين . فسرهم هذا الوعد أي سرور ودعوا للحضرة السلطانية وعلمت ان المسلمين في آديس ابابا كانوا منذ بضعة أيام يوالون الاجتماع في منزل أحدهم للتذاكر في كيفية استقبال الوفد السلطاني

وفي الساعة الثالثة ونصف جاء المسيو ايلغ والمندوبون لاستقبالنا رسمياً ومعهم جميع الحرس الملكي الخاص بالامبراطور والامبراطورة الموجود في آديس اباباوأخذ

المسيو ايلغ يعرفنا بالذين جاءوا معه وكان بينهم من الاحباش رأس ولدي حاكم مقاطعة جرد السابق والنائب الامبراطوري الآن « وغراج كزو » و « فيتوراري آبردي » قائد الحرس الخاص بالامبراطورة ووكيله « دجاج آباتا » ومن العرب عبد الله عقيل وعبد الله صادق ومن الهنود المسلمين جراح وكيل غلام علي ويوسف علي وكيل محمد علي والحاج صالح المصوعي والشيخ أبو زرعة والحاج محمد أبو بكر

وبعد التعارف والاستراحة قليلاً ركبنا الخيل وأخذنا بالسير قاصدين عاصمة الحبشة والجنود الحبشية سائرة امامنا وخلفنا . ولم نقطع مسافة قليلة حتى قدم علينا المسيو مارتن ده كا الملحق الحربي في سفارة فرنسا لابساً ملابسه الرسمية لاستقبالنا من قبل الموسيو لاغرد السفير الفرنسوي لدى بلاط النجاشي

كنا نسير والحديث متواصل تارة بيني وبين المسيو ايلغ والمسيو مارتن ده كا وتارة بيني وبين رأس ولدي بواسطة الترجمان . وكان منظر الوهاد كزمردة خضراء والعاصمة قائمة امامنا كأنها معسكر جسيم وفي أعلى هضبة منها القصر الامبراطوري . وكان جميع الذين أتوا من آديس آبابا لاستقبالنا بالالبسة الرسمية الحربية فعلى رؤوس أناس منهم شعر رقبة الاسد (وهم الذين قتلوا أسداً) ومنهم من هو واضع على رأسه خوذة يتدلى منها على وجهه وصدره حلقات وسلاسل رفيعة ومنهم من هو معلق في أذنيه أقراطاً وآخرون لابسون أساور في معاصمهم وكل من هذه الاشياء هي علامة فارقة وبمثابة وسام . وأما الجنود فانهم كانوا حفاة الاقدام سوى قوادهم والرأس ولدي والذين كانوا برفقتنا فانهم لابسون في أرجلهم حذاء من لباد ثخين ومحل الاصبع الكبير من الرجل خارج من الحذاء كاصبع القفاز وذلك لاجل وضع الاصبع الكبير في الركاب عند الركوب

ولما دخلنا آديس آبابا وجدنا الشوارع والساحات وسطوح المنازل ملآى وغاصة بالناس قد خرجوا ليتفرجوا على دخول الوفد السلطاني وليروا (الجنرال التركي) . وكان الناس من كل صوب يرحبون بنا واستمر هذا الموكب هكذا حتى وصلنا الى

يستقبل الزائرين بوجه باش و يناظر أعمال الخدمة والطهاة ومحضري القهوة والخوانات (سفر الاكل) وبالجملة كان يريد ان يقوم بكل الاعمال بنفسه والناس من حوله تهنئه على نزولنا بمنزله . وقد سافرت كثيرًا وجلت في بلاد كثيرة فلم أر اكرامًا بهذه الدرجة .

قلنا آنفًا ان النجاشي لم يكن موجودًا في آديس ابابا والعادة هنا ان القادم لا يمكنه رد زيارة أحد قبل مقابلة النجاشي فلذلك عزمت أن اشتغل لحين عودة جلالته من مصيفه باستطلاع أحوال هذه البلاد وتدوينها في مذكراتي.

مجمل ماضي الحبشة

عند ما جعلت السلالة الثانية عشرة من الفراعنة الاراضي الكائنة بين الشلال لاول والثاني ولاية تابعةً للحكومة المصرية تقدمت الجنود المصرية الى أن وصلت الى سفوح جبال الحبشة وأخذت في غزو المدن والنهب والسلب . وفي زمن السلالة الثالثة عشرة تغلغلت الجنود المصرية الى ان وصلوا الى ملتقى نهر تاكازا بنهر النيل و بذلك جعلوا الحبشة شبه تابعة لمصر وانتشر الدين واللغة المصرية اذ ذاك في هذه البلاد وصارت الحبشة كولاية ممتازة تفوّض ادارتها في الغالب لامراء من أولاد الفراعنة . وقد أقام المصريون في بعض المحال من الحبشة مسلات وأبنية فخيمة وآثارًا ضخمة كالآثار المصرية القديمة . وفي سنة ۹۳۰ قبل الميلاد استقلت هذه البلاد و بين سنة ۷٤۰ و۷۳۰ قبل الميلاد هاجم بيونكي ميامون صاحب الحبشة البلاد المصرية واستحوذ عليها و بعد خمسة عشر عامًا تقدم فرعون الحبشة المسمى ساباسون بجنوده حتى اوصل فتوحه الى ساحل البحر المتوسط وصار رسميًا في عداد الملوك العظماء واسس عائلة حاكمةً جديدةً . ولما أخذ فراعنة الحبشة من خلفاء هذا الملك يتداخلون في شؤون السوريين واليهود وقعت محاربات بينهم و بين الملوك الاشوريين فانتصر اسسار هندو أحد الملوك الأشوريين على الاحباش سنة ٦۷۰ قبل الميلاد فاوغلت جنوده في البلاد المصرية حتى وصلوا الى منفيس وفي سنة ٦٦٦ قبل الميلاد تقوى قانواتامانو ابن ساباسون المار ذكره لاسترجاع البلاد المصرية ولكن لم تبق هذ البلاد في حوزته كثيرًا اذ هاجمه أسوربانيال الملك الاشوري سنة ٦٦۳ قبل الميلاد فانتصر عليه في واقعة قرب طيبه واستولى على البلاد المصرية مرةً أخرى . و بعد هذه الواقعة انزوت الحكومة الحبشية عن باقي الدول المتمدنة الموجودة اذ ذاك وانفردت

وزنجبار ولم ينصرم القرن الاخير الا وكانت أخرجت من يدها سواحل البحر الاحمر كله أيضاً و بقيت محصورة في الحدود الحالية التي سنصفها فيما بعد

والبلاد الحبشية الاصلية هي جبال ووهاد وحزون صعبة المرور كأنها قلاع وآطام قائمة للدفاع عن البلاد . فلذلك لم يكن فراعنة مصر يعمدون الى التوغل في داخل الحبشة بل يكتفون بارسال جنودهم برًا للنهب والسلب على طول النيل الازرق ونهر تاكازا لحد الجبال المذكورة ومن جهة البحر يكتفون بغزو مصوع وجيبوتي والسواحل الاخرى . وسكان الحبشة القدماء كانوا يشبهون في احمرار لونهم سكان البلاد المصرية والبلاد الجنوبية من جزيرة العرب .وقد كان هاجر قبل الميلاد على مدى العصور أقوام من جزيرة العرب مارين من مضيق باب المندب الى بلاد الحبشة حتى ان اليونانيين عند ما أتوا لاول مرة لاكتشاف هذه البلاد من سواحل البحر الاحمر وجدوا فيها سكانًا يتكلمون لغة أهل حمير وسبا الكائنين في جنوب جزيرة العرب

وقد احتل أمراء العرب الاقدمون البلاد الواسعة التي لم يستحوذ عليها فراعنة تابانا ومروة وجعلوها تابعة لهم وحكموها مباشرة أو بطريق الحماية من القرن الثالث قبل الميلاد الى القرن الرابع بعده . وكانت وقتئذ مدينة (آقسوم) هي أعظم عواصم البلاد الحبشية . وكان للاحباش وقتئذ علاقات وصلات بواسطة التجارة بالمصريين والرومانيين واليونانيين الذين كانوا يردون على بلادهم وكانت الديانة الاسرائيلية دخلت اليها من اليمن قبل الاسلام والنصرانية . وأما النصرانية فانها دخلت اليها على يد الراهب فرمانتيوس الذي أرسلته الامبراطورة (التي) زوجة قسطنطين امبراطور القسطنطينية ولم تنتشر هذه الديانة في البلاد الحبشية الا بعد قرنين من دخولها على يد الرهبان الذين أرسلهم يوستنيان من مصر وهم الذين لقنوا سكان الحبشة المذهب الاوتيكوسي من الديانة المسيحية

ويقول الرهبان الاحباش ورجال الدين عندهم ان التواريخ والقيود المحفوظة

رجال الدين الحبشي فوقعت وقائع دموية بين أتباع المذهب الاوتيكوسي وبين أتباع المذهب الكاثوليكي واستمرت هذه المحاربات الدينية قرناً كاملاً وبالنهاية تيسر للاحباش في القرن السابع عشر أن يطردوا القسس الكاثوليك من بلادهم ونقلوا عاصمة ملكهم الى (غوندار) . وبعد هذا التاريخ بقيت بلاد الحبشة مغلقة في وجه الاوروبيين قرناً ونصف قرن . وفي سنة ١٧٥٠ قام قسس الكاثوليك المرسلين لنشر مذهبهم بين الاحباش فنشأ من ذلك ثورات أدت الى مهاجمة الفالين للحبشة ووقوع ثقلاها بما نوت الملك الحبشي في الاسر . وفي سنة ١٨٠٠ نجح ملك تيغري بتسكين البلاد واعادة الامن اليها ولكن الفتن والثورات عادت اليها بعد وفاته ودامت للقرن التاسع عشر فتركت اجتهاد الاوروبيين لاكتشاف الحبشة وتمدين سكانها عقيماً

وقد انقسمت وقتئذٍ بلاد الحبشة الى ثلاث حكومات تابعة اسماً لملك واحد وهذه الحكومات هي شووا وتيغري وامحرا . وفي سنة ١٨٥٠ قام مدير قصر أمير شووا المدعو (قاسسا) واغتصب الحكم من رأس علي الامير الاصلي ثم هاجم حكومة امحرا سنة ١٨٥٢ واستولى عليها كما هاجم عام ١٨٥٥ حكومة تيغري وفتحها أيضاً وأعلن نفسه في أنقوبر ملكاً باسم تيودوروس . وقد انتصر على الفالين ثم ألّف جيشاً من ١٥٠٫٠٠٠ جندي وأراد أن ينظمهم على الطراز الغربي الجديد كل ذلك لاعادة سطوة الحبشة القديمة واعلاء مجدها

وكانت علاقاته بالدولة الانكليزية حسنة ولكنها ساءت هذه الصلات الحسنة فيما بعد وانقلبت الى العداوة فارسلت انكلترا في سنة ١٨٦٨ حملة حربية تحت قيادة الجنرال نايير فانهزم تيودوروس في واقعة مجدلا فانتحر . وأما الجنرال نايير فانه انسحب هو وجنوده من الحبشة في سنة ١٨٦٩ بعد أن عقد عهداً مع رأس قاسسا أمير تيغري . وفي سنة ١٨٧١ أرغم رأس قاسسا رأس غوبازية امير امحرا ورأس منليك (وهو الامبراطور الحالي) أمير شوعا للطاعة اليه والاعتراف بملكه على الحبشة كلها ولبس تاج الامبراطورية باسم يوحانس وفي هذه الاثناء قام اسماعيل باشا خديو مصر

الاسبق لضم بلاد الحبشة الى الخديوية المصرية واستولى في سنة ١٨٧٢ على بلاد بوغوس وقصبتها كره تي ولكن الحملة المصرية التي أرسلها في سنة ١٨٧٤ وفي سنة ١٨٧٦ للاستيلاء على تيغري انهزمت أمام جنود الحبشة فرجعت من حيث أتت . وحدث في اثناء ذلك حوادث ذات بال مثل عزل اسماعيل باشا ثم فتنة عرابي وظهور المتمهدي فنجت هذه الحوادث يوحانس من حملة المصريين ولكنه وقع بين مطامع ايطاليا الاشعبية من جهة وهجمات شيعة المتمهدي من جهة أخرى . أما الطليان فانهم دخلوا مصوع في شهر سبتمبر (ايلول) سنة ١٨٨٥ فارسل يوحانس عليهم حملة يقودها رأس الولد فانتصر في دوغالي على فرقة صغيرة من الجنود الايطالية . وفي سنة ١٨٨٩ انصاع يوحانس لنصائح الانكليز وتحريضاتهم فهاجم شيعة المتمهدي في القلابات حيث انهزمت جنوده وقتل هو في الواقعة نفسها . و بعد ذلك خلفه في الامبراطورية منليك أمير شوعا . وقد استفادت ايطاليا من وفاة يوحانس وانهزام جنوده ولكنها طمحت وأرادت المزيد فاعلنت الحرب على الحبشة فعادت الدائرة عليها في واقعة عدوه حيث انهزمت شر هزيمة واضطرت ان تعقد مصالحة مع جلالة منليك الذي تأيد مركزه وصار بعد ذلك ملكاً لملوك الحبشة بدون منازع وهو الآن يحكم بلاده بكل هدوء وسكون

مختصر جغرافية الحبشه

ان بلاد الحبشة يحدها من الشمال بلاد السودان المصري ومستعمرة أرتيرة الطليانية ومن الشرق المستعمرة المذكورة أيضاً والصومال الفرنسوية والصومال الانكليزية ومن الجنوب أوغادن الانكليزية ومن الغرب بلاد السودان المصري أيضاً . وهذه البلاد ليست كلها أراضي جبلية بل تحتوي على أراض مختلفة الطبيعة من حيث الاقاليم والتكون فخذ مثلاً هذه الاراضي القائمة عليها آديس آبابا والبلاد الاخرى التي على هـذا السهل الجبلي فانه لا فرق كثيراً بينها و بين البلاد الباردة كما ان أراضي هرر الوسيعة التي مررنا منها هي سهول جبلية مرتفعة مناخها في غاية الاعتدال. أما الاراضي المحاذية لساحل البحر الاحمر المسماة « سمهرا » فهي منحطة وشديدة الحرارة . والاراضي الجنوبية الواقعة في جوار نهر صوبات من توابع النيل الابيض هي مستنقعات . وسلسلة الجبال الواقعة في « السمهرا » الجهة البحرية منها شاهقة جداً والجهة الاخرى تأخذ بالميل والانحدار بالتدريج وبذلك يكون منها سهل مرتفع يعلو عن سطح البحر ١٥٠٠ متر . ويوجد على هذا السهل بعض جبال وهضاب مختلفة الارتفاع والبعض منها تعرف باسم امبا وتشبه شكل المنشور القائم الهندسي ويصعد بصعوبة على بعض هذه الهضاب و بعضها يتعذر الصعود عليها . وأعالي هذه الجبال كلها سهول معمورة ذات خصب و بعضها تعلو عن سطح البحر كثيراً مثل سهول سمين وغوجام فان علو كل منهما عن سطح البحر يبلغ ٢٤ متر وعلو سهل (سوويرا) ٣٠٠٠ متر وعلو سهل رأس داشان ٤٦٢٠ متر وعلو جبل (قوللو) ٤٣٠ متر والبحيرات الكبيرة المشهورة في الحبشة هي بحيرة (تسانا) التي ينبع منها النيل الازرق وكثير من البحيرات في الجنوب الشرقي منها

منهم . والصناعات عندهم تطرية الجلود ودبغها وصنع الاسلحة الجارحة وحياكة بعض الانسجة الغليظة من القطن والصوف وكانت المنسوجات الوطنية رائجة وكافية لحاجة أهل البلاد ولكن لكثرة دخول المنسوج المسمى (بفتة سمراء) تغلب على المنسوجات الوطنية برخص ثمنه وصار الناس يقبلون عليه

هذا والحبشة ولايات متعددة ممتازة كل واحدة منها مستقلة في ادارتها الداخلية وتدفع اتاوة سنوية للنجاشي واكبر هذه المقاطعات هي : شووا ، وامحرا ، وتيغري ، وهرر ، وغوجام ، وجمابا جفر . والمقاطعات الصغيرة هي : في الشمال همازن ، واوحماسين ، واغامة أو عقامة ، وساروري ، وشيري . والمدن الشهيرة التابعة لها هي : آقسوم ، وآدووا ، واندرتا . والمقاطعات التي في البلاد المتوسطة هي : واغفاره ، وسهمن ، ووهه ، ولاستا ، ودمبا . ومدنها المشهورة هي غوندار والاقا . والمقاطعات التي في الجنوب هي : داموت وكافقا وغوراغه ومدنها الشهيرة آديس آبابا القائمة مقام انكوبر والتي هي عاصمة البلاد كلها . والمقاطعات الكبيرة ترتبط مباشرة بالامبراطور وترجع اليه في شؤونها من غير واسطة ويدير كل مقاطعة رأس والمقاطعات الصغيرة يديرها مأمور برتبة أصغر . وهذا الترتيب أشبه باصول الحكومات القديمة التي كانت تسمى Feodalisme لان كل مرؤوس لا يعرف سوى رئيسه الذي عينه في وظيفته وله ان يأخذها منه متى شاء فالرأس كأنه حاكم مستقل في دائرة حكمه يدير شؤون البلاد الملكية والعسكرية كما يشاء وللرأس ان يحارب الاجانب كما ان الرؤوس كثيراً ما يحارب بعضهم بعضاً أيضاً . ومن حقوق الرأس ان يفرض على الناس ضرائب حسب رغبته ويشتري الاسلحة وبالجملة ان الرأس مع كونه تابعاً للامبراطور هو حاكم مطلق التصرف . وعلى الرأس ان يؤدي الاتاوة الى الامبراطور وان يطيع أوامره في تعبئة الجيوش وسوقهم الى ساحات القتال وقت الضرورة . وبعض الاحيان يعطى لقب (نفوس) أي حاكم أو ملك لبعض كبار الرؤوس ولقب الامبراطور هو (نفوسي نفسي) أي ملك الملوك وهذه الالقاب التعظيمية خاصة فقط بالكتابة وأما الامبراطور

فانه معروف بين الناس بلقب (جانهوي) . والامبراطور الحالي هو صاحب ومالك مقاطعة شووا فهو في آن واحد امبراطور الحبشة وملك مقاطعة . وكثيراً ما يتعدى الرؤوس على بعضهم عند ما يجد الواحد منهم عنده قوة كافية لذلك لاغتصاب بلاد الآخر ونزعها من يده وقد يثورون في وجه الامبراطور نفسه لان الامراء أي الرؤوس لا يهمهم سوى الاشتغال بتزييد قواهم وسطوتهم العسكرية وبالحروب والضرب والطعان بدلاً من ان يشتغلوا بانماء ثروة البلاد وباحياء الزراعة والتجارة وبتوفير أسباب سعادة الاهلين . والسلم والامن موطدان الآن في داخل الحبشة وجميع الرؤوس والامراء منقادون للامبراطور تمام الانقياد وخاضعون لاوامره فليس لهم أدنى علاقات مع الخارج أي الاجانب وبعض كبار الاحباش الذين لا تأمن الحكومة الحبشية جانبهم وتشك في صدق اخلاصهم مبعدون في محلات بعيدة ومنفردة وهم دائماً تحت المراقبة الشديدة ومن هؤلاء رأس سابات ورأس منفاشاولد يوحانس فان منفى الاول في هرار والثاني في انكوبر

ويعاد هذا الاحتفال يوم الاربعين أيضاً . ويحلق النســاء القريبات للميت وسيما الزوجات رؤوسهن ويكوين جباههن وخدودهن بحديدة حامية لدرجــة الاحمرار علامة على الحداد على ميتهن . ومن العادات هنا ان الزوج والزوجة يرث كل منهما الآخر و بعد وفاة الاثنين ينتقل ما يملكانه الى اولادهما وتأخذ البنت كما يأخذ الصبي بالمساواة وانما على الورثة قبل تقسيم الارث ان يؤدوا مصروف المأتم والجنازة واذا لم يفِ الارث المتروك بهذه النفقات يضطر الورثة أن يؤدوا ما بقي من جيبهم . لانه من الواجب أن ينفذ حكم العادات . واذا كان الميت لم يترك وصية فان الكلام الذي فاه به الى القسيس الذي اعترف اليه لآخر مرة قبل موته يقوم مقام الوصية. والقسيس يعلن للاقرباء والناس ذلك بعد وفاة المعترف .

ولما أتممت تدوين ما حققته بخصوص الموتى والمأتم حضر المسيو ليشين ترجمان سفير الروسيا للسلام علينا من قبل السفير . و بعد قليل ورد لزيارتنا آتو باشا بالاينتخ الذي كنا تعرفنا به في مرحلة تاديجامالكا وقد كان اكرمنا غاية الاكرام وأراد أن يهديني بغلاً . وقد كنت رأيته في تاديجامالكا بملابس ثمينة وعلى رأسه قبعة جميلة وعليه ثوب من الجوخ الاسود داخله بالحرير . ولكن لما ورد لزيارتنا هنا رأيته بعكس الهيئة المذكورة اذ كان حافي القدمين ، مكشوف الرأس وملابسه قيص ولبــاس مصنوعان من البفتة السمراء وعليهما ثوب من اللباد العريض . وجلسنا نتكلم وكان صاحب المنزل يترجم كلامنا فسألت المترجم عن سبب ذلك من غير ان يشعر الرجل فقال انه عند ما يكون في العاصمة يضطر لمقابلة كثير من الرؤســاء والامراء فلذلك يرتدي بالملابس البسيطة اظهاراً للتواضع والخضوع والاطاعة حتى ان بعض الاغنياء منهم يتظاهرون في بعض الاحيان بالفقر والفاقة امام الرؤساء وهــذا يعد من جهة تواضعاً ومن جهة أخرى باباً للوصول الى السلامة من طمع الطامعين . وقد ترك زائري جميع خدمه و بغاله في شولا وحضر وحده الى آديس ابابا .

وفي اثناء الكلام انتقل حديثنا الى خصوبة اراضي الحبشة فعلمت ان الاراضي

هنا تعطي في السنة مرتين من المحصول وفي بعض الاحيان ثلاث مرات وان كروم العنب تثمر مرتين أيضاً في السنة كما ان الغنم والبقر تلد مرتين. وقد كان الوقت الآن وقت طعام الغداء فأردت ان أدعو الآتو الى الطعام فقبل دعوتي بتردد وتحرز. فلما آن وقت الجلوس على المائدة رأيت ان الموكلين بالموائد رتبوا مائدة خاصة بالآتو غير مائدتنا. فسألت عن سبب ذلك فقالوا ان المسيحيين في الحبشة لا يأكلون مع المسلمين على مائدة واحدة وكل من الفريقين لا يتناولون شيئاً من ذبائح بعضهم ولا من آنيتهم. فلذلك رتبوا مائدة للآتو ووضعوا عليها ما كل واردة من أوروبا ضمن صفائح. وأظن ان هذه العادة أخذها الاحباش قديماً من الاسرائيليين وبعد الظهر ورد لزيارتي سليمان أخو محمد بن داوود أمير مقاطعة جماجفر وولي عهده (وهو ابنه) عبد الرحمن وابنه الثاني عبد المجيد. وقد كانوا علموا اني على الطريق واني سأصل قريباً الى عاصمة الحبشة لذلك أتوا من بلادهم بصفة خصوصية لزيارتي. وسليمان هذا لا يتجاوز عمره خمسة وثلاثين وعمر ابنه عبد الرحمن اثنان وعشرون سنة وعبد المجيد كان في السابعة عشرة من سنيه.

ليس الشرف باللباس فهؤلاء الزائرون على غاية من بساطة الملبس ولكن سيماء النجابة والحسب كانت بادية على وجوههم. وأخذوا يسألونني باللغة العربية التي كانوا يجيدونها هل حججت أم لا وما هي المسافة من الاستانة الى هنا ومن الشام الى مكة المكرمة وما هي جسامة الاستانة وانتظامها وأسئلة أخرى عن مكة والمدينة. وقد أظهروا شوقهم الشديد لزيارة مكة المكرمة والمدينة المنورة وعاصمة الخلافة الاسلامية. وقد علمت انهم درسوا اللغة العربيـة وانهم يعرفون الكتابة والقراءة. وبينما كنا نتكلم فتح أحدهم ساعته وسألني عن الماركة (شارة الفابريكة). وكان في محل الساعات صورة الطغراء السلطانية. فاخذت أشرح لهم معنى هـذا الشعار فلما فهموا ما هي الطغراء صاروا يقبلونها ويضعونها على رؤوسهم فارتفع بنظرهم قدر الساعة. وهنا ندمت على عدم أخذ بعض لوحات مطبوع عليها الطغراء العثمانية فانها كانت تصير

وهو عبارة عن عجين يطبخ بالماء و يضاف عليه الفلفل الاحمر وهذا هو طعام الأحباش
الوطني وهو يشبه العصيدة التي يطبخها الجواري السود عندنا . والأكابر يعالجون
السيرو بدقيق العدس أو دقيق الحمص والفقراء يطبخونه بدقيق الفول وقد قيل لي ان
بعض الناس يطبخه بدقيق بزر الكتان. وهناك اصناف اخرى من المآكل مثل (امباشا)
وتعمل من دقيق القمح وتطبخ بالفرن مثل الخبز . و (دابو) وتعمل من دقيق الحنطة
أيضاً . و (غوتنفو) وهي عبارة عن عجين يحشى قطعاً مفرومة من اللحم ويقلى
بالسمن . و (كلكل) وهي نوع من اللحم المسلوق . والأحباش يأكلون اللبن
الحامض المعمول من غير غلي ولا خميرة بعد ان يضعوا فيه فلفلاً احمر . ومرقة هذا
الفلفل تقوم مقام الأدام عند الفقراء و بالجملة ان الفلفل الاحمر في كل شيء ولذلك
يدخره كل صاحب منزل في اوانه بالقناطير و يعملون منه ضرباً من المرقة (صالسه)
تشبه مرقة الطماطم (البندوره) يغمسون فيه الخبز المسمى (انجره) و يأكلونه والفقراء
يسرهم جداً هذا لأدام وكان بين المؤن التي وردت لنا البارحة من قصر النجاشي
بضع جرات من هذه المرقة . لذلك لم يكن لخدمتنا وجنودنا من شغل سوى تغميس
اللحم النيء في مرقة الفلفل المار ذكره وأكله بكل سرور . و يعمل الاحباش انواعاً
من العصيدة من دقيق الذرة والفاصولية والشعير والدف والحنطة ويكثرون من
وضع الفلفل الاحمر في هذه الاطعمة حتى انه لا يتأتى لامثالنا ان يضعوا منه ولو
قليلاً في فمهم بل لا يستطيع احدنا وضع أصبعه فيه لانه يفعل ما يفعله الخردل و يعملون
نوعاً من الفطير يسمى (برانجيرا) وهو يشبه (البغاشه) ولهم نوع من البسكو يت يهيئونه
لاجل الاكل في أسفارهم وتكون كل قطعة منه بقدر البندق ويكون داخله ملآناً بالعجين
و يسمونه هنا (دانفلو) وكيفية صنعه انهم يجعلون العجين فتائل طويلة ثم يقسمونه قطعاً كروية
ثم يحمصونها على الصاج و يبيعونه في الاسواق كما يباع عندنا ولم اقدر على اكل واحدة
منها من كثرة الفلفل الاحمر الموضوع فيه . و يعملون نوعاً من اللحم المقدد (باصديرمه)
يأكلونه في أسفارهم اذا لم يوجد لحم . وقد رأيت بغالتنا يعدلونه مراراً . وكيفية عمله

القرن ولما أخذت أواني البلور ترد من أوربا مثل الاقداح والجامات أخذ الاكابر يشربون بها على ان أوربا ترسل الآن الى الحبشة قروناً من الحديد مطلية لتزاحم في هذه البلاد تجارة القرون أيضاً . والقوافل تنقل مياهها بقرون كبيرة وأما في منازل الرؤوس فان الانسان يشاهد أواني البلور الخالص عليها نقوش بماء الذهب. ويسمي أهالي تيغرى التج (ميز) . والعسل كثير جداً في الحبشة ، جنيه دائماً عقب موسم الامطار. والاحباش لا يكلفون أنفسهم بتربيـة النحل بل هو ينمو من نفسه بحالة طبيعية وتجد النحل يتجمع في شقوق جذور الاشجار التي طرأ عليها الفساد وتصنع العسل هناك والناس يبحثون عن عسل النحل ويجدونه بدلالة صنف من الطير يحب العسل كثيراً فيشتغل دائماً بالبحث عنه واذا وجد بعض الخلايا فانه يصعد الى أعلى الشجرة ويطفق يغرّد ويغني مسروراً فيسمع صوته القائمون بالبحث عن الخلايا فينحون تلك الجهة ويشعلون ثمة النار حول الخلايا فتطير النحل من الدخان ويبقى العسل غنيمة سهلة الاخذ . فمسكين أنت أيها الطير تكتشف ليستفيد غيرك كأنك تريد ان تشير الى ان الذين لم يستفيدوا من اكتشافاتهم ليسوا في أوروبا فقط بل يوجد منهم في أفريقيا أيضاً !

**

ان النساء في الحبشة يقمن بتدبير أمور المنزل كلها ولا تأنف زوجة اكبر كبير من النزول الى المطبخ لمعالجة المأكل . حتى ان الاميرة وزروزوديتو كريمة النجاشي منليك وزوجة رأس قوقسان عنـد ما تزور قصر والدها تنزل للمطبخ وتطبخ طعام والدها بنفسها . فلتعش هذه الاميرة . وحبذا لو ان نساء المتوسطين عندنا فضلاً عن نساء الاكابر يطبخن طعامهن للتخلص فقط من دلال الطاهيات وسرقاتهن واسرافهن

**

كانت مدينة (انكوبر) فيما مضى عاصمة مقاطعة شوا ولكن نقلها النجاشي قبل عشرين سـنة الى أنتوتو الكائنة على الجبل المرئي من أمام منزلنا . وهذا الجبل يعلو عن سطح البحر ٣٢٠٠ متر فلذا كان شديد البرد وكثير الغيوم ولما بنت جلالة

الامبراطورة تاتيو قصراً في السهل الذي على سفح الجبل المتبعد عن أنتوتو بمسافة ثلاث ساعات حيث أعجبها المناخ والموقع اخذت تنتقل حاشية الامبراطور بالتدريج من أنتوتو الى المحل المذكور حتى أصبحت عاصمة البلاد وقد كانت الامبراطورة سمت قصرها هذا (آديس آبابا) فلذلك أطلق هذا الاسم على العاصمة التي أنشئت حديثاً كما ذكرتها . وكلمة (آديس) هي أمحرية ومعناها جديد وقد حرفت من حديث العربية ومعنى (آبابا) هو الزهر فيكون تعريب الكلمتين (الزهرة الحديثة) . والمدينة ذات تعاريج صعود ونزول لانها مبنية على هضاب ومرتفعات متعددة . ومباني العائلة الامبراطورية في احدى هاته المرتفعات ومباني الرؤوس وأركان المملكة والامراء في الذرى أيضاً ومن حولهم منازل حاشيتهم وخدمهم فلذلك تجد منازل المدينة وخططها بعيداً بعضها عن بعض وكأن المدينة معسكر لا مدينة . لان الرؤوس والامراء الذين يسكنون المقاطعات دائماً والذين لم يكن لهم منازل في العاصمة عند حضورهم الى آديس آبابا يضربون الخيام في الفضاء لنزولهم ونزول جنودهم وحاشيتهم كما ان التجار والقوافل التجارية الآتية من الداخل أو من الساحل تنزل في المضارب أيضاً فالمدينة مؤلفة من منازل وخيام . وعدد سكان آديس آبابا يبلغ الآن ٥٠٠٠٠ تقريباً . وقد كان النجاشي أنشأ قصراً سماه (آديس علم) أي العالم الحديث على بعد خمس ساعات من العاصمة ثم أنشأ قصراً آخر بين القصر المذكور وبين العاصمة وسماه (الجنـة) واتخذ هذين القصرين متنزهاً له وأخذ ينشئ طريق شوسه من العاصمة الى المتنزهات المذكورة وبهذه الوسيلة تنشئ الآن الحكومة الحبشية الطرق في نفس العاصمة وتفتح الشوارع . والمهندسون المشتغلون بها كلهم من الافرنج والفعلة من الاهالي يشتغلون بالسخرة ويطلب منهم ان يتمموا ما حوّل عليهم عمله من غير التفات الى وجود العدد والاوائل أو عدم وجودها فلهذا نرى الفاعل هنا يقلع الاحجار بعصاة وضع على رأسها قطعة حديد لعدم وجود المقاليع الحديدية ونرى الآخر هناك ينقل الاحجار قطعة قطعة على رأسه وهـذا ينقل التراب في ذيله كل ذلك لعدم وجود

غدد وعربيات يد تسهل النقل . ومن هذا نجد ان العمل الذي يقوم به خمسة أشخاص عندنا لا يقوم به أربعون فاعلاً هنا وهم يستخدمون في الاشغال الشاقة المسجونين مقيدين بالسلاسل ويراقبهم نظار بيدهم السياط

ان آديس آبابا تعلو ٢٧٥٠ متراً عن سطح البحر ولكوننا في موسم الامطار التي لا تنقطع يوماً كنا مرتدين ملابسنا الشتوية ومع هذا كنا نحس بالبرد القارص . وابنية آديس آبابا طابق واحد أرضي ما عدا قصر الامبراطور و بعض دور السفارات الحديثة النشأة ومنازل بعض التجار الواردين من الخارج فانها طابقان

يوم الاحد ٦ حزيران (يونيو) آديس ابابا

ظهور زنديق — الطرق الصوفية في الحبشة — التحية الامبراطورية — زيارة الارمن لنا .

وفي الصباح ورد الشيخ محمد سعيد يحيي الجبرتي لزيارتي . واصل هذا الشيخ من غوندار عاصمة الحبشة القديمة وكان بين الذين هاجروا الى السودان للاضطهاد الذي وقع فيه المسلمون في زمن الامبراطور يوحانس ليكرهوهم على تغيير دينهم الاسلامي. وقد مكث الشيخ سعيد عند المتمهدين ما يقرب من عشرين سنة وقص لنا الحروب التي وقعت بين الاحباش والمتمهدين . وسنوردها في آخر هذا الفصل .

وقد وصل الى آديس آبابا منذ مدة ليرفع شكواه الى الحكومةضد رجل زنديق يسمى زكريا ظهر في شوقوله قرب غوندار . وقال لي ان زكريا هذا يدعي النبوة ويفسر القرآن كما يشاء ويغير قواعد الدين على النحو الذي يميل اليه الجهلة الذين اتبعوه فجعل الصيام الى الظهر وأباح المسكرات والفسق والفجور بالنساء وبلغ عدد أتباعه أربعة آلاف . ويخشى الشيخ محمد سعيد بسببه فتنة بين المسلمين تشبه فتنة المتمهدي فلذلك أتى الى آديس آبابا ليرفع شكواه الى رأس قوقسان حاكم المقاطعة التي فيها غوندار وتوابعها . وقال لي الشيخ محمد سعيد ان الذين نشروا الديانة الاسلامية في الحبشة هم الجبرتيون وان الجبرتي المؤرخ المصري المشهور هو من أرغوبه وان المتمهدي قتل كثيراً من الاحباش المسلمين الذين هاجروا الى السودان ولم يؤمنوا به وان الاحباش المسلمين هم على المذهبين الحنفي والشافعي وان اكثرهم ينتمي للطريقة القادرية وفي الدرجة الثانية عندهم الطريقة الختمية والشاذلية. وقد سمعت كثيراً ذكر اسم الشيخ عبد القادر الجيلاني في الاناشيد التي كان المسلمون هنا ينشدونها .

ما كانت عليه البارحة . وقد علمت ان هذه الساحة يشنق فيها المجرمون فيلقون المحكوم عليهم بالاعدام على الاشجار الموجودة فيها فعسى ان نبرح هذا المكان قبل ان نرى في هذه الساحة ما يزعج منظره .

انواع العقوبات و (افانفوس)

ان العقوبات في بلاد الحبشة ترتب كما ترتب في البلاد الاخرى حسب الجناية والجنحة والمخالفة وانما عقوباتهم شديدة كشدة طعم الفلفل الاحمر عندهم . فالمخالفات عقوبتها بالسوط فيربطون يدي ورجلي المحكوم عليه بسيور من الجلد او بالحبال ويكب على وجهه ثم يأتي أربعة من الرجال ويشد كل واحد منهم الحبل أو السير شداً متيناً حتى يخيل للناظر ان أعضاء المحكوم عليه سينفصل بعضها عن بعض ويعلو جسمه عن الارض من شد الحبال وبعد ذلك يأخذ الجلاد يجلده بسوط طويل على أفخاذه وظهره وسائر جسمه العاري عن اللباس

وعقوبة السرقات قطع الايدي والارجل ويأتي أقرباء المحكوم عليه او من يحب ان يعمل عمل خير بقليل من الزيت ويغلونه على النار أو يحمون حديدة لدرجة الاحمرار قبل تنفيذ الحكم فعند قطع اليد او الرجل يضعون محل الجرح في الزيت المغلي او يكوونه بالحديدة الحامية لانه اذا لم يعمل ذلك ويترك الجرح كما هو يموت من كثرة نزيف الدم من الجرح واكثر المحكوم عليهم يموتون بعد التنفيذ . وقد كان الطليان لما حاربوا الحبشة جمعوا كثيراً من المتطوعة بالاجرة من سكان مصوع وما جاورها من البلاد فوقع كثير من هؤلاء في أسر الحبشة فعدوهم خائنين لوطنهم وحكموا عليهم بقطع يد ورجل كل واحد منهم فمات اكثرهم .

أما القتل فعقوبته القتل اذا لم يرض ورثة المقتول بالدية فيسلم القاتل اما الى الجلاد مباشرةً واما الى الورثة . فاذا سلم الى الورثة يقتلونه بمثل ما قتل اي اذا كان قد قتل بالرصاص

يقتلونه بالرصاص وان كان قتل بالسيف فبالسيف . وكثيراً ما يتجاوز الورثة في تنفيذ هذه الاحكام حدود الانسانية فيمثلون به تمثيلاً شنيعاً ويعذبونه . وأما اذا رضي الورثة بالدية فعلى القاتل ان يدفع الدية الى ورثة المقتول واذا لم يكن عنده دراهم في الحال يعطى المهلة التي يرضى بها الورثة واذا لم يقدر على تأدية الدية عند حلول الاجل يقتلونه ولكن هذا يندر وقوعه لان الناس يساعدون من يجمع دية لورثة المقتول . ولاجل جمع المال يأخذ الجاني طنبوراً ويلبس مئزراً من أعلى رأسه الى رجله فيسير من قرية الى قرية يوقع على الطنبور ويسأل الناس فكل من يراه يعرف من المئزر والطنبور ما يقصده الرجل فيقبل الكبير والصغير على مساعدته

وكان في زمن الامبراطور الاسبق كثير من عقوبات التعذيب ولكنها بطلت الآن يقال انه كان كثيراً ما يعاقب الناس والجنود بوضعهم جميعاً او منفردين في اكواخ ثم يحرق الكوخ بمن فيه من المسجونين وكان يعري جسم من يغضب عليه ثم يلف رجليه وأفخاذه ويديه بالحبال الرفيعة لفاً محكماً فينفر الدم من بين أظافر الرجل ولا يتركونه الا اذا دفع غرامة كبيرة. واكثر من يقضى عليه بهذا يموتون فتلق اجسامهم الى الوحوش الكاسرة في الخارج . أما الآن فألغيت كل هذه العقوبات بفضل جلالة الامبراطور الحالي والرؤوس . وأما عقوبة الجواسيس والذين يكذبون للحكام فقطع اللسان

المحاكم

ان القاضي في بلاد الحبشة ومدنها هو الرجل الكبير الموجود في المدينة فهو يفصل في الدعاوي والقضايا مثل ما يفصل مشايخ القبائل في قضاياهم . وأما في العاصمة فان القاضي هو الامبراطور نفسه . وكان الملوك الى زمان تئودورس ويوحانس يجلسون للقضاء ويفصلون في الدعاوي بأنفسهم وأما جلالة منليك فانه لا يرى الا القضايا المهمة ويحكم فيها في بعض الاوقات . يقوم مقامه في رؤية الدعاوي موظف كبير

في النوم ويشرع يصف محل السرقة والسارق بالرموز والاشارات ، ويمسك العمدة بيده حزاماً مربوطاً بوسط الصبي ويسير وراء (له باشاه) وهو اسم الصبي المنوم أينما سار وكل من يصادف (له باشاه) في طريقه يسجد في الحال . ولهذا الصبي النائم أن يدخل أي منزل شاء واذا كان المنزل موصد الباب يفتح حالاً . واذا لم يكن صاحبه موجوداً يكسرون باب وبالجملة يجب أن تكون كل الطرق امام (له باشاه) مفتوحة وربما كان (له باشاه) لا يعرف محل السرقة والسارق بالرموز والاشارات فحينئذٍ ينتظرون حتى يضطجع في محل ويقيء هناك فيحكمون حينئذٍ ان المال المسروق موجود في هذا المحل .

ايشش ، بروهايتو ، افاتانهايتو ، ثلاث عرائس

لعريس واحد

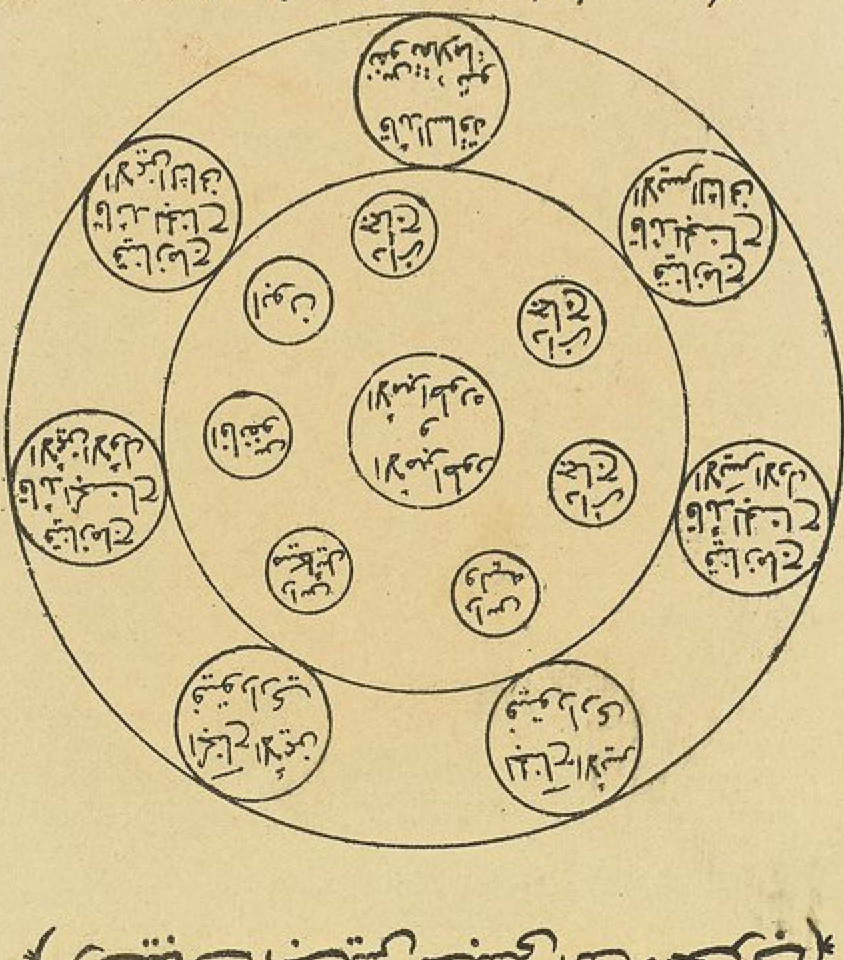
ان السائح في بلاد الحبشة يسمع كثيراً هذه الكلمات الثلاث فسألت عن معانيها فقيل لي ان معنى (ايشش) حاضر يا سيدي وهم يستعملون هذه الكلمة بكثرة من غير ان يتبعوها بالفعل أي انها تكون على الغالب كلاماً من غير عمل . أضرب لك مثلاً بغالتنا : نقول لهم هيا بنا نحمل أثقالنا لنسير . فيجيبون بتوهم (ايشش) . ثم تمضي ساعات وهم لا يتحركون واذا أعدنا كلامنا نسمع منهم (ايشش) أخرى وينظرون الى استعجالنا بعين الاستغراب لان الوقت لا قيمة له هنا . اما (بروهايتو) و (افاتانهايتو) فان معنى الاولى ان شاء الله غداً والاخرى ان شاء الله بعد غد . ولا حدّ لاستعمال هاتين الكلمتين في هذه البلاد . وقد قص عليّ أحد الزوار هذه القصة قال :

باع تاجر مالاً من أحد أعيان الحبشة وبعد قليل أخذ هذا البائع يطالب بالثمن ذلك الشاري الذي لم يحب الاستعجال في تأدية ما عليه فكان يماطل التاجر كل يوم

ويقول له (بروهايتو ، افاتاهايتو) . فلما أعيت التاجر الحيل عزم على الرحيل وحمل ما معه من المتاع وذهب آخر مرة للمدين وعرفه بانه مسافر لبيع ما عنده من المتاع في مدينة أخرى . فعندئذ سأله الرجل وما هو المتاع الذي أخذته معك للاتجار به ؟ فقال له وهو يشير الى الاحمال (يا مولاي ان نصف هذه الاحمال بروهايتو والنصف الآخر افاتاهايتو سأتجر بها) فلما سمع المدين هذا الكلام اقتنع بأن الرجل مستعجل فخجل من بطئه في الدفع فأعطى التاجر حقه . وقد سمعت أيضاً من أحد الزوار ان مدة تنفيذ معنى (ايشش) و (برهايتو) في طريق (آدال) هي اكثر بكثير منها هنا فانه قد جربها بنفسه في أسفاره الى الساحل ذهاباً واياباً وعلمت منه انه سافر مرةً الى جيبوتي ولم يصل اليها الا بعد مضي شهر ونصف من قيامه من آديس آبابا . فوقف في هذه المدة على اكثر أحوال سكان (آدال) . وقابل أحد مشايخ تلك الجهات ويدعى الشيخ محمد تنباكو ونزل ضيفاً عنده وحضر وليمة زواجه . فقال لي ان هذا الشيخ أعرج وأكتع لكنه عقد في ليلة واحدة على ثلاث من الابكار ودخل عليهنّ في ليلة واحدة فكأنه أحب الاقتصاد وبدلاً من أن يتزوج ثلاث مرات وينفق لكل مرة كثيراً من الدراهم تزوّج مرة واحدة بثلاث فما قولكنّ في ذلك أيتها السيدات !!

الظاهر من هذا وغيره ان لدى هؤلاء الناس عادات جاهلية فقد حدثني زكريا افندى انهم يأتون بالعجل السمين ويفصدون احدى شرايينه ويأخذون قدراً من دمه فيشربونه . ثم يسمنون العجل ويفصدونه ثانية وهكذا فكانّ قسماً من غذائهم من هذه الدماء وقد كنت ذكرت في رحلتي الى الصحراء الكبيرة ان الناس هناك يأخذون دماء مواشيهم ويشربونها وانما يعملون ذلك عند الحاجة الشديدة والافتقار الى الغذاء . وأما الاداليون فان شرب دماء المواشي عندهم عادة لهم . وهؤلاء الاداليون مشهورون هنا بشجاعتهم واستعمال السلاح ويقولون ان الادالي يهجم وحده على ثلاثة أسود ويقتلها بسلاحه الذي هو رمح وترس فقط والعهدة على الراوي .





(١)

---

(١)

موت النجاشي يوحانس في واقعة القلابات

لما بلغ خبر هزيمة غوندار مسامع النجاشي يوحانس حزن جدًا وأخذ يستعد للأخذ بالثار . ولكن كانت أخبار استعداده تصل الى التعايشي بواسطة جواسيسه فكان التعايشي أيضًا آخذًا حذره منهمكًا بتقوية القلابات بالجنود وتحصينها حتى انه أقام على دائر المدينة سورًا صعب المرور من جذوع الاشجار والعليق والنباتات ذات الاشواك محيطه عشرة آلاف متر

وفي سنة ١٣٠٦ زحف النجاشي يوحانس على القلابات ومعه مائتا الف مقاتل أغلبهم من الفرسان فاحاط بالبلد وأمر جنوده بمهاجمة المدينة من كل جانب . وكان هو واقفًا امام خيمته ومعه أمراؤه وأركان حربه يتتبع حركات الجنود ويشاهد الحرب . وقد أحرق الاحباش جذوع الاشجار المصنوع منها السور ثم هجموا على الدراويش بشجاعة عظيمة وقهروهم الى الوراء فلما رأى الاحباش انتصارهم تفرقوا للسلب ودخلوا منازل الدراويش فبينما كانوا مشتغلين بسبي النساء والبنات والغلمان ونهب المنازل والدور اذ أتى الى الدراويش مدد كبير من الشمال من رجال كانوا قبل من رجال الجيش المصري المنظم انضموا الى الدراويش عند ما وقعت السودان تحت حكم المتمهدي . فتقدم فرج الله قائدهم برجاله وهاجم الاحباش ووجه نيرانه على النقطة الموجود فيها يوحانس . فاصابت رصاصة النجاشي المذكور فقتل في الحال . ولما رأى الاحباش موت عظيمهم دخل الرعب في قلوبهم وانكسرت قوة قلوبهم فساقوا الغنائم أمامهم . وأخذوا بالتقهقر وتبعهم الدراويش بانتظام وأصول وهاجموا في الليل معسكرهم بغتة وقتلوا أكثرهم وهم نيام مثل الاموات من التعب واسترد الدراويش الغنائم التي أخذها الاحباش والاسرى من نساء ورجال وغنموا أمتعة النجاشي وتاجه المرصع وأخذوا جثته الموضوعة ضمن نعش من خشب وعادوا

الى القلابات بغنائمهم . وهذا الحال مما يدل على ان اشتغال الجنود بعد الانتصار بالنهب والسلب مضر جداً بالمنتصر كما ان ورود المدد للمغلوب بغتة يفيده فائدة عظيمة

وقد أرسل الزاكي طمل رأس يوحانس وتاجه المرصع وأمتعته الخصوصية الى التعايشي في أم درمان . فكان سرور خليفة المتمهدي وسرور رجاله من هذا الانتصار فوق ما يوصف حتى ان التعايشي أقام الولائم للناس أربعين يوماً وذبح آلافاً من الخراف والعجول شكراً على ما أوتيه من الظفر بعدوه

يوم الاثنين ٧ حزيران (يونيو) — متنوعة —

ورد اليوم علينا كثير من الزوار وكان أغلب حديثنا في مسائل مختلفة ليس للواحدة علاقة بالاخرى . فكل زائر كان يفيدنا فيما يتعلق بمهنته أو ما يعلمه . فمن ذلك ان صائغ الامبراطور قال لنا :

« ان الامبراطور يهدي لامرائه ورجال حاشيته بدلاً عن الاوسمة خيولاً ومعها برادع وسيوف ورماح وما أشبه هذا . فلذلك يشتغل في القصر الامبراطوري مائة صائغ يشرف عليهم صاغة مهرة . والوطنيون ليس لهم رواتب معينة بل يعطى لهم أراض وحقول مكافأة

ويوجد في قصر النجاشي كثير من الجواري يعملن شموعاً من شمع العسل والشحم وتشرف عليهن الامبراطورة نفسها

**

الاحباش المسيحيون — ما عدا أكابرهم — لا يغسلون أجسامهم ولا ملابسهم فلذلك لا يصعب على الانسان بعد مخالطتهم برهة قليلة ان يفرق بين المسيحي والمسلم لان المسلم يجدد وضوءه كل يوم جملة مرات فتظهر آثار ذلك عليه والامراض المعدية القتالة مثل الزهري وغيرها منتشرة بين أعوام الامجرا وبين المسيحيين لكثرة اختلاط النساء بالرجال وأما المسلمون فقلما تنتشر فيهم هذه الامراض . والرقيق هنا مباح فعلاً وان يكن ممنوعاً رسماً وثمن الجواري والعبيد بخس جداً فثمن العبيد من ١٠ — ٢٠ ريال وثمن الجواري الحبشيات الجميلات من جنس قوراغي أو جمالكا يساوي ٤٠ — ٥٠ ريالاً فقط .

ان المرؤسين في الحبشة يتحاشون من اظهار ثروتهم امام رؤسائهم . ومنهم من

تاريخ السنين

مبدأ تاريخ السنين عند الاحباش ميلاد عيسى عليه الصلاة والسلام والفرق بين تاريخهم وتاريخ الافرنج ثماني سنين وتبتدئ السنة عندهم من أول أيلول (سبتمبر) ويوجد في آخر كل سنة خمسة أو ستة أيام تسمى (باغومة) لا تدخل لا في السنة الماضية ولا في السنة المقبلة وأيام الباغومة تكون خمسة أيام كل خمس سنوات وأما باغومة السنة السادسة فتكون ستة أيام . ولكون هذه الايام ليست معدودة من أيام السنة يأتي فرقها بوضع تاريخ اذ يقال الباغومة الثانية من سنة كذا

واستعمال السنوات والشهور ينحصر هنا في معاملات الحكومة وقيودها فقط وأما العوام فان أغلبهم لا يستعملونها فاذا سألت أحدهم عن عمره مثلاً يقول لك انني ولدت سنة دخول الانكليز في مجدلا او يقول ان ولدي الاكبر ولد في الوقت الذي هاجم الرأس فلان محل كذا اي انهم يعتبرون الوقائع مبدأ وكذلك لا يعنون في الاوقات بالساعات وانما يعرفون الوقت من ارتفاع الشمس ومن طلوع بعض الكواكب أو غروبها

**

سألت آتو هيلا مريم عن النجاشي أصحمه الذي كان معاصراً للنبي صلى الله عليه وسلم فأجاب ان هـذا النجاشي اسمه بالامحراوي (اجها) وانه كان حاكماً في جوار (تبحى دنسا) كما ان أخاه (ابرهة) كان يحكم في أقسوم . وسألته عن محمد غراني المشهور بفتوحه هناك فقال ان هـذا الرجل كان من قواد صاحب هرر قبل أربعة قرون ثم تقوى فاستولى على كل الحبشة مدة خمس عشرة سنة انسحب النجاشي في اثنائها الى غوندار ثم أخذت البلاد منه وأعيدت الى أصحابها بمساعدة البورتغاليين

وان هؤلاء هم الذين أدخلوا منذ ذلك العهد الاسلحة النارية الى بلاد الحبشة لأول مرة .

المذهب

دخل المذهب القبطي من الديانة المسيحية الى الحبشة في القرن الرابع الميلادي وأمر النجاشي اذ ذاك ان يضع المسيحيون على رقبتهم شريطاً أزرق ليعرف الذين لم يتنصروا وقد بقيت هذه العادة الى الآن في بلاد الحبشة فتجد جميع الاحباش المسيحيين يضعون في أعناقهم شريطاً أزرق يعلقون فيه صليباً صغيراً من الفضة أو غيرها من المعدن ويسمون الشريط والصليب معاً (ماتب) وهذه الشرايط من مصنوعات سورية . والمسلمون اليوم يضعون أيضاً حول أعناقهم من هذا الشريط وانما يعلقون فيه حجاباً من الجلد فيه بعض آيات قرآنية أو أدعية بدلاً من الصليب . ويسمى مسلمو الاحباش هنا (جبرتي) أي الحبشي المسلم . والجبرتيون متدينون متمسكون بعاداتهم القومية والدينية أصحاب غيرة وشجاعة ويشتغلون بالتجارة والصناعة .

وللمسيحيين الاحباش أديرة وصوامع فيها كثير من الرهبان والراهبات . ويباح لقسسهم التزوج مرة واحدة بالعمر فاذا توفيت الزوجة أو حصل طلاق فليس له أن يتزوج ثانية . وهؤلاء القسس معافون من التكاليف الاميرية واداء الضرائب ويأخذون من الاهالي والامراء الهدايا كل على حسبه . والاقبال على الانتظام في سلك الاكليروس والرهبنة عظيم جداً في بلاد الحبشة لما لرجال الدين من الاهمية في عين الاهالي . ويكون في الغالب ابن القسيس قسيساً مثل أبيه ولا يقدر أحد أن يتصدى للقسيس مهما كانت الظروف والاحوال السياسية . واذا وقع حرب بين رأسين فانه يباح للقسس التنقل من معسكر هذا الرأس الى معسكر الرأس الآخر ولهم ان ينشروا ما يريدون نشره من الافكار ولا يقدر أحد أن يعارضهم في ذلك

والنوع الثالث هو الزواج الديني على يد القسيس في الكنائس وليس لهـذا الزواج طلاق واذا توفي أحد الزوجين عقب الاقتران يحظر الزواج على الآخر فلذلك كان الاقبال على هذا النوع من الزواج قليلاً جداً . وبعض الذين تزوجوا على الطريقة المدنية وعاشوا مع زوجاتهم مدة طويلة ولم يبقَ لهم من أمل بالزواج ثانية يبدلون زواجهم المدني بالديني . والوالدات يرضعنَ اولادهنّ مدة لا تقل عن اربع سنوات

والدايات هنّ يولّدن الحاملات في الحبشة كما هو الحال في سائر الجهات وبعد الوضع يجتمع جارات الحامل عندها ويحتفلن بالمولود

وفي اليوم السابع تقوم النفساء من فراشها . وفي هـذا اليوم يولمون وليمة للأقارب والاحباء . واذا مرضت النفساء يداويها العجائز من النساء والدايات لعدم وجود أطباء وقد يطلبون من القسس دواء لان القسس هنا يدّعون الطب أيضاً وطبابتهم هذه تنحصر في الرقي وقراءة الانجيل او اعطاء المريض مسحوق بعض الجذور والنباتات ويعتقد الاهالي بأدوية القسس اعتقاداً عظيماً

الامراض والمداواة

ان الاحباش يصابون في الاغلب بالدودة الوحيدة او ما شاكلها من الديدان في الاحشاء الداخلية . ويظهر أن كثرة اصابتهم بهـذه الامراض متأتية من اكل اللحوم نيئة ولذلك يجففون ورق الشجر المسمى (قوسو) ويسحقونه ثم يضعونه في الماء ويتعاطونه عند اللزوم ويشربون القهوة بعده فتموت الديدان واذا أخذ الانسان مقداراً كبيراً من مسحوق هذا الورق يموت حالاً لانه سم شديد الفعل . ولا تنقطع الحوادث من هذا القبيل . ويداوون الرمد والصداع والحمى الراجعة وسوء الهضم في الاكثر بأخذ الدم من الجبين . فيجلس المريض على ركبتيه ويضع يديه

(وفي الحقيقة ترجح من كان قدجذب قلبها قبل الرقص) فتأخذ هي بالغناء وتصف ميلها له بالغناء وبالرموز والاشارات . وكثيرًا ما تحدث المشاحنات بين هؤلاء المتزاحمين وتؤدي الى مضاربات والناس من حول المتضاربين ينظرون ويتراهنون على معرفة من سيغلب كأنهم في مناقرة ديوك حتى تنفد قوى الواحد من المتضاربين فحينئذ يكون ختام الرقص وفي بعض الاوقات تفضي المضاربة الى قتل ولكن بعد ختام الرقص وانتهاء المضاربة التي تحدث يعود المتضاربان الى صفاء تام كأنه لم يحدث شيء بينهما لان المضاربة من موجبات الرقص فكان هذا الرقص عبارة عن صراع موضوعه فتاة ولا يخفى انه يزيد في قوة القائمين به كما انه يزيدهم نشاطاً وخفة واحتمالاً للمكاره

ولا بد من تمثيل الحروب والمبارزات في كل ملاهي الاحباش واجتماعاتهم كأن يأتي مثلا مئات من أقرباء العريس وأحبائه مدججين بالسلاح الى القرية أو المدينة التي تقطن فيها العروس ويقفون موقف المهاجم ويجتمع أقرباء العروس ويتسلحون ويقفون موقف المدافع امام جماعة العريس وحين يكمل الجمع تعطى الاشارة فيهجم جماعة العريس على جماعة العروس بين دوي أصوات البنادق وعزف الزمور والطبول ورمح الخيول وتنتهي الواقعة بانتصار جماعة العريس . وبالمحافظة على هذه العادات الوطنية يحافظ الاحباش على قواهم ونشاطهم بل يزيدونه

يوم الثلاثاء ٨ يونيو (حزيران) آديس آبابا

وفي صباح هذا اليوم حضر لزيارتي الحاج محمد من عشيرة بني عقيل ومن علماء (دللو) وقد حضر من بلده لرفع الشكوى على الزنديق زكريا المار ذكره . وقد سألته عن النجاشي اصمحة المعاصر لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعن المراسلات التي جرت بينهما وعن الصحابة الذين هاجروا الى الحبشة فقال ان معنى اصمحة في العربي هو (عطية) وهذا النجاشي مدفون في محل يسمى (متكل العلامة) من أعمال مقاطعة (تيغرى) وقد كان سيدنا جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه لقى النجاشي المذكور في (متكل العلامة) وهذا المحل قريب من عقامه (اغامى) وينعقد فيه كل سنة سوق كبير يأتي اليه ألوف من المسلمين والمسيحيين لزيارة قبر النجاشي المذكور .

العلائق الودية بين الاحباش والمسلمين في صدر الاسلام

من المعلوم ان مشركي قريش في أوائل الرسالة النبوية كانوا يؤذون النبي وأصحابه الكرام ولما ازداد جورهم أذن النبي صلى الله عليه وسلم للصحابة بالهجرة الى جهة الحبشة فهاجر من الصحابة الكرام عبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام ومصعب ابن عمر وعثمان بن مظعون وسهيل بن بيضا وسليط بن عمرو وحاطب بن عمرو ولم يكن مع هؤلاء أحد من أولادهم ونسائهم . وأما الذين هاجروا ومعهم زوجاتهم فهم عثمان بن عفان ومعه زوجته بنت النبي وجاريتها بركة الحبشية وعبد الله بن أبي سلمة وزوجته هند وهاشم بن أبي حذيفة وزوجته سهلة وعامر بن أبي ربيعة وزوجته ليلى

العدوية وأبو سبره وزوجته أم كلثوم . وقد برحوا مكة في شهر رجب من السنة الخامسة من البعثة النبوية دون أن يعلم أحد بسفرهم وأتوا ميناء شعبة الكائنة على ساحل البحر الاحمر واستأجروا زورقاً أتى بهم جميعاً الى الساحل الافريقي وأقاموا في الحبشة حيث لقوا من النجاشي الاكرام وحسن الحفاوة .

ولما شاع خبر ايمان قريش برسالة النبي عادوا الى أوطانهم فلما قربوا من مكة علموا ان ما بلغهم من ايمان قريش برسالة النبي غير صحيح ولكنهم لم يجدوا بداً من الدخول الى مكة فاحتمى كل واحد منهم بكبير من أكابر قريش . ثم ازداد أذى المشركين للمسلمين فأذن النبي صلى الله عليه وسلم لمن يريد الهجرة الى الحبشة ثانية . فهاجر كثير من المسلمين بينهم جعفر بن أبي طالب ابن عم النبي وزوجته أسماء وخالد بن سعيد وزوجته أمينه وعمرو بن سعيد وزوجته فاطمة وعبد الله بن جحش وأخوه عبيد الله بن جحش وزوجته أم حبيبه وقيس بن عبد الله وزوجته بركة ومعيقب أبو حذيفة وعتبة بن غزوان والاسود بن نوفل ويزيد بن زمعة وعمر بن أمية وطليب بن عمر وعامر بن أبي وقاص وعبد الله بن مسعود وعتبة بن مسعود والمقداد ابن عمرو وعمر بن عثمان وشماس بن عبد الشريد وهبار بن شعبان وعبد الله بن سفيان وهشام بن أبي حذيفة وسلمة بن هشام وعباس بن أبي ربيعة ومعتب بن عوف وقدامة بن مظعون وعبد الله بن مظعون وحاطب بن الحرث وزوجته وفاطمة بنت المجلل وخطاب بن الحرث وزوجته فكهة بنت يسار وسفيان بن معمر وزوجته حسنة وخنس ابن حذافة وعبد الله بن الحرث وعبد الله بن حذافة والحرث بن الحرث ومعمر بن الحرث وعدد الجميع كان (١٣٢) مع أولادهم وعيالهم .

فلما بلغهم خبر هجرة النبي الى المدينة قام أبو موسى الاشعري ومعه منهم خمسون مهاجراً وركبوا زورقاً ليعبروا البحر الى المدينة المنورة فصادفتهم أنواء ألقيت بزورقهم الى البر الحبشي من أفريقيا فالتقوا باخوانهم المهاجرين . ولم يكتف مشركو قريش باضطهاد المسلمين في مكة بل انهم أرسلوا الرسل الى النجاشي أصحمه والى الكهنة

ومعهم الهدايا من خيل عربية وأقمشة حريرية وغيرها وطلبوا اليهم ان يطردوا المسلمين المهاجرين من الحبشة وكان رئيس هذا الوفد عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد فلما وصلوا الى الحبشة قابلوا أعيان الحبشة وسلموا الهدايا لاصحابها وعرّفوهم بالقصد وكان الاحباش والعرب يعرف بعضهم عادات بعض لتقارب القطرين ولكثرة المواصلات عن طريق البحر الاحمر للتجارة . فلما مثل أعضاء الوفد بين يدي النجاشي قالوا له ان أحد سكان مكة ادعى النبوة ووضع ديناً جديداً والتحق به بعض الناس وقد التجأ بعضهم الى الحبشة لايقاع الفتنة والفساد في هذه البلاد أيضاً فمن العدل طرد هؤلاء المهاجرين واعادتهم الى بلادهم

أما النجاشي الذي كان رجلاً عاقلاً وفطناً عادلاً فطلب اليه جعفر بن أبي طالب ورفقاءه مع علمه بحسن أخلاق المهاجرين وما ظهر منهم من الاستقامة وعدم ايذاء أحد مدة اقامتهم في الحبشة ولكنه أراد بذلك عدم كسر خاطر الوفد فلما جاء جعفر ورفاقه بين يدي النجاشي سألهم امام الوفد العربي عن سبب هجرتهم الى بلاده فأفاض جعفر ببيان بطلان الوثنية التي كانوا عليها وصحة الدين الذي دخلوا فيه واخذ يتلو بعض الآيات القرآنية . ويروى ان النجاشي حل الدين الاسلامي المبين في قلبه محلاً عظيماً . ولما بهرت حجة جعفر أمام هؤلاء الرسل أعاد النجاشي اليهم هداياهم وقال لهم ليس من العدل والمروءة ايذاء هؤلاء الجيران الذين لم نرَ منهم الا شرف النفوس فعاد الوفد خائباً

وفي شهر رمضان من السنة الثانية من الهجرة النبوية و بعد واقعة بدر التي انهزم فيها المشركون جهزوا وفداً آخر ومعه الهدايا وأرسلوه الى الحبشة مع عمرو بن العاص وعبد الله بن ربيعة أعادوا الكرة بطلب طرد المهاجرين لينتقموا منهم ولكن مساعيهم لم تثمر هذه المرة الثانية أيضاً فعادوا أدراجهم

وقد أبلغ النجاشي نفسه المسلمين الذين كانوا في جيرته وحماه نبأ انتصار المسلمين مع النبي على المشركين

مكاتبة النبي صلوات الله عليه مع النجاشي أصحمة

وفي السنة السادسة من الهجرة النبوية أرسل النبي الى النجاشي أصحمة كتاباً مع عمرو بن أمية الضمري أحد الصحابة الكرام يدعو به النجاشي الى الاسلام ويوصي بالمهاجرين الموجودين بالحبشة وكان النجاشي رجلاً متديناً معتقداً فقبل الكتاب بسرور زائد وآمن به وأرسل الجواب مع عمرو بن أمية المومأ اليه

وفي السنة السابعة أرسل النبي كتاباً آخر مع عمرو بن أمية المار ذكره الى النجاشي وكله به بعقد نكاح النبي على رملة أم حبيبة زوجة عبد الله بن جحش الذي مات في الحبشة . فارسل النجاشي احدى جواريه تبشر رملة أم حبيبة برغبة النبي بها فقبلت وأهدت الجارية أسورة وخاتماً لهذه البشرى ووكلت خالد بن سعيد بن العاص فدعى النجاشي أصحمة اليه جعفر بن أبي طالب والصحابة المهاجرين وعقدوا على أم حبيبة وبعد العقد أقام النجاشي وليمة فاخرة للمهاجرين اظهاراً للسرور وأرسل الى أم حبيبة أربعمائة دينار صداقاً عن النبي وأم حبيبة هذه هي بنت أبي سفيان وسافرت أم حبيبة رضي الله عنها من الحبشة الى المدينة وقد جهزها النجاشي وأمر شرجيل بن حسنة ان يكون في خدمتها . وكان النبي في رسالته الاخيرة طلب الى النجاشي ارسال جميع المهاجرين الموجودين في الحبشة الى المدينة فاستأجر النجاشي لهم عدة زوارق وأرسلهم الى المدينة

وأهدى النجاشي أصحمة الى النبي طيلسانات وقمصان ولباسات وحذاآت وخاتماً وثلاث حراب وقارورة مسك وجلابيب وأرسل هذه الهدية مع أم حبيبة . وأعطى النبي واحدة من الحراب الى سيدنا عمر بن الخطاب والثانية الى سيدنا علي بن أبي طالب والثالثة أبقاها لنفسه . وفي السنة التاسعة من الهجرة أرسل النبي الى

من الذهب بين الاشياء التي تقدم لجلالته من الاتاوة وهي الآن محفوظة بالاكياس في خزينته ويقال ان الامبراطور ينوي ان يضرب من هذا الذهب عملة حبشية باسمه . وذكر لي بولص أفندي شيئاً عن الاوزان فقال ان أساس الاوزان هنا هو الريال الذي يزن تسعة دراهم الا قيراطين . ويعتبر كل ثقل ريال واحد (نوكي) ويطلق لثقل كل ستمائة (نوكي) (فراساله) . والوزن المتداول بين التجار هو الفراسالة ووزن كل من الفراسالة ستة عشر كيلو ونصف

***

نساء الاكابر يمشين هنا متحجبات وعند ما يخرجن من منازلهن يركبن في الغالب البغال كما يركب الرجال لا كما يركب نساء الافرنج الخيل . وتمشي امامها جارية وبيدها هراوة ووراءها بضعة من الخدم

***

كنت أجد من يوم ورودي الى آديس آبابا طعم ملح في القهوة ان كانت بسكر أو من غير سكر وما كنت أعلم سبب ذلك وعلمت اليوم انهم يضعون الملح في القهوة زيادة في اكرام الضيف لان ثمن الملح هنا غال جداً . وقد حدث اليوم ان طاهي القهوة وضع في قهوتنا ملحاً ثم أتى أجيره فوضع هو أيضاً مقداراً من الملح فيها ظناً منه ان كبيره لم يضع فيها فلم نقدر ان نشربها . ولما علمت ذلك منعت الخدم المكلفين بعمل القهوة من وضع الملح في القهوة وقد اندهش الخدم من هذا التنبيه وأخذوا يعتذرون مظهرين لنا لزوم وضع الملح مصرّين على وضع الملح في القهوة حتى لا يحطوا بكرامتنا على زعمهم ولم نقدر على منعهم الا بواسطة صاحب المنزل الذي عرفته باننا لم نتعود في بلادنا وضع الملح في القهوة

يوم الاربعاء ٩ يونيو (حزيران)

اليوم صباحاً ورد الرأس ولدى لزيارتنا وكان ق . عين (مهمانداراً) لنا من قبل الامبراطور وكان وراءه أربعون من الخدم والعبيد . وفي الحبشة كل انسان يمشي وراءه من الخدم والحاشية على حسب قدره ومنزلته فكلما كان رفيع المقام يزيد في حاشيته وعبيده الذين يمشون وراءه عند ذهابه من محل الى محل حتى في داخل المدينة . وكنت ذكرت آنفاً انه مشى وراء رأس ما كونن ألوف من الخدم عند ما حضر الى اديس آبابا ولا منزلة في عيون الناس هنا لمن ليس له خدم وعبيد . فمتى وجد الانسان معه سعة يأتي في الحال لمنزله بالخادم ويجعله دائماً وراءه ويطلق عليه اسم العسكري لان الخدم والعبيد هنا يطيعون أسيادهم كما يطيع الجند ضباطهم وقوادهم

ودخل الى البهو مع الرأس اثنان من عبيده ووقفا وراءه وبقي الآخرون في الخارج وأمسك أحد العبيد قبعة الرأس وآخر أخذ يروح بالمروحة الذباب والرأس ولدى على جانب عظيم من اللطف وقد تجاوز عمره الستين وذهب مراراً الى فرنسا وايتاليا بمهمة من قبل الامبراطور . وبنى هذا الرأس منزلاً في القدس ووقفه على الامور الخيرية . وقد قال لي انه كان سافر الى القدس وان رجال الحكومة هناك أكرموه جداً وانه يحب العثمانيين وطلب اليّ أن أعرض احتراماته وتعظيماته الفائقة للاعتاب السنية السلطانية عند رجوعي الى الاستانة . وظهر لي من محادثته ان الرجل غير غافل عن ان هذه الدنيا فانية وان الآخرة هي أبقى فلذلك لا يميل الى الزينة بل يميل لمساعدة التعساء والفقراء من كل الاجناس والاديان على المساواة

ومكثنا مدة نتحادث ثم استأذن هو وحاشيته بعد أن وعد بالمجيء ثانية . وبعد ذهابه

حضر الحاج احمد افندي صاحب المنزل وكان قد ذهب الى الكمرك ليستخرج بعض البضائع والامتعة الواردة باسمه

يوجد هنا محلان للكمرك الواحد داخل قصر النجاشي والآخر خارجه فالبضائع التي تمر من هرر وتأتي الى العاصمة ترد الى الكمرك الخارجي لان هذه الامتعة تكون بالطبع مرت من كمرك هرر ورآها الرأس هناك حيث انتخب الاشياء الجميلة وأخذها بدلاً من رسوم الكمرك . وأما البضائع التي تأتي من الساحل مباشرة الى آديس آبابا فانها تدخل الى الكمرك الكائن داخل القصر وتفتح هناك فاذا وجد فيها شيء أحب النجاشي أن يأخذه يبقيه عنده بدلاً من رسوم الكمرك . والرسم المقدر للكمرك هو ثلاثة في المائة من البضائع التي تمر من هرر لان صاحب البضائع يكون قد دفع بالمائة عشرة في المدينة المذكورة وأما البضائع الواردة مباشرة من الساحل الى آديس آبابا فانها تدفع بالمائة ثلاثة عشر . ولا يوجد في الكمارك مقدرون للبضائع بل يؤخذ الرسم حسب تعريف صاحب الامتعة عن أثمان البضائع والتجار تراهم مضطرين أن يصدقوا في تعريف الاثمان ولا يتجاوز واحد الاعتدال لانه اذا زاد الثمن يدفع الرسم بنسبة هذه الزيادة

أخبرونا البارحة بأن النجاشي سيحضر اليوم الى آديس آبابا . وفي الساعة الخامسة (عربي) ظهر الموكب الامبراطوري على بعد كيلو متر واحد تقريباً وكنا نراه من شرفة منزلنا وكان جلالته راكباً بغلة وبرفقته أكثر من الف انسان أغلبهم راكبون البغال . وكان أحد الخدم رافعاً على رأس الامبراطور مظلة كبيرة حمراء اللون وكان الطريق الموصل الى القصر الامبراطوري السائر فيه الموكب مرئياً من منزلنا . ولما وصل الموكب الى القصر ازدحمت أطراف القصر بالناس بعضهم من الحاشية والبعض جاءوا لتقديم فروض التحية للنجاشي . وبعد ساعتين جاءنا الموسيو ايلج وأبلغنا تحية الامبراطور وسأل عن صحتنا وراحتنا وأخبرنا أن مدة الحداد على حفيدته ستنتهي يوم الجمعة الآتي وان مقابلتنا لجلالته ستتأخر الى ما بعد اليوم المذكور وانه أي

اصابة العين هنا وهي ما يسمونه هناك (زار) (١) ولا يحدث الا للنساء ولا أظن اصابة العين الموجودة في الحبشة هي نفس الزار الموجود في الحجاز لان المصاب بالزار لا يبرأ من الاصابة باستنشاق نبات أو غيره بل على صاحب المنزل أو الزوج أو الوالد أن ينفق بضعة آلاف من القروش فيقيم المآدب في منزله للسيدات والجيران حيث يرقصن ويغنين ليخرج الزار من جسم المصابة . ويوجد في الاستانة عند الجواري السودانيات حالة تشبه بودا الحبشة

وقد سرت الى السيدات الاسلامبوليات فانهن حين يردن اظهار العطف نحو الاولاد يبصقن عليهم بصقاً خفيفاً قائلات (تفو تفو تفو عيني لا تصيبك) ولعل هذه العادة انتقلت من الجواري الاحباش

الموسيو ايلغ

كل من يذهب الى الحبشة أو يقرأ شيئاً عنها لا بد من ان يسمع اسم الموسيو ايلغ اذ لهذا الرجل مقام عظيم لدى جلالة النجاشي منليك الذي جعله مستشاره الخاص ورئيساً لنظاره وناظر خارجيته. لما كان الامبراطور حاكماً على مقاطعة (شوا) قبل توليه عرش الحبشة كتب الى أحد التجار السويسريين في عدن ان يرسل اليه جماعة من الغربيين المتعلمين ذوي دراية وفضل ليستخدمهم في حكومته . وبعد مضي سنة أتى الحبشة بضعة شبان ولكل منهم اختصاص بصنعة وفن من الفنون وكان بينهم المسيو ايلغ المومى اليه وكان أتم علومه في السنة المذكورة في مدرسة الهندسة المشهورة في زوريخ من أعمال سويسره ثم رجع هؤلاء الشبان الى بلادهم بعد مدة قصيرة ما عدا

(١) الزار معروف في مصر وهو مرض الشياطين الذي تتلبس به النساء الجاهلات ويؤذين الاهل والجيران (مترجم)



الموسيو ايلغ السويسري مستشار الامبراطور منليك

الموسيو ايلغ الذي بقي هناك ونال بجده وثباته ونشاطه وأمانته واستقامته الحظوة الكبرى عند جلالة النجاشي حتى صار من أصدقاء جلالته وهو الآن مقيم في الحبشة مع عائلته ويذهب بعض الاحيان الى أوروبا ثم يرجع الى الحبشة . وقد أثرى وصار صاحب أموال وأملاك بما لهُ من المكانة ولصداقته لجلالة الامبراطور وحسن خدمته للحبشة واجتهاده . وهذا الرجل النشيط هو الآن في الخمسين من عمره ويعرف اللغة الفرنسوية والالمانية والعربية ويحسن التكلم باللغة الامحرية ويكتبها ويقرأها كاحد أبنائها وهو الذي يترجم الرسائل التي ترد من الخارج باسم جلالة الامبراطور لى اللغة الامحرية

يوم الخميس ١٠ يونيو (حزيران) آديس آبابا

وفي صباح هذا اليوم جاءني تقدراس هيلا يوركيس أحد قرناء جلالة الامبراطور ووراءه كثير من العبيد والجنود وأبلغني تحية الامبراطور وقال لي ان جلالته كان عازماً أن يقضي بضعة أيام أخرى في القصر المسمى (جنة) الكائن في هولانا وانما عاد الى العاصمة بصفة خصوصية لمقابلة الوفد السلطاني وانه أرسل الرسل يطلب أمير مقاطعة (جمابا جفر) الذي كان هنا قبل بضعة أيام ثم سافر الى مقر وظيفته ليعود ويقابلنا فطلبت اليه أن يرفع شكرنا لجلالة الامبراطور ثم ذهب مع حاشيته وفي هذا اليوم كنا نسمع بكاء وعويلاً ونحيباً كثيراً من جهة القصر الامبراطوري ولما سألنا عن سبب ذلك قيل ان أمتعة البرنسيس المتوفاة وبغالها وصلت اليوم الى العاصمة لذلك تجددت أحزان النـاس وأظن انه لا بد من وجود ناس هنا يبكون لاجل الخاطر كما يبكي بعضهم بالاجرة

وبعد الظهر أتاني الموسيو ايلغ وبلغني أن جلالة الامبراطور أمر باعطاء قطعة أرض ليبنى عليها جامع للمسلمين وأخرى تكون مقبرة لهم وانه تقرر أن يقابل جلالة الامبراطور الوفد السلطاني يوم السبت الآتي بصفة رسمية . وقد سرني جداً خبر اعطاء الارض اللازمة لبناء الجامع والمقبرة فطلبت الى الموسيو ايلغ أن يرفع شكري لجلالة الامبراطور وقد تقرر أن يسمى الجامع (حميديه)

خرجت بعد ذهاب الموسيو ايلغ الى الشرفة حسب عادتي وأشرفت على السوق التي كانت مكتظة بالناس من الرجال والنساء وكان الاعيان منهم يلتفون بالازار كالنساء والناظر اليهم لا يفرق بين المرأة والرجل الشاب لانهم يغطون وجوههم بالمئزر الى العين

كالنساء وانما تعرف النساء بخادمة تسير أمام البغل تحمل بيدها هراوة كما يعرف الاكابر منهن بلبسهن الجوارب من صنع أوربا من غير حذاء والنساء هنا يلبسن الجوارب لا للتحفظ من البرد بل للزينة فقط وتركب المرأة أحياناً على بغل واحد مع زوجها أمامه أو وراءه . وكثيراً مايرى الانسان على بغل واحد الزوج والزوجة وولدهما

بينما كنت أدوّن هذه السطور اذ جاء أحد الاحباش وطلب من خادم أحمد افندي نموذج قزاز وقد علمت منه ان لوح القزاز من ألواح الشبابيك الذي لا يساوي في الاستانة أكثر من قرش واحد يباع هنا بريال واحد والقدح الزجاج الذي لا يساوي أكثر من قرش يباع بريال أيضاً . والسبب في هذا الغلاء هو ان الاشياء القابلة للكسر لا تصل من الساحل الى آديس آبابا الا بعد أن يفقد ثلاثة أرباعها أو أربعة أخماسها لان المكارية لايعتنون بالطرود عند انزالها وتحميلها ومهما أفهموهم وكلموهم بلزوم التأني وقت انزال الاحمال أو تحميلها فانهم لا يحيدون عن طريقتهم في التحميل وقد رأيت أثناء سفرنا عدم عناية المكارية بالتحميل فانهم كانوا يحملون كل يوم صناديقنا مقلوبة أي رأسها الى أسفل وكلما كنت أكلمهم في ذلك يقولون لي (ايشش ايشش) ولكنهم لا يعملون الا برأيهم والبضائع الاخرى هنا غالية أيضاً فصفيحة غاز البترول تساوي من ثمانية الى تسعة ريالات وأقة السكر ريال واحد . وفي موسم الامطار اذا تأخر وصول القوافل من الساحل فان الاثمان تتصاعد كثيراً والاهالي هنا يشربون القهوة بالعسل فلا يحتاجون والحالة هذه للسكر كما انهم ليسوا في حاجة لكثير من البضائع الافرنجية وقد كنا نحن أيضاً في الطريق نستعمل بعض الاحيان العسل في الحلويات فكنا نجده لذيذاً . وقد قلت آنفاً ان العسل في هذه البلاد كثير ورخيص جداً . ويوجد في مقاطعة جمابا جفر جنس من النحل يعمل خلاياه تحت الارض ولا يعرف محله الا من ثقب صغير يدخل منه النحل ويخرج ويؤخذ من هذه الحفر الارضية مقدار كبير من العسل ولكن طعمه ليس كطعم الجنس الذي يعمله النحل في جذوع الاشجار

لغة الاحباش

ان لغة الاحباش الحالية هي اللغة الاثيوبية الاصلية ويقال لها لغة الكيز أيضاً . وهـذه اللغة هي من اللغات السامية كالعربية والعبرانية والسريانية وقد دخلت اللغة المذكورة الى الحبشة عن طريق تيغري ومصوع بواسطة أقوام هاجروا في الازمنة القديمة من اليمن . وانتشرت من هناك الى الداخل حتى اضحت اللغة الكبرى . وبتعاقب الاجيال طرأ عليها تغييرات تعرض لكل لغة من اختلاط الاقوام المجاورة لها فدخل فيها كلمات أجنبية والاصطلاحات التجارية اليونانية فتفرع منها لغات متعددة سميت كل واحدة منها باسم الاقوام الحبشيين على اختلاف المقاطعات التي يقيمون فيها وأشهر هذه اللغات هي الامحرية والتيغرية والغوندارية ولغة جماباجفر والصومال وشووا ودانجلا وعدال وهرر

ان الحبشة تتألف من حكومات مستقلة في ادارتها الداخلية تحت رئاسة الامبراطورية التي تكون على الغالب في يد اقوى أمير من حكام المقاطعات ويعتبر مقر هـذا الامير عاصمة الامبراطورية التي تنتقل بذلك من حكومة الى حكومة ومن بلد الى بلد . وكانت لغة كيز المار ذكرها اللغة الرسمية للبلاد كما انها كانت اللغة الدينية وذلك عند ما كانت السيادة بيد حكام تيغري ولما انتقلت عاصمة الملك الى الغرب الجنوبي صارت اللغة الامحرية اللغة الرسمية للحبشة وبقيت لغة الكيز اللغة الدينية والعلمية والتاريخية كما كانت . ويستعمل أهالي مصوع وما يجاورها وسكان التيغري في كتاباتهم لغة الكيز وهي بمقام اللغة العربيـة الفصيحة بالنسبة الى اللغات العامية العربيـة التي يتكلم بها الناس في اليمن والحجاز وسوريا ومصر حيث تختلف اللهجة في التكلم وتتحد عنـد الكتابة . ويقال ان هجمات قبائل الغاللا وغاراتهم

يوم الجمعة ١١ يونيو (حزيران) آديس آبابا

جاءني صباح اليوم الموسيو ايلغ و بعد ان بلغني تحية الامبراطور شرح لي كيفية احتفال المقابلة التي ستكون نهار غد

كنت اليوم جالساً في الشرفة فاستجلبت نظري أغطية الرؤوس التي يضعها الامحريون على رؤوسهم

الاعيان منهم يلبسون القبعة على رؤوسهم والباقون مكشوفو الرؤوس ومنهم من يترك شعر رأسه على حاله والبعض يحلقونه كله وقد رأيت منهم من حلق شعر رأسه من الوسط وتركه من الاطراف بحيث صار على رأسه شبه القبعة . ومنهم من وضع على قمة رأسه عمامة صغيرة و بعضهم لف حول رأسه قطعة من الشريط المسمى (قورده لا) .

لزم لبعض صناديقنا تصليح ورأينا أن نلف هذه الصناديق بجلود البقر وكان عندنا جلود بقر مذبوحة بيد جزار مسلم فامتنع النجار المسيحي أن يستعمل هذه الجلود أو أن يمسها بيده فتعجبت لهذا التعصب الغريب في بابه مع ان المسيحيين والمسلمين في الحبشة يعيش بعضهم مع بعض في غاية الوئام والسلام فلا تقع بينهم مشاحنات دينية ولا غيرها

أتى بعد الظهر أحد رجال رأس من الرؤس وسأل عن أحوالنا وأهدى تحية الرأس لنا وفي المساء جاء لزيارتي أمين مخزن النجاشي (كيلارجي) ورئيس خدام مائدته واسمه اسلاقي ماشاشا . ووظيفة هذا الرجل لا تشبه وظيفة سائر خدمة المائدة بل انه مكلف في بعض الاحيان بوضع الطعام بيده في فم النجاشي . وقد رأيت مراراً خدام بعض الرؤوس يدنون قدح الماء بيدهم الى فم الرأس و بعد أن يشرب سيده

يمسح له فمه بطرف ردائه (الشما) على اني لم أرَ الخدام يضعون الطعام أيضاً في فم الرؤوس أو الامبراطور بل سمعت ذلك من بعض رجال حاشية الامبراطور

ان خادمنا المسمى جمعه يفهم العربية قليلا و يميل جداً لتعلمها . لذلك تجده يكرر كل ما يقال أمامه فمثلاً لو طلب أحدنا منه قليلاً من الماء لا يأتي بالمطلوب الا بعد أن يكرر ما قيل بالحرف واذا ضحكت أمامه يضحك هو أيضاً واذا عبست وقطبت جبينك يعبس هو أيضاً و يقطب جبينه . واذا كان عندك بعض الزائرين فناديته لغرض من الاغراض وقلت له انتظر هنا قليلاً يدير ظهره لك ولزائريك و يقف في وسط الغرفة كالصنم بدون حراك . لانه يستحي من ان يقف ووجهه موجه نحوك . وكان الطقس اليوم بارداً فاضطررنا ان نوقد النار في غرفتنا للدفأ فأتى جمعه المذكور بالنار ضمن الساج ووضعه على البساط من غير ان يضع تحته شيئاً آخر منعاً لسريان النار الى البساط . فلما رآه أحد الزائرين الموجودين عندي كلمه بالعربية قائلاً (ما هذا العمل يا جمعه ستحرق البساط « يا خراب ديارك ») فكرر جمعه في الحال الجملة الاخيرة من كلام الزائر قائلاً (يا خراب ديارك) فضحكنا جميعاً ولما رآنا كذلك صار هو أيضاً ينظر الينا و يضحك معنا

لا يخفى اننا من سكان الاستانة التي يشتد البرد فيها في الشتاء جداً ومع ذلك فقد احتجنا اليوم ونحن في أواسط حزيران (يونيو) وفي آديس آبابا الكائنة في أفريقيا الى وضع النار في غرفتنا للتدفئة . لان المدينة كائنة على ارتفاع عظيم كما ان الموسم هو موسم الامطار

الجندية

يؤلف الجيش الحبشي من مجموع جنود كل رأس أي كل حاكم مقاطعة من المقاطعات حسب جسامتها وثروتها ومن الجنود الحرس الخاص بجلالة الامبراطور .



محارب من الحاشية الملوكية

وكيفية أخذ الجنود هناك أن الحكومة تعلن طلبها للجنود المتطوعة فيأتي الناس للانتظام في السلك العسكري وربما كان المقبلون على ذلك اكثر من العدد المطلوب فيجربونهم بالمشي السريع أو الجري الخفيف على الطريقة العسكرية الى مسافة سبعين كيلومتراً تحت نظارة ضابط من الفرسان . والذي يكون اكثر اسراعاً في جريه ولا يعتريه تعب يؤخذ . والجندي الحبشي مطيع ومحب لرئيسه وصادق وأمين في خدمته جريء مقدام قنوع كما أنه يحافظ على النظام أثناء التمرين . وبالاجمال فالجندي الحبشي قابل للتعليم والتمرين كقابلية الاوروبي لذلك

والجنود الاحباش لا يحبون الاقامة في محل واحد بل يميلون الى التنقل وتبديل المكان ورؤية محلات جديدة وهم يفضلون التسلق على الجبال الشاهقة والحركة على السكون والراحة . واذا سافر الجندي الحبشي لا يسأل عن وجهة السفر ولا عن المحل الذي سيقضي فيه ولا المسافة التي سيقطعها ولا يتأخر في الطريق من غير اذن رئيسه بأي حجة من الحجج . يقضي يومه بما تيسر من الاكل ويحب السلاح جداً ولا يتركه من يده قط حتى أنه ينام في الليل و بندقيته معه وحين يسير يكون دائماً في انتباه وتيقظ تام . وهو شديد السمع حاد النظر حاسة الشم فيه عظيمة جداً . واذا مرض أحد الجنود أثناء السير في طريق السفر يتركونه في كوخ أو في قرية ومعه أحد رفاقه ويعالج هناك ثم يلحق بمعسكره بعد رجوع الصحة اليه . وعند وصول الجند الى محل النزول تبدأ الجنود قبل كل شيء باقامة خيم او اكواخ قوادهم وضباطهم وبعد أن يقوموا بما يجب عمله لراحة هؤلاء الضباط يفكرون بانفسهم . واذا نام أحد الضباط يأتي الجندي وبيده غصن من أغصان الشجر فيطرد به الذباب عن وجه الضابط وبالجملة انه يقوم بكل ما يلزم لراحة الضابط . وقد كان الجنود الذين معنا أثناء سيرنا في الطريق يقومون بكل هذه الخدم ويمشون أمامنا حتى اذا صادفنا في طريقنا شجيرات أو أغصاناً تعوقنا عن السير فانهم اما أن يقلعوها من جذورها أو أن يؤخروها بأيديهم الى الوراء ليفتحوا بذلك طريقاً لمرورنا

والجنود الحبشية بعد أن يقضوا ما عليهم من الخدم لترتيب المعسكر يقطعون ردحاً من الزمن بالضحك واللعب تسلية لنفوسهم وعند الصباح تجدهم واقفين على أقدامهم ينتظرون لاوامر بكل نشاط وسرور. ولا انسى ولن انسى ما كنت اراه من ابو بكر احد الجنود المرافقين لنا في سفرنا من النشاط والسرور في تنفيذ الاوامر التي كانت تعطى له وهو يتغنى وينشد . مع ان هذا الرجل كان يتجاوز الستين من العمر ومع ذلك فقد كان يجري في ذهابه وايابه كأنه شاب في مقتبل العمر . وللجندي الحبشي شغف زائد بالصيد والقنص ولكنه لا يريد ان يسرف بالقراطيس لغير فائدة وعنده اكبر هدية تهدى له هي القراطيس (الخرطوش) واذا عوقب احدهم بالضرب على ظهره يتجلد تجلداً عظيما فلا يسمع له صوت اثناء ضرب بسيط بل ولا تظهر علامة التألم والوجع على وجهه او على حركات جسمه ولقد يقال ان احد الاحباش المستخدمين في الجيش الطلياني عوقب مرة بالضرب فأخذ يصيح عند تنفيذ العقاب فجعل رفاقه يستهزئون به ويحتقرونه حتى اضطر للاستعفاء من خدمة الجندية

وثبات الجندي الحبشي واقدامه وقت القتال يكون متناسباً مع شجاعة القائد وبسالته فاذا ثبت القائد فان الجند يثبتون معه حتى الموت ويلقي القائد على الجند نشيداً حربياً او خطبة حماسية قبل دخولهم الى ساحات القتال ويمدح نفسه ويثني عليها لانه سيكون للجنود قدوة ومثالا حسناً . واليك بعض امثلة من خطب القاها القواد قبل دخول الجند ساحة القتال :

الخطبة التي القاها دجاز ديب قبل محاربته للتيغريين بيوم واحد

« ايها الجند : انكم ستعلمون غداً ذكر الرجل الذي انتم في خدمته الى اليوم اني سأقاتل غداً حتى اظفر بعدوي او اموت فينبغي ان لا تفارقني انظاركم واذا رأيتم ترددي . . . . ماذا قلت ؟ كيف لفظت كلمة (تردد) لا لا ! انا قلت غلطاً

أريد ان اقول ان كل من يرى احد شرايين وجهي ترتعش فليتركني ويترك خدمتي ومن يرى اني رجعت القهقرى مدبراً فليخرق جسمي برمحه وينتقم مني بذلك »

وفي الحقيقة ان هذا القائد قاتل في اليوم التالي قتالاً عظيماً واظهر من الشجاعة والبسالة ما يفوق الوصف

وهذه خطبة أخرى

« أنا الذي له طعنات بالرمح نجلاء ، أنا الذي طعنت بالرمح الرجال الكثيرين . أنا اسمي قاسسا . أنا ابن جبابا فانفل . أنا الذي اذا أصابت رقبتي رصاصة تقوم فيها مقام ماتب (ماتب هي شريطة زرقاء يعلقونها في أعناقهم وفيها الصليب مرسل الى الصدر) أنا أسد وابن أسد . أنا الذي انتصرت على الفاللا ممتطياً حصاني فانزو . أنا الذي قتل بسيفه كثيراً من التيغريين وانتصر ببندقية على الامحراويين . أنا الذي ألقى بيده بالنالناويين الى أعمق الهاويات . نعم أنا ابن جبابا فانفل . البارحة كنت بلمراساً واليوم صرت دزجماجا وسأكون غداً راساً . أنا لا أرهب أحداً . هل يوجد من رآني فاراً ؟ هل هناك من يقدر على أخذ ترسي مني ؟ اذا وجد فليبرز اليّ . »

وللجنود الاحباش عادة فظيعة جداً يستعملونها وقت الحروب وذلك أنهم يقطعون خصيتي الاسرى بحجة تقليل نسل العدو لذلك تجد الجنود يتسابقون الى الاتيان بما يقطعون من آلات التناسل لينالوا الفخر لدى رؤسائهم بذلك ويظهروا بمظهر الشجاعة والاقدام . ومن أجل ذلك تجد المتبارزين دائماً يكون أول همهم قطع الخصية اذا ظفر أحدهما بالآخر . وقد عاد اكثر الاسرى الطليان الذين وقعوا في أيدي الاحباش الى بلادهم مقطوعي الخصيتين . وقد أراد الامبراطور منليك ابطال هذه العادة المستنكرة وأصدر بذلك أوامر متعددة ولكنه لم يقدر على استئصال

شافقها بالمرة لان الجندي الذي يتمكن من قطع خصية أحد الاعداء لا يأتي بها الى ضابطه بل يأخذها و يعلقها على باب منزله أو كوخه علامة الظفر بعدوه وكانوا يعلقونها على صدور خيولهم أو بغالهم و بعضهم كان يحشوها بالتراب لتكبر ثم يعلقها حيثما يريد

وخيم الجنود الحبشية لونها أبيض وخيام الضباط مختلفة الالوان . وأما صيوان الامبراطور فانه يكون أحمر اللون . وتكون الخيمة الحمراء نقطة الدائرة في ترتيب المعسكر وقت النزول و يوجه باب الخيمة الى الجهة التي يسير منها المعسكر في اليوم التالي . فمن اتجاه باب خيمة الامبراطور تعرف الوجهة التي سيتوجهون اليها . وهذه القاعدة ليست خاصة بالجيش فقط بل ان القوافل السائرة في الفيافي والجبال تتبع القاعدة المذكورة عند نزولها . وأما نحن فاننا كنا دائماً نوجه أبواب صواويننا للجهة الآتي منها الهواء لذلك كان خدمتنا وجنودنا يستغربون ذلك و يسألوننا هل نحن ذاهبون الى آديس آبابا أم راجعون من حيث أتينا ؟

رأيت في آديس أبابا أورطة (طابورا) مؤلفاً من أربعمائة جندي من العبيد السود وقد نظم جلالة النجاشي هذه الاورطة على الطراز الحديث وجعلها خاصة بخدمته. وهؤلاء الجنود السود يتمرنون تحت أمرة الكونت لاغي بورجر الفرنسوي ولهم جوقة موسيقى على الطراز الا روبي و يلبسون البانطلون والجاكت وعلى رؤوسهم طاقية حمراء تشبه الطربوش. وأما أرجلهم فعارية لانهم حافظوا على القاعدة العمومية الجارية في بلادهم وهي عدم لبس الحذاء

السبت ١٢ يونيو (حزيران) آديس أبابا

المقابلة مع جلالة الامبراطور — زيارة السفراء والرؤوس — وزرودستا

كان اليوم موعد مقابلتنا مع جلالة النجاشي فلما أصبحنا ارتدينا بأرديتنا الرسمية الكبرى . وقبل أن نذهب أرسلنا الهدايا السلطانية مع خدامنا وجنودنا وصحبتهم رجل أرسله الموسيو ايلغ . و بعد ذلك خرجت الى الشرفة منتظرًا ورود الجماعة الذين سيصحبوننا الى القصر الملوكي . وكان في المدينة حركة كبيرة والطرق مزدحمة بالناس و بينهم مئات من الرؤوس والقواد والضباط والجنود وكلهم بالملابس الرسمية يمتطون ظهور البغال ووراءهم عبيدهم وهم ذاهبون الى القصر و بعضهم يصطفون في الطريق .

ويرى الرائي هنا أنواعاً كثيرة من الالبسة الرسمية (التشريفة) ويمشي امام أكابر الاحباش عبيدهم يحملون أحسن أسلحتهم من رمح أو ترس أو حربة ويضع بعض قواد الجند على رؤوسهم شعور الاسد والنمور فتدلى من وراء رؤوسهم والحاصل ان للجنود هنا هيبة تأخذ بالقلوب ويظن الناظر الغريب لاول وهلة انه يرى امامه انسانًا في شكل أسد أو نمر .

بينما كنت أسرح الطرف في المارة على الطريق اذ رأيت في أول الشارع جندًا يقرب عددهم من الف قادمين علينا و بعد قليل وصلت هذه الاورطة (طابور) ثم جاء الموسيو ايلغ ورأس ولدى وعزاج كزو مدير القصر الملوكي وأحد قرناء الامبراطور وفيتوراري ردى أحد حجاب الامبراطورة وغيرهم من رجال القصر ليرافقونا وكلهم بالاردية الرسمية .

وفي الساعة الثالثة (عربي) ركبنا وسرنا قاصدين القصر والجنود محيطة بنا من كل جانب وامامنا جوقة موسيقية عسكرية مؤلفة من نايات وزمر و بعض آلات لا أعرفها.

وكانت الطرق وأسطحة المنازل والشرفات والدكاكين غاصة بالناس الذين كانوا يحيوننا وكان بعض المأمورين بيدهم العصي يطردون بها الناس ليفتحوا الطريق للموكب . وصلنا الى القصر ودخلنا بين الازدحام الذي يفوق الحصر والوصف وعبرنا من الباب الاول الى ساحة فسيحة محاطة من كل جانب بجدار ثم دخلنا من باب آخر الى ساحة أخرى والساحتان كانتا غاصتين بالجنود وفي الساحة الثانية كانت بطارية مدافع واقفة تؤدي التحية باطلاق البارود . وبعد الساحة الثانية وجدنا مرآة كبيرة جداً وهنا يوجد البهو الملكي الكبير المسمى آدرش . دخلنا من باب البهو فوجدنا جلالة الامبراطور منليك جالساً على عرش جسيم وهو محاط بحاشيته ورجال بلاطه وعددهم يقرب من مائة . فلما دخل الوفد الى البهو أخذت تدوي المدافع فقام الامبراطور حينئذ ثم جلس ولما اقتربنا منه انتصب قائماً للمرة الثانية ففهت امام جلالته بخطاب وجيز فيما يخص مهمتي التي أتيت من أجلها ثم أعطيته الكتاب السلطاني والنيشان فأخذهما مني بكل تجلة واحترام وفاه بعبارات الشكر للحضرة السلطانية . وبعد ان تمت هذه الرسوم أشار بيده الى مقعد امام العرش الملكي كان أحضر بصفة خصوصية فجلست عليه . وبعد ذلك أخذ جلالته يسألني عن صحة جلالة مولانا السلطان الاعظم وعن الامن والراحة في البلاد العثمانية وعما اذا كنا تعبنا في الطريق أم لا . وبعد قليل قدمت الهدايا السلطانية فصار يفحصها بنفسه واحدة واحدة ويظهر مزيد سروره . ثم أخذ يشرح امتنانه وشكره للحضرة السنية السلطانية التي تفضلت وافتكرت بجلالته (أي بالامبراطور) . وأما الهدايا السلطانية فكانت مؤلفة من طاقم شاي وبسط من صنع فابريقة هركة السلطانية وأقمشة للملابس والفرش وجوز شمعدانات من الفضة وكلهم من أحسن ما صنع وأبدع ما عمل .

كانت حاشية الامبراطور كلها واقفة وراء العرش وعلى جانبيه سوى ثلاثة كانوا جالسين على مقاعد موضوعة على يمين العرش الملكي وهؤلاء الثلاثة هم رأس ماكونين ورأس جورجيس ورأس تسما . وقد عرفني بهم الموسيو ايلغ الذي كان يؤدي وظيفة

الترجمان فتصافحنا وشكرت للرأس ما كونين ما رأيتـه من الاكرام في منزله الكائن في هرر .

دامت هذه المقابلة نصف ساعة تكلمنا في خلالها مع جلالة النجاشي في مواضيع مختلفة . وكان جلالته مرتديًا بالملابس الرسمية ومتقلدًا وساماته المرصعة والتاج الملوكي المرصع كان موضوعاً على العرش بجانب جلالته . وكان على رأسه كوفية يلبسها دائمًا حتى تحت القبعة وهو جالس فوق العرش على الاصول الشرقيـة (متربع) وحوله الوسائد يتكئ بيديه عليها .

وأما العرش الملكي فانه كان مزينًا تزيينًا عظيماً كأنه سرير عروس وحجمه متر ونصف يصعد عليه بدرج واحد وهو مصنوع من الاخشاب المنقوشة والمذهبة والفرش والوسائد الموجودة على العرش مشغولة كلها بالقصب. ويأدب النجاشي كل يوم أحد في هذا البهو مأدبة يحضرها جميع القواد وأمراء الجند والجنود ويتناول جلالته الطعام في ذلك اليوم وراء الستر وبعـد الطعام يكشف الستر فيظهر جلالته للمدعوين الذين يجلس كل فوج منهم على خوان . ويأتي الخدم من الخارج بأطباق المأكل فيوزعون الاطعمة على الخوانات . والجنود تدخـل للطعام أيضاً فوجاً فوجاً . والطعام المقبول عندهم في هذه المأدبة هو اللحم النيء . وتذبح مئات من العجول وتسلخ وتقطع قطعاً وتوضع على الموائد وحرارة الحيوان موجودة فيها بعد . فيأخذ كل من المدعوين قطعة ويقطعها على شكل مستطيل وبعـد ان يغمسها بالفلفل الاحمر يعض عليها بأسنانه ويقطع ما بقي خارج فمه بخنجره ويمضغ ما بقي في فمه وهكذا حتى يشبع. والاوروبيون هنا يعجبون كيف ان الاحباش لا يقطعون أنوفهم عند ما يأكلون على هذه الصفة . أي عند ما يقطعون اللحم بالخناجر وهم ممسكون له باسنانهم

وطول هذا البهو ٨٠ ذراعاً وعرضه ٦٠ وارتفاع سقفه متناسب مع طوله وعرضه وقد أقيم السقف على أعمدة كبيرة قائمة على صفين بين الواحد والآخر عشرون ذراعاً . والبناء مشيد من الآجر وعوارض السقف من الخشب ومستورة بنوع من الساج مطلي

ذلك أخذنا نتجاذب أطراف الحديث بواسطة مهماندارنا الحاج أحمد افندي فأعجبت برقة هذه السيدة ولطفها وذكائها ومما تأتي به من العبارات الجميلة والامثال البديعة التي كانت تضربها لنا في خلال كلامها مما يضعها في مصاف أحسن نساء أوربا تربية وتهذيباً . وقد قدمت لنا شربات العسل وشربات (برز) وبينما كنا عندها أخذت الامطار تهطل بحيث اضطرتنا الى البقاء عندها حتى انقطاع المطر . وكانت جالسة امامنا وعلى رأسها غطاء (طرحة) ولما أخذنا نشرب الشربات طلبت الاناء الخاص بها لتشرب على صحتنا فأتوا بها لها وهي تسع مائة درهم فقط . والسيدات هنا (ويقال للواحدة منهن وزرو وذلك بدل خانم) لا يشربن الماء أو غيره بالاقداح بل يشربنه مباشرة من (الصراحية) اذ لكل سيدة واحدة خاصة بها ذات نقوش بديعة

ولما رجعنا الى المنزل قيل لنا ان رأس ما كونن حضر في غيابنا لزيارتنا كما ان الموسيو ايلغ أتى موفداً من قبل النجاشي . وقد ترك الموسيو ايلغ لي كتاباً يقول فيه ان جلالة الامبراطور يريد ان يقابل الوفد مقابلة خصوصية في الساعة الثامنة صباحاً من نهار الغد (الاحد)

ورد اليوم لنا كثير من الزاد والمؤن (طورغو) من قبل الامبراطورة غير الذي ورد من قبل الامبراطور . وكان الذي ورد من الامبراطورة خراف وكثير من الدجاج وجرار (بلاصيات) مشروب التج وقدور السمن ومقاطف البيض وأرسلت احد حجابها لاهداء الوفد تحياتها

وهنا يجب ان اصف قليلا جلالة الامبراطور وما علمته عنه :



الامبراطور منليك بكسوة التشريفة الكبرى

جلالة الامبراطور منليك

ان جلالة منليك رجل طويل القامة مهيب الطلعة جميل المنظر ربعة متواضع وقوراً . وهو الآن في الستين من عمره ، نشيط يميل الى ان يعلم كل شيء وبواسطة هذا الميل وقف على أمور شتى وعلم صناعات كثيرة مثل فك آلة الساعات وتركيبها ثانياً وكشف عدد البنادق والمدافع حتى اضحت لديه من اسهل الامور وهو على جانب عظيم من الذكاء والدهاء . يعامل جميع رعاياه بالمساواة ويحكم بينهم بالعدل ويحب لهم الخير ولذلك تجد رعاياه من مسلمين ومسيحيين أجمعوا على حبه واظهار امتنانهم منه . ولجلالته شغف زائد بالفن المعماري ويمكننا ان نقول انه اعظم مهندس معماري يوجد في الحبشة يرسم بيده اغلب رسوم الآنية ويصف للقائمين بالعمل كيفية السير بموجب هذه الرسوم مما يستوجب استغراب الاوربيين وعجبهم وقد تعلم من بعض الاطباء والصيدليين تركيب بعض الادوية . يوجد في قصره رجال من الصناع والمهندسين والعمال للقيام بالاعمال الصناعية والهندسية وهو يحادث كل واحد من هؤلاء فيما يختص بصنعته ويشاهد بنفسه ما يقومون به من الاعمال ويسأل عن الامور التي لا يفهمها ويطلب منهم أن يصنعوا بعض الاشياء أمامه . ومما بلغني عنه من هذا القبيل انه استحسن أحذية الافرنج الذين كانوا يفدون عليه عند ما كان ملكاً على مقاطعة شوا فطلب مرة الى أحد المهندسين أن يصنع له حذاء أمامه ليرى كيفية صنع الاحذية . فأجابه المهندس معتذراً بانه لم يشتغل قط بصنع الاحذية ولكن لم يرق هذا الكلام في عين منليك وأصرّ على طلبه فلم ير المهندس بداً من انفاذ امر الملك فقام يجهز ما يلزم لصنع الاحذية فأوصى على صنع قالب خشب وحل قطع حذاء قديم عن بعضها ليرى كيفية تفصيلها ثم أحضر الجلود اللازمة وأخذ يشتغل بصنع الحذاء أمام منليك حتى صنع له حذاء منها وبذلك نفذت رغبة جلالته التي

وقف بواسطتها على كيفية صنع الاحذية . وأمر مرة المهندس أن يصنع له بندقية تطلق بالخرطوش على الطراز الجديد . وهو يعلم أن صنع هذه الاشياء في أوربا يكون أقل عناء وأقل نفقة ولكنه يطلب صنعها أمامه وفي بلاده ليقتنع من امكان صنعها في بلاده ويتأكد من معادنها واخشابها . والاوربيون يعترفون لمنليك بالمهارة السياسية والعسكرية وقد كان قائداً عاماً لجميع حركات الجيش الحبشي في حربه مع الطليان اذ كان يراقب بنفسه مواقع المحلات التي كان ينزل فيها الجيش كما انه كان يقوم بنفسه أيضاً بالكشف على الاطراف قبل القتال ويرتب جيشه حسبما تظهره له المعاينة والاختبار

وأما والده فهو هيلو ملوكت ملك شووا وجده ثالث ملوك شووا . وقد كان تئودوروس نجاشي الحبشة الاسبق حارب هيلو ملوكت والد النجاشي الحالي وبعد أحضر ولده منليك الى مجدلا وزوّجه بنته وأمره بالاقامة هناك

ولما قرب الانكليز في سنة ١٨٦٧ من مجدلا تمكن منليك من الفرار منها وقطع الوديان والجبال الصعبة المرور وحيداً ليس معه أحد ولحق ببضعة آلاف رجل من رجال أبيه وأخصائه وقومه وقبيلته وكانوا في انتظاره فاستقبلوه أحسن استقبال وسروا لمجيئه فسار من هناك ومعه رجاله وجميعهم مسلمون وهاجم انوبزابه حاكم مقاطعة شووا المولى من قبل تيودوروس فهزمه واستولى على بلاد شووا وصعد على عرش أجداده وأبيه ومن هذا التاريخ انقطعت جرثومة الحروب الداخلية في مقاطعة شووا وخضع الفاللا لمكها فاضحت هذه المقاطعة من ذاك اليوم أضخم وأقوى جزء من أجزاء المملكة الحبشية . ولما صار دجاز قاسا أمير تيغرى امبراطوراً على الحبشة باسم يوحانس ابتدأت المخاصمات بينه وبين منليك ولكن الاخير نفر من سفك الدماء فسد باب المحاربات الداخلية وقبل ان يكون تابعاً ليوحانس مع انه لم يكن انتصاره على الامبراطور أمراً صعباً ولما قتل يوحانس في واقعة القلابات كما مر ذكره اعترف جميع رؤوس وأمراء الحبشة بامبراطورية منليك وأخذت كلمته تعلو ونفوذه يزداد واحتفل بتتويجه



الامبراطوره تايتو زوجة منليك

بعد واقعة أدووا وأخذ يراسل ملوك الدول العظمى في أوربا

وكانت زوجة منليك الاولى توفيت فتزوج بجلالة تايتو الامبراطورة الحاليــة في ســنة ١٨٨٧ واحتفل بتتويجها امبراطورة على الحبشة ســنة ٨٨٩ بعــد الاحتفال بتتويجه بيومين

دافع المصائب والبلاء

في بلاط النجاشي وظيفة على غاية من الاهمية يطلق عليها اسم (ليقا ماقواس) ويجب على الشخص المرشح لاحراز هذه الوظيفة أن يكون مشابهاً للامبراطور من حيث البنية والشكل تمام الشبه واصاحب هذا المنصب أن يرتدي بمثل ما يرتدي الامبراطور ويعلق أوسمته وبالجملة ان الشرط الاعظم أن لا يكون فرق بينه وبين الامبراطور . وفي بعض الاحيان يقسم المنصب بين اثنين يشبهان النجاشي و (ليقامقواس) هذا يقف دائماً وقت الحروب والاسفار قرب الامبراطور وتحت شمسيته ولا يقدر أحد حتى ولا الجنود أن يميزوا الامبراطور الحقيقي من الامبراطور الوهمي فيتمكن الامبراطور بذلك وقت الحروب أن يترك شبهه تحت خيمته وشمسيته في مركزه الرسمي ليذهب هو ويتجول أين شاء دون أن يصيبه أذى أو أقل خطر ويكون في معزل من قنابل العدو ورصاصه وليقاماقوس هذا يكون دائماً معرضاً للمهالك بدلاً من الامبراطور ولذلك سميته بدافع البلاء

جلالة الامبراطورة تايتو

ان جلالة الامبراطورة تايتو هي من عائلة عريقة في الحسب من مقاطعة تيغري ولهـا في بلاد الحبشة نفوذ عظيم وجاه كبير لذكائها وفطانتها وصبرها على المكاره

وعقلها الكبير حتى ان زوجها يعتمد عليها في كثير من أمور الدولة ويرجع الى رأيها ويأخذها الى الحروب معه

وتنفي هذه الامبراطورة أوقاتها داخل الحرم وقليلاً ما تظهر امام الناس الا في اسفار النجاشي وفي اثناء الحروب فانها تكون معه . ويقول الافرنج انها لا تحب الاوروبيين ولا تميل اليهم ويمكن ان يكون سبب هذه الكراهة تعرض الانكليز والطليان لشؤون بلاد الحبشة. والكهنة في البلاد الحبشية جميعهم من حزب الامبراطورة. ويقال انها على غاية من الشدة في معاملاتها بعكس الامبراطور المشهور بالحلم فلذلك يهاب الناس جانبها اكثر مما يهابون جانب النجاشي . ويروى ان النجاشي كان أراد أن يعفو عن الاسرى الوطنيين الذين أخذوا في الحرب مع الطليان من عقوبة قطع الرجل والايدي ولكنه لما رآها تلح على تنفيذ قانون البلاد على هؤلاء المنكودي الحظ اضطر لتنفيذه

وللامبراطورة دائرة خاصة بها فيها كثير من الخدم والحشم وقد كانت اثناء الحرب مع الطليان هي وحاشيتها وفرقة حرسها وهي نحو خمسة عشر الفاً تحت الخيام وهذا الجيش يأتمر مباشرة بأمرها فيتلقى قوادها الاوامر مباشرة منها ويقول الضباط الطليان الذين كانوا حضروا حروب الحبشة بأن تايتو كانت تدبر حركات جيشها الحربية كأعظم قائد من قواد الجيوش ذوي المهارة التامة في الفنون العسكرية . وجلالتها حريصة على شرف الحبشة وسمعتها ولها دخل عظيم في وصول هذه البلاد الى ما عليه الآن من الرقي بما بذلته من العناية في هذا السبيل كما انها كانت السبب الوحيد في الحرب مع الطليان واليك البيان :

يوجد معاهدة بين ايطاليا والحبشة تعرف باسم عهد أوقسيالي مؤلفة من عشرين مادة تبين حدود البلادين وتحدد المعاملة الرسمية بينهما ومن جملة مواد هذه المعاهدة المادة السابعة عشرة التي كانت السبب في القيل والقال وكثرة الاخذ والرد واليك ترجمة مضمون هذه المادة من النسخة الطليانية :

وأرسلت الى الكونت مادتين قصيرتين

مادة (١) ان المعاهدة التي عقدت في اليوم الثاني من مايو (مايس) من سنة ١٨٨٩ تعتبر لاغية ومفسوخة

مادة (٢) ان امبراطور الحبشة يتعهد لملك ايطاليا بأنه لا يتنازل قط لاي حكومة كانت من حكومات أوربا أو غيرها بأرض من مملكته ولا يقصد معاهدة معهن ولا يقبل حماية قط

فلما وصلت هذه المسودة الى الكونت اعتبرها كأنها اعطاء الجواز (تذكرة مرور أو بسابورط) له فقطع جميع صلاته وعاد الى بلاده

يوم الاحد ١٣ يونيو (حزيران) آديس آبابا

مقابلة الامبراطور الخصوصية والوداع — أبنوس وحارسه في حديد واحد — الهدايا الامبراطورية

——

اليوم صباحاً ورد أحد رجال رأس ولدى لاهدائنا السلام من قبله والسؤال عن صحتنا وأحوالنا وفي الساعة الثانية (عربي) ركبنا البغال الى القصر ومعنا جمع غفير من الجنود والخدم وتقابلنا نحن والموسيو ايلغ فدخلنا لمنزله وترجمنا الكتاب السلطاني الى اللغة الفرنسوية ليترجمها المومأ اليه الى اللغة الامحرية فيما بعد . وبعد أن أتممنا هذا العمل ذهبنا الى قصر النجاشي . فأدخلنا الى قصر منفصل من دائرة الامبراطورة بحائط ويسمى هذا القصر (شهلابيت) وقد رسمته بعدة الفوتوغرافاتي كانت معي حينئذ وهذا القصر الصغير مبني ومفروش على الطراز الشرقي وفي وسطه سرير يشبه أسرة النوم خاص بجلوس الامبراطور عليه والقصر مفروش بالطنافس التي أهدتها الحضرة السنية السلطانية الى جلالة النجاشي كما ان العرش كان مغطى بسجاد من الحرير وهي أيضاً من جملة الهدايا المذكورة . وقد أراد الامبراطور بذلك أن يرينا سروره من لطف الحضرة العلية السلطانية وبينما كنا في هذا البهو ننتظر أن يأخذونا الى محل آخر يكون الامبراطور موجوداً فيه اذ فتح الباب الكائن بين دائرة الامبراطورة ودخل جلالة الامبراطور للبهو فهرولنا لاستقباله فصافحنا مراراً يداً بيد بكل لطف وتعطف ففهمنا من ذلك انه حضر لعندنا وانه أعاد بذلك الزيارة لنا . وبعد أن جلس على العرش أمر فخرج كل الموجودين في البهو ما عدا الموسيو ايلغ وأحد قرنائه ونزع قبعته عن رأسه ووضعها بجانبه علامة على انه جعل مقابلة هذه المرة خصوصية غير رسمية وأشار الي أن أجلس على المقعد الكائن أمامه ففعلت ثم جعل فاتحة حديثه

السوٴال عن صحة الحضرة السلطانية المعظمة وانتقل بعد ذلك الى الكلام عن الدير الحبشي الكائن في القدس ثم السوٴال عن الصلات التاريخية التي كانت موجودة بين العالم الاسلامي والحبشة فأخذت أشرح لجلالته على وجه الاجمال المخابرات والمهاداة التي وقعت بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين النجاشي أصحمة وكيف أن المهاجرين المسلمين وجدوا أحسن قبول وأحسن حماية في الحبشة وانه كان كثير من الاحباش مصاحبين لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كما انه يوجد ليومنا هذا كثير من الاحباش بوظائف سامية عند جلالة مولانا السلطان الاعظم بصفةمصاحبين . فسر ذلك جلالته جداً وقال انه يريد أن تكون الصلات الحسنة الحبية متصلة دائماً و نه يحب رعاياه المسلمين كما يحب رعاياه الامحرين بدون فرق

وقد ظلت المقابلة نصف ساعة جرى الحديث في خلالها على مواضيع مختلفة ثم استأذنا من جلالته بالسفر الى الساحل قبل أن يشتد هطول الامطار في موسمه

كان جلالة الامبراطور اليوم لابساً قفطاناً من قماش الشام فوقه برنس وعلى رأسه قبعة من الكاستور موضوعة فوق الكوفية البيضاء وفي رجله نصف حذاء من الجلد الاصفر

وبعد انصرافنا من القصر أخذنا في التجول بالمدينة لاعادة الزيارة الى بعض من زارنا ولم نتمكن من اعادةزيارته البارحة فزرنا رأس قوقسا زوج بنت النجاشي ورأس تسما . ورأينا في طريقنا حمامات حارة معدنية أقيمت عليها أكواخ خشبية فالذي يريد يدخل اليها ويستحم بأجرة زهيدة جداً كما ان كثيراً من الناس يستحمون في الخارج مجاناً والماء كثير يجري ويذهب ضياعاً

رأينا قرب منزل رأس قوقسا فتاتين مكبلتين من معصميهما بسلسلة واحدة من الحديد فسألت عما اقترفتاه من الذنب فقيل لي ان الواحدة هي المذنبة ولذلك كبلت بالحديد والثانية موكلة بحراسة المحكوم عليها بالعقاب فربطت مع المجرمة لاعتماد سيدها على أمانتها لتمنع هرب المذنبة . أما أنا فلم أجد فرقاً بالمعاملة بين المذنبة والحارسة!!

وفي الساعة العاشرة رأينا موكبًا فخمًا آتيًا الى منزلنا ولما اقترب منا رأينا أحد أكابر المستخدمين ووراءه أكثر من ستين رجلا يسحبون بضعة عشر بغلا على كل منها البرادع الجميلة . ولما وصلوا صعد الينا رئيسهم ومعه عشرة من رجاله يحملون معهم الحراب والسيوف وكساوي رسمية (كساوي تشريفة) حبشية ففهمنا أن النجاشي أرسلها لنا هدية وعلمنا أن الرجل الكبير يسمى اتوغنا ووظيفته أمين ملابس جلالة الامبراطور . فأبلغنا التحية الملوكية وأخذ يعلق بيده الوسامات التي أنعم بها جلالة الامبراطور على رجال الوفد السلطاني كل حسب رتبته كما انه سلم لنا البرات المكتوبة على رق غزال وسائر الهدايا الامبراطورية . واليك بيان درجة الوسامات والكساوي الرسمية (أي الرتب) التي أهديت الينا :

لي وسام خاتم سليمان من الدرجة الاولى والكسوة الرسمية الخاصة بالرؤوس (أي انه أنعم عليّ بهذه الرتبة) وتؤلف هـذه الكسوة أولا من الكسوة نفسها ومن رمحين وسيف وترس و بغل خاص بركوب الامبراطور مع برذعته

لطالب بك وسام خاتم سليمان من الدرجة الثالثة والكسوة الخاصة برتبة دزجماج (الكسوة ورمحان وسيف وترس و بغل من الاصطبل الامبراطوري)

لياسين جاويش وسام يعطى للضباط فقط وأسلحة بيضاء وحصان . كما أنه أرسل لكل من الجنود الخمسة الذين كانوا معنا بغلا وعليه برذعة . فلا تسل عن سرور هؤلاء الجنود من هذا الانعام وقد شربوا من مشروب (تيج) اظهارًا لسرورهم لانه يندر جدًا أن ينال الجندي من الامبراطور بغلا كمكافئة . ظهر لي أن البغال هنا مرغوبة أكثر من الخيل

وفي المساء حضر المتولي أعمال سفارة ايطاليا هنا وكتبة سائر السفارات لزيارتنا وأما سفير ايطاليا فانه كان توجه الى أوربا بينما كنا نحن في الطريق الى آديس آبابا وتقرر أن نقوم من هنا يوم الثلاثاء القادم أي بعد نهار غد لذلك كنا مشتغلين بتجهيز ما يلزم لذلك

يوم الاثنين ١٤ يونيو (حزيران) آديس آبابا

اعادة السفارات الزيارة — تقديم الاهالي المرضحال الشفهي للامبراطور — هل هذه مظلة أم ترس — مقابلتنا مع رأس ماكونن

——

وفي صباح هـذا اليوم ورد المستر هارينجتون سفير انكلترا وسكرتيره الاول لاعادة الزيارة لنا . وكنت أفكر قبـل أن أصل الى آديس آبابا أن ننزل بالعودة غربًا الى ساحل النيـل الابيض ونعود من هناك عن طريق فاشوده وأم درمان والخرطوم فالقاهرة فالاسكندرية بدلا عن طريق جيبوتي الذي أتينا منه . وقد فاتحت كثيراً من الناس الذين لهم علم بأحوال هذه الجهات فكان جوابهم كلهم بأنه ليس في الامكان الآن الذهاب بهذا الطريق لكثرة الامطار في هذا الموسم حتى ان سواحل نهر سوبات تستحيل الى مستنقعات لا يمكن العبور منها ولكن لما أعلمه من جراءة الانكليز واقدامهم على مثـل هذه الاسفار وعدم مبالاتهم بالاخطار وتحمل المشاق كاشفت المستر هارينجتون المومأ اليه بنيتي هذه فاستحسنها بيد انه قال كما قال الآخرون من الصعوبة الموجودة من موسم الامطار و بعد الشقة ثم قال « اذا كنتم مصرّين على الذهاب من طريق النيل فاني مستعد للقيام بكل ما في وسعي في سبيل راحتكم في الطريق فاني أرسل الآن رسالة برقية الى فاشوده ونستعلم عن مواعيد وصول وسفر الباخرة الصغيرة التي تمخر ذهابًا وايابًا بين النيل (وايتانغه) الكائنة على ساحل سوبات » فشكرت هـذا السفير اللطيف وعزمت على العودة الى جيبوتي عن طريق عصبوت المتوسط بين طريق ادال وطريق جرجر الا أنني تيقنت من اجماع كلام كل من أخـذت رأيه في العودة عن طريق النيل ان ذلك غير ممكن و ن المواصلات منقطعة تمام الانقطاع بين النيل الابيض وآديس آبابا مما يجعل السفر فيه

من رابع المستحيلات ، وقد حسبنا مع المستر هار ينجتون المدة الواجب قطعها من آديس آبابا الى محطة الرفاص بعد مراجعة الخرط وتعيين الاتجاه فوجدنا انه يلزم نحو ٣٥ — ٤٠ يوماً اذا كان الطقس جيداً واذا أسرع في السير وكانت الاحمال خفيفة فيلزم نحو ثلاثين يوماً

و بينما كان المستر هار ينجتون عندي جاء الموسيو لاغارد سفير فرنسا ومعه اليوزباشي موسيو مارتن ده كان والملازم موسيو قوللات وكلاهما من موظفي السفارة العسكر يين (ملحق حربي) فشاركونا في بحثنا بخصوص السفر بين آديس آبابا والنيل فصادقوا على كلام المستر هار ينجتون وعلى أرجحية وجوب السفر من طريق العصبوت

و بعد الظهر ذهبت الى منزل رأس ما كونن . و بينما كنت في الطريق رأيت نفراً من الناس نحو خمسين رجلاً واقفين على ربوة أزاء القصر الامبراطوري على بعد نصف ساعة منه وكلهم ينادون (جانهوي جانهوي) أي الامبراطور الامبراطور باعلى أصواتهم و يتخلل الاصوات بعض كلام ما كنت أفهمه و بعد قليل ورد أحد رجال الحاشية وأخذ منهم عرضحالهم . ولدى السؤال علمت ان هؤلاء الناس لهم مصلحة ير يدون ان يعرضوها على مسامع النجاشي

***

كنت وصفت في هرر المظلات ذات ألوان قوس قزح كما اني كنت تكلمت على بعض مظلات أخرى وطنية لا تغلق قط مصنوعة من عشب رفيع يستعملها هناك السيدات للزينة ليس الا . واليوم رأيت هنا مظلة غريبة وغليظة الشكل وأظن انها صنعت لتمنع البرد الكبير الحجم وهذه المظلة مصنوعة من أعواد شجر طولها ذراع ونصف وعرضها ذراع وليس لها يد و يمسكها الانسان من مقبض في وسطها كالتروس وتقوم مقام آلة دافعة عن صاحبها اذا هاجمه وحش كاسر

وصلنا الى منزل رأس ما كونن فاستقبلنا من الخارج كوكبة من الجنود واستقبلنا الرأس بكل اكرام واحترام وأخذ يشرح لنا سروره من مقابلته لنا اليوم وانه حضر

البارحة لزيارتنا في محل نزولنا ولكنه لم يجدنا . وهـذا الرأس على جانب عظيم من اللطف والايناس والتواضع والورع . شغف باكرام الضيف . وقدم الخدم لنا من المشروبات الوطنية والقهوة واللبن فشربنا البرز والقهوة وقد وجدت طعم للعسل المعمول منه البرز نفيساً جداً يعادل طعم العسل الذي كنت أكلته في أنقره ويشبه عسل الطائف أيضاً . ونفاسة هذا العسل ناشئ من جمع النحل الزهور ذات الروائح العطرية ولما علم الرأس اننا وجدنا البرز لذيذاً أرسل الى منزلنا بضع جرات من غير ان نعلم ذلك

وهـذا الرأس قريب الامبراطور وهو رجل مشهور بالذكاء والجرأة والاقدام والشجاعة وكلمته نافذة أكثر من كل الرؤوس ولذلك هو مرشح لان يكون امبراطوراً في المستقبل . وهو رجـل متوسط القامة نحيف الجسم وقور فاتح اللون طويل الوجه يلقي الرهبة والاحترام بقلب الناظر الى سيماه

والرأس ما كونن غني جداً ويميل لنشر العلوم والمعارف بين الناس وقد اشتهر بانه سياسي محنك عظيم كما انه جندي مقدام . ولكونه زار مراراً أوروبا واختلط باهلها له وقوف والمام بها وقد استجلب حب الاحباش واحترامهم له بما جبل عليـه من الشجاعة والورع والتقوى . كثيراً ما سمعت من جميع المسلمين الاحباش الذين رأيتهم وقابلتهم الثناء عليه . وقد بلغني ان بعض رعاع اليونانيين فيهرر كانوا في اثناء الحرب اليونانية العثمانية يؤذون المسلمين ويحتقرونهم والمسلمون يحملون ذلك بكل مضض وصبر . ولما حقت الكلمة على اليونان وانهزمت امام الجنود المظفرة العثمانيةقام المسلمون يزينون منازلهم ودكاكينهم ويدعون للحضرة السلطانية بمزيد النصر فلما رأى اليونانيون ذلك ذهبوا لعند الرأس ما كونن فشكوا أمرهم له وقالوا انما المسلمون يقصدون بذلك احتقارنا والحط بكرامتنا امام الناس فاجابهم الرأس (عندما كنتم تتعدون عليهم وتحتقرونهم ما كان أحد من المسلمين يرفع صوته ولا بكلمة واحدة ولما قاموا الآن يظهرون سرورهم بحق من غير ان يتعدوا عليكم أخذتم بالشكوى منهم انكم لقوم معتدون)

والرأس ما كونين متصف بالاخلاق الفاضلة الطيبة ولا يأكل ولا يشرب الا باعتدال وكان يحب زوجته المتوفاة حباً عظيماً جداً حتى انه لما توفيت عقد النية ان لا يتزوج من بعدها باخرى ولما كلفته الامبراطورة ان يتزوج احدى بنات ابن أخيها رأس وليه تمنع مدة ولكن لشدة اصرار الامبراطورة اضطر الى تزوجها وأتى بها الى هرر فمكث معها سنة كأنه أب لها وكأنها ابنة له وفي ختام السنة أخذها معه الى العاصمة محتجاً بانه لا يصلح للزواج وعلمت ان الامبراطورة اغتاظت منه لذلك جداً. وعمره لا يتجاوز الخمسين وكان ذهب في سنة ١٨٨٩ الى ايطاليا ليوقع على عهدة (أوقسيالي) من قبل الامبراطور . فزار هناك محلات كثيرة وأكثر ما نبه أنظاره الامور العسكرية والترتيبات والتعليمات الحربية ويوجد تحت حكم الرأس في مقاطعة هرر كثير من الصوماليين والقالليين وقد كان حارب بهم جنود توسللي الطلياني وهزمه شر هزيمة في واقعة امبا الاجي وأظهر من الشجاعة في حصار ماكالله وواقعة ادووا ما يفوق الوصف. بعد ان تكلمنا وتباحثنا في مواضيع مختلفة قمنا فمشى معنا الى ان أوصلنا الى الباب الخارجي أما رجاله وجنوده فانهم رافقونا مسافة طويلة في الطرق والشوارع . وعند رجوعنا الى المنزل وجدنا بطاقة زيارة من البارون روشيل حضر في غيابنا للزيارة وقيل لي ان هذا البارون كان يريد العودة الى بلاده عن طريق النيل ولكنه الآن عدل عن ذلك وانه سيذهب الى الساحل بدلاً من النيل . ووجدت بطاقة سفير روسيا الذي حضر لزيارتنا اثناء وجودنا عند الرأس ما كونين . انتهينا هنا من وصف الامبراطور والرأس ما كونين فيجب ان أسرد ما علمته في وصف بعض أركان وأعاظم الدولة الحبشية :

أمراء مقاطعة (شوا)

لما مات ناكلا ماتيو حاكم مقاطعة (غوجام) انتقلت في بادئ الامر كل أحكام هذه المقاطعة الى ولده داز اجاج بازاب وأعطي منها قسم صغير الى رأس منكاشا

آتيكم وقسم آخر الى دارجاج دامس ابن افانقوس

راس وليه لا كول

ان راس وليه هو أخو الامبراطورة تايتو ومن عائلة مشهورة في بلاد سه من مقاطعة تيغرى ويحكم على مقاطعات (جنفيو) و (زوبريل) و (أده لا) و (غوبينو) و (تالاتا) ولهذا الراس هيبة عظيمة في النفوس ووقار وهو مستبد في أحكامه حتى انه ألقى الرعب والخشية في قلوب رعاياه ولا يحب أهالي تيغرى. ويقال انه يأمل أن يكون امبراطوراً على الحبشة بعد منليك . ومع ذلك هو يحب شقيقة الامبراطورة و ينقاد لها تمام الانقياد حتى انه مع كرهه المشهور لاهل تيغرى زوج بنته الجميلة جداً حسب رغبة الامبراطورة الى رأس منغاشا يوحانس الذي هو من مقاطعة تيغرى . وهذا الراس مشهور بأنه أعظم عدو للطليان

راس منغاسا اتكيم

وهو الذي أخذ قسماً من بلاد غوجام و ينتسب لاكبر عائلة من عائلات صهيون التابعة لبلاد امحرا . الراس منغاشا حائز على تمام رضى الامبراطور وثقته واعتماده وله نفوذ عظيم وقدرة عجيبة ويحكم غير بلاد صهيون الاراضي الكائنة على أطراف بحيرة (تسانا) مثل (بايهمه در) بني بيعه ، خوانا وغيرها من البلاد . وسنه فوق الخمسين وله ثروة عظيمة ومشهور بالدهاء السياسي ومعروف بكونه رجلاً يوافق روح هذا الزمان . وقد حاز رضاء الامبراطورة أيضاً وله مكانة سامية جداً مع قلة عدد جنوده. حضر واقعة آدووا في مقاتلة الطليان

راس قوفسا

وهو ابن أخت الامبراطورة تايتو وزوج الاميرة وزرو زور يتو بنت الامبراطور

يوم الثلاثاء ١٠ يونيو (حزيران) مرحلة عقاقي

التلغراف والبوسته — الرجوع من آديس آبابا — مطر شديد

كنت قلت انا عزمنا على القيام من هنا الى الساحل هـذا اليوم وقد أرسلت هذا الخبر الى الاستانة على لسان البرق. وللتلغراف من آديس آبابا الى أوروبا خطان الاول خط الحكومة وهو الذاهب من العاصمة الى هرر فدريدوه فجيبوتي فبريم فاوروبا وأجرة كل كلمة الى أوروبا على هذا الخط خمسة فرنكات والى هرر ستون فضة صاغ والى جيبوتي ثلاثة قروش والثاني خط التلغراف الطلياني الذاهب الى اسمرا حيث ينقسم الى قسمين الواحد يذهب الى مصوع ومن هناك الى أوروبا عن طريق بريم والثاني يربط عاصمة الحبشة باوروبا عن طريق كسلا والسودان المصري والقاهرة والاسكندرية . والاجرة الى أوروبا على خط مصوع ثلاثة فرنكات عن الكلمة واثنان وستون سنتيما ونصف سانتيم وعلى خط كسلا ومصر فرنكان وخمسة وأربعون سانتيماً . وأنا أرسلت تلغرافي على هذا الخط الاخير . وللحكومة والسفارات الاجنبية برد تذهب وتأتي بين الساحل والداخل . لكن لعدم تغيير الرجل الذي ينقل حقائب البوسته وبغاله اثناء الطريق يحدث بطاءة في نقل البرد . وقد تكلمت مع أحد السفراء بهذا الخصوص فاجابني (عنـد ما يعرف الاهالي في الحبشة قيمة الوقت ويقدرونه حق قدره حينئذ تؤسس خطوط بريد سريعة)

**

حضر عندي صباح اليوم الموسيو ايلغ لوداعنا وبعد ان بلغني تحية النجاشي والامبراطورة سلمني كتابهما لجلالة مولانا السلطان الاعظم وجوازاً خصوصياً مختوماً

نخم جلالة الامبراطور يأمر مستخدميه ورعاياه في طريقنا ان يكرمونا أينما نحل ونذهب. ثم حضر الملحق العسكري في السفارة الفرنسوية وكثير من الاعيان وغيرهم لوداعنا

كان ترتيب بغالنا والمكارية هـذه المرة بواسطة أحمد أفندي الذي عمل كل ما في وسعه في سبيل راحتنا في الطريق كما انه أخذ الشروط على المكارية ان يكونوا رهن اشارتنا وان نمشي حسب رغبتنا لا حسب رغبتهم . وقد عزمنا هـذا اليوم ان ننزل بمنزل أحمد أفندي الموجود في (العقاقي) لان المرحلة الاولى في الاسفار تكون عادة قصيرة فلذلك أرسلنا العفش والامتعة الى هناك قبـل ان نقوم من هنا . وكان هـذه المرة بين البغال جملان وذلك لتحميل الحقائب الكبيرة المعمولة من الجلد لاننا وجدناها ثقيلة جدًا على البغال خصوصاً واننا سنذهب على طريق عصبوت الذي تمشي عليه الجمال بخلاف طريق جرجر

قمنا اليوم الظهر الى العقاقي المذكورة وقد ركبنا على البغال التي أهداها الامبراطور لنا . ولم نكد نسير قليلاً حتى أخذت الامطار تنهمر واستمرت هكذا حتى وصلنا الى العقاقي العصر ودخلنا في المنزل الموجود هناك انتظارًا لوصول العفش والصناديق والخيام التي صادفناها في الطريق فسبقناها . وهذا المنزل عبارة عن كوخ كبير طوله خمسة عشر مترًا وعرضه عشرة أمتار

وجدنا في العقاقي بضعة نفر من الخدم والعبيد وكان أحمد أفندي أرسلهم ليقوموا بخدمتنا ويجهزوا الطعام لنا . وبعض هؤلاء العبيـد يتكلمون باللغة الفاللية والبعض باللغة الامحرية . ووجدنا هنا كثيرًا من المعز والبقر هربت الى هذا المحل من كثرة الامطار . جلست على سد عال أقيم داخل الكوخ وأخذت أنزه الطرف على ماحول الكوخ وأنظر العبيد المشتغلين بطهي الطعام وتنظيف بغالنا والجنود والخدم المشتغلين بربط سيور طويلة من أحـد عواميد الكوخ الى آخر لينشروا عليها أرديتهم المسماة (شما) المبتلة من المطر . وكان معنا قردان من الجنس الصغير كان كل منهما محمولاً على بغل فلما وصلنا الى هنا وتركناهما أخذا يظهران سرورهما من تلاقيهما وصارا

يتماتقان ثم جلس الذكر يفلي الانثى . وقد ظننت نفسي من هذه المناظر الغريبة أني في سفينة نوح والمطر المتواصل بشدة ربما كان يشبه طوفان نوح . وكنا كلنا أي جميع رجال القافلة مع بغالها تحت سقف واحد وهو سقف هذا الكوخ . وسيرجع بعد يومين النظام والانتظام كما كان في الذهاب الى آديس آبابا لانه لا بد من حصول عدم انتظام في أول مرحلة

و بعد قليل وردت الخيام ولكن لم ترد أعمدتها فلذلك نصبت خيمتي الصغيرة خارج الكوخ ووضعنا كثيرًا من الحشائش المجففة على التراب المبلول داخل الخيمة ثم فرشنا عليها البساط وأخذت أجهز ما يلزم أن يكون معنا في اليوم التالي وأضعها في الحقائب الصغيرة

كان طعامنا هذا المساء من لحوم البقر والعجول والدجاج والخضر والارز ونوع من الفطير والحلويات ضمن علب من صفيح

علمنا ان أحمد افندي البارحة كان أقام هنا وليمة لمائتين وخمسين شخصاً خرجوا من العاصمة لاستقبال أحد الاعيان المسلمين فقام عبيد احمد افندي بخدمة كل هذا الجمع واطعامهم فذبح لهم بضعة عجول و بضعة خراف. وهنا يجب أن أقول ان الجواري السود في الاستانة في سعادة عظمى بالنسبة لحال الجواري هنا ولو رأى جواري الاستانة تعاسة هؤلاء لحمدن ربهن على حالهن مائة الف مرة. ان الجواري هنا ليس لهن راتب لا سنوي ولا شهري فهن يشتغلن ويخدمن أسيادهن بغير أجر الا ثوبين في السنة وما يأكلنه

استمر المطر بشدته طول الليل وانما لم ينفذ من خيمتي الصغيرة ولكن أقلق صوت سقوط المطر على الخيمة منامي فلم يتركني أنام براحة وقضيت الليل بالتكلم مع يس چاويش

يوم الاربعاء ١٦ يونيو (حزيران) مرحلة (دوبي)

— —

قمت من سريري قبل بزوغ الشمس وانتقلت الى الكوخ فوجدت النيران مشتعلة وعليها القهوة واللبن فأخذنا نتناول القهوة واللبن ونفطر بينما كان المكارية يحملون العفش وورد كثير من الناس للوداع وكان بينهم احمد افندي وابو بكر افندي فودعناهم وأخذنا نسير ووجهتنا محل يقال له (دوبي) للمبيت فيه

اضطرينا أن نسوق جمالنا من طريق طويل غير الطريق الذي نزل منه البغال في وادي العقاقي لانه يصعب على الجمال السير فيه . وكان الطريق كثير الاوحال حتى ان البغال كانت تغرز رجليها قريباً من الركبة في الوحل الذي كان لزجاً مثل الصمغ فيلصق بعض الاحيان على رجل البغل فيكون كأنه قطعة واحدة مع رجله . اني لم أر في عمري تربة جيدة قوية لزجة كهذه . وصلنا بعد مشاق وصعوبات عظيمة الى (تيحكى دنسا) الساعة الثانية بعد الظهر ونزلنا قرب نهر صغير وتحت ظل شجرة كبيرة لتناول طعام الغداء . ولم يمض قليل الا وورد كثير من نساء و بنات الغرو بين الاحباش لبيع ما معهن مثل الطالا والخبز والشمير والدقيق وغيره . وقد وضعن هذه الاشياء في أجربة من جلد الماعز وقد رغبن ان يأخذن ثمن ما يبيعنه لنا خراطيش بنادق بدل الدراهم فاشترينا شعيراً لاجل البغال ودقيقاً وخبزاً لاجل الجنود والخدم . و يستطيع الانسان أن يشتري ثلاث أقات من خبز انجرا بخرطوشة واحدة من خراطيش بنادق (غرا)

و بينما نحن كذلك اذ أخذت الغيوم تتلبد ثم لمع البرق وقصف الرعد وأحاطت بنا الحشرات والهوام مثل أبو دقيق والخنافس والنمل والعناكب وما أشبه من كل

جانب حتى كانت تدخل في حقائبنا الصغيرة ولم يمض الا بضع دقائق حتى أخذت الامطار تهطل . فمكثنا هنا ساعة ونصف ساعة ثم استأنفنا السير . وكانت البغال الحاملة للعفش والصناديق قد مرت من النهر عند ما نزلنا نحن هناك للاستراحة وأمرت المكارية وقتئذ أن يستمروا بالسير دون أن يقفوا في محل واننا سنلحق بهم بعد قليل. ولكن لما عبرنا النهر وسرنا قليلاً وجدنا هؤلاء المكارية أنزلوا الاحمال عن البغال ونزلوا هناك خلافاً للامر ووضعوا الصناديق فوق بعضها وأرسلوا البغال ترعى في المراعي وجلسوا هم يستريحون تحت الخيم ظن هؤلاء أني اذا وجدتهم على هذا الحال لا يمكن أقول لهم قوموا لنسير والمطر نازل فيكونوا على زعمهم قد فازوا بالاستراحة في محل جميل مثل هذا . ولكن لما وصلت لعندهم قلت لهم بجد (انكم نزلتم في غير محل النزول فهيا بنا الى دوي التي هي امامنا فها أنا سابقكم اليها فعليكم ان تلحقوا بي من غير مهل) و بعد ان قلت ذلك سرت الى الامام فاضطر المكارية ان يحملوا البغال و يستأنفوا السير ولو لم أصنع هكذا لتمردوا فيما بعد فلا أتمكن من تنفيذ كلمتي بينهم سرنا ساعة ونصف ساعة ووصلنا الى (دوسي) فجلسنا هناك على صخور مرتفعة وعلينا ملابس المطر (المشمع) وبايدينا المظلات ننتظر وصول البغال والاحمال والخيام . و بعد قليل وردت البغال ولكن تأخرت الجمال فارسلنا من يستعجلها

اصطدنا هنا أوزة برية بقدر الديك الرومي (الحبشي). ولم نجد هنا من الحطب ما يكفي لتسخين طعامنا فاضطررنا ان نحضر طعامنا على جلة البقر . ثم وصلت الجمال بعد الغروب فنبهت على الجمالة ان يحملوا قيامهم بعد الآن قبلنا فقام الجمالة مبكرين وقمنا نحن الضحوة الصغرى . لم ينقطع أصوات الذئاب والضباع طول هذه الليلة من أطرافنا ولكنها لم تكن لتجرأ على الاقتراب لوجود النار مع ضعفها . وكانت قافلة أخرى نزلت قربنا فخرج أحد بغالها عن دائرة المنزل أي النيران فهجمت عليه الذئاب وقطعت من فخذه قطعة كبيرة ولم ينج من أنيابها الا بصعوبة ورأيت هذا البغل بعيني

يوم الخميس ١٧ يونيو (حزيران) مرحلة منابللا

القرود — الاجران — (البيادر) عند الاحباش

—

وصلنا قبيل الظهر الى رأس نهر (جنقوره) الاول اعتباراً من جهـة (بالجي) وجلسنا ننتظر بغال الاحمال التي تخلفت وراءنا وأرسلنا بغال الركوب الى المراعي لترعى وجلسنا نحن على مرتفع من الارض قليلا فتناولنا طعامنا وأخذنا نستريح قليلا و بينما نحن كذلك اذ ورد علينا رجل حبشي و بيده ربابة ذات وتر واحد وجلس أمامنا وصار يضرب عليها فقمت وأحضرت عدة الفوتوغراف لاخذ رسمه فسر لذلك جدا وزاد معه الشوق للغناء فأخذ يغني ظناً منه أن العدة تأخذ في آن واحد رسمه وصوته

واستأنفنا السير بعد ساعة فوصلنا الى نهر (بوركا) الساعة الثانية بعدالظهر ونزلنا تحت الشجرة التي كنا نزلنا تحتها في الذهاب الى آديس آبابا للاستراحة والاستظلال

و بينما نحن جالسون هنا اذ وردت أسراب من القرود على الشاطئ الآخر من النهر لتشرب فلما رأت القردين معنا صارت تصرخ بأصوات عجيبة فكأنها كانت تحرض قرودنا على الفرار . لان هذين القردين لما رأيا القرود الاخرى وسمعا أصواتها أظهرا الرغبة بالتخلص من السلاسل والجري نحوها

مكثنا هنا مدة ثم قمنا نسير بعد أن أخذنا حاجتنا من الماء اللازم لنا أثناء الطريق ضمن صفايح . واصطدنا هنا أربعاً من الدجاج البري المسمى (بيج) بطلقتين. والصيد هنا كثير جدا من الاوز والدجاج البري والغزلان والارانب فلذلك ما كنا نرضى أن نصطاد بطلقة واحدة مصيداً واحداً

• ولما وصلنا الى أول قرية من قرى (منجار) رأينا منظرا غريباً ذلك أن بعض الزرو بين الاحباش كانوا يشتغلون بدرس ما حصدوه من الغلال الموجودة في الاجران

فكان الجرن (البيدر) مؤلفاً من دائرة صغيرة يدور عليها نورج مصنوع من بضعة قرون من قرون البقر وعلى الجرن جملة من الفتيان والفتيات بيدهم العصي ينطون ويحركون رؤوسهم الى الشمال والى اليمين ويضربون حزم الغلال الموجودة بأيديهم وهم يغنون كلهم بصوت واحد . فوقفنا نتفرج على هؤلاء مدة وأخذنا رسمهم بعدة الفوتغراف ثم استأنفنا السير ووصلنا قبيل الغروب الى منابللا حيث نزلنا للاستراحة قليلا

يوم الجمعة ١٨ يونيو (حزيران) مرحلة تاديجامالكا

لعدم وجود الماء في المسافة التي سنقطعها من هنا الى ان نصل الى (تاديجامالكا) اشترينا قدرة من القدور التي تسع أربعين أقة من مشروب (طاللا) وخصصناها للخدم والجنود وأعطيناهم قدحاً من الزجاج لاجل الشرب بها ولكنهم استصغروها لانهم يريدون ان يشربوا من فم القدرة حسب استطاعتهم كما ان كل واحد منهم يريد ان يكون أول الشاربين . ولكن يس جاويش جمعهم وأوقفهم كما يوقف الجنود على نظام واحد وصار ينادي كل واحد بدوره ويسقيه فكان البعض منهم لا يريدون ان يفارقوا القدرة . ولم يمض بضع دقائق حتى فرغت القدرة ولم يبق فيها شيء . وحب هؤلاء الاحباش لشرب (طاللا) و (تج) يفوق حب الالمانيين لشرب البيرا

وصلنا قبيل الظهر الى (جوبا) فالفينا كوخاً فيه موظفاً من قبل الحكومة وظيفته رؤية جوازات المسافرين . فلما رأى جواز الامبراطور الخصوصي المختوم بختم الامبراطور الكبير وضع يديه على صدره وانحنى حتى وصل رأسه الى الارض تقريباً . فرشنا البساط هنا تحت ظل بعض الاشجار وجلسنا للطعام والراحة . وبعد قليل وصلت بغال الاحمال وكانت على جانب عظيم من التعب ومن قلة الماء وشدة الحر . وقمنا من هنا قاصدين نهر (تاديجامالكا) فوصلناه مساء . ولا تسل عن حالة البغال التي أنهكها التعب وعدم شرب الماء حتى انها لما وردت الماء ظننت انها ستشرب طول يومها وليلها . وأما القرود التي كانت معنا فكان واحد منهما معنا فكنا نعطيه من حين لآخر شيئاً من الماء ومع ذلك لما رأى النهر صار يصرخ كمن مسه الجنون وألقى بنفسه في الماء وصار يشرب . وأما رفيقته وهي الانثى فانها كانت بقيت مع الاحمال فلم ينتبه اليها أحد فماتت من العطش

واضطررنا ان نصعد من هذا الوادي الى سهل جبلي يبعد سبعمائة متر عن الماء فنزلنا في محل فيه حاجتنا من الحشائش والنباتات الجافة و بعد ان نزلنا الاحمال عن ظهور البغال أرسلناها ثانياً الى النهر تشرب الماء براحة لان البغال كانت في غاية من التعب مع قلة الشعير معنا وقلة المراعي فاضطررت الى البقاء هنا لحد الظهر من نهار غد. ومع ذلك كنا نقطع في سيرنا ضعف المسافة التي كنا نقطعها في الذهاب الى آديس آبابا وذلك لنتمكن من الوصول الى جيبوتي في أواخر شهر يونيو (حزيران) حتى نركب الباخرة التي ستقوم منها في أواخر هـذا الشهر . ولا نضطر للانتظار في جيبوتي خمسة عشر يوماً ولا يخفى انه يصعب على الانسان ان يقضي يوماً واحداً في الثغر المذكور من شدة الحر فما بالك اذا كنا مضطرين لمكث نصف شهر حيث يمضي اليوم على الانسان كقرن

عصفت الليلة رياح شـديدة فلم نتمكن من نصب الخيمة الكبيرة فاكتفيت بالخيمة الصغيرة وقد أمطرت السماء طول الليل وكان فكري مشغولاً جداً لعدم وصول جمالنا من المحل الذي تنزل فيـه . وفي الليل ضاع أربعة من بغالنا ثم اهتدى اليها المكارية بعد البحث

السمسم ثم جعلوا فيه الماء حتى صار أشبه بالبوزا المعلومة فشربوها كلها وعلمت ان هذا المشروب يدفع الجوع والعطش في آن واحد . وقداشتد الحر على طريقنا فعطش رجالنا خصوصاً الخدم وكانوا كلما مر بنا مسافر يسألونه هل امامنا ماء . لانهم ليسوا بمتادين ان يحملوا الماء في كيزانهم بل يشربون عند ما يجدون الماء . ويصبرون على العطش اذا لم يجدوه

وصلنا الى (فنطالي) عند الغروب فوجدنا هناك قليلاً من ماء المطر المجتمع في بعض حفر الوادي فشرب رجالنا منه ولم يمنعهم ركود الماء ووجود الحشائش فيه من الشرب لان معدة هؤلاء الناس متناسبة مع سائر أقسام جسمهم فالشمس مثلاً لا تضربهم وجروحهم تبرأ بسرعة ومعدتهم تهضم كل شيء حالاً . وانما يخافون من الحشرات السامة جداً . لان حشرات هذه البلاد مؤذية جداً بل هي قتالة . وقد حدث اليوم قبل ان نقوم من محل نزولنا ان الرجال الذين كانوا قرب محل المطبخ أخذوا يصيحون وهم يكررون كلمة (غند غندغند) . فهرولت لاستطلاع الخبر فعلمت انهم وجدوا عقرباً كبيرة فقتلوها . وقيل لي ان هذا الجنس من العقارب يقتل الانسان عقب لسعه اياه أي انه سام جداً . ولونه مائل للصفرة . وكنت رأيت من جنسه في (وان) وسمعتهم يقولون هناك انه سام جداً

دهمنا الليل ونحن في الطريق فلشدة الظلام الحالك اضطررنا ان نوقد الفانوس فحمله أحد الخدم ومشي امامنا واستمرينا هكذا حتى أشرق القمر وأنار الفلوات والغياض بنوره . ونزلنا في الساعة الرابعة بعد الغروب في محل كثير الكلاء والنباتات بعيد عن المحلات المسكونة واقع في الخلا ولشدة هبوب الرياح اضطريت ان أصرف النظر عن نصب الخيمة الكبيرة والاكتفاء بالخيمة الصغيرة فوضع بركن منها سريري وبالركن الآخر سرير طالب بك وكلفنا يس جاويش ان يفرش لنفسه في وسط الخيمة وينام هناك ولكنه لم يشأ ذلك بل نام خارج الخيمة . وكان طالب بك وضع فردة من جعبته الصغيرة (الخرج) وراء محل وضع الوسادة حيث أسند سريره

عليها فكنا نسمع طول الليل حركة خفيفة وراء الحقيبة فظننا ان الارياح تخبط بذيل الخيمة على الحقيبة ولم نعلم السبب الحقيقي الا في الصباح حيث وجدنا بين السريرين ثعبانًا ذا سم شديد فلما رآنا انسل الى وراء الصندوق و بينما كنا نشتغل لاخراجه من هناك عثرنا على عقرب من الجنس الذي رأيناه البارحة فقتلناها كما قتلنا الثعبان . وعلمنا من ذلك اننا نزلنا في الظلام في محل فيه أوكار هذه الحشرات المؤذية فكان الله حافظًا لنا كما ان يس جاويش أصاب جدًا في عدم الرضاء بالمنام داخل الخيمة على الارض . ووصلت جمالنا بعدنا بخمس ساعات فامرنا بان تستمر في سيرها الى (قاچانواها) بدون ان يقفوا هنا

يوم الاثنين ٢١ يونيو (حزيران) مرحلة لقامعو

قبائل الايتو يتزوج الواحد منهم ثماني نسوة — مطر شديد

—

كنت في الليل وضعت مقداراً من الفاصولية ضمن جردل ليتل وأوصيت الطاهي أن يطبخه لاجل الخدم والجنود . وكان هؤلاء يعلمون ذلك فلما أصبحوا أخذوا الفاصولية من الجردل ووضعوها على قصعة كبيرة وجلسوا على أطرافها وأخذوا يأكلون الفاصوليـة وهي نيئة كما يأكل الانسان الحمص المقلي ولم يمض بضع دقائق حتى أكلوها ولم يذروا منها حبة واحدة

ما كنت تمكنت من رؤية الاراضي في هذه الجهات من الظلام. والآن وجدت الاراضي كلها خضراء على مد النظر وكلها مستورة بالادغال والعوسج . وأما الاشجار فانها كانت قليلة ومتفرقة . وجدت هذه الاراضي قابلة للعمران والسكن . قمنا من هنا الضحى وأخـذنا نسير في أراضي تشبه الاراضي التي وصفتها الآن وانما كان يقاطعنا من حين الى آخر تلال صغيرة غير عالية خفيفة الميل . وهنا يصادف الانسان بعض الزنوج المعروفين باسم (ايتو) وهذه الطائفة لا تقطن محلاً واحداً معـلوماً بل انها ترحل دائماً من محل الى آخر بمواشيها وأحمالها . ويتعيشون بألبان سوائمهم ويسترون عورتهم بقطعة قمـاش (فوطه) ويضعون فوق الكتف أيضاً فوطة أخرى ويتركون ما بقي من أجسامهم عارياً عن الملابس . وهم متوحشون تقريباً ومنظرهم مخيف ولا يدينون بدين وعندهم تعدد الزوجات حتى ان الرجل يمكنه أن يتزوج بقدر ما يستطيع على اعالته من النساء أي انه اذا شاء أن يتزوج ثمـانياً في وقت واحـد فله ذلك . وأسلحتهم عبارة عن حربة بيدهم وخنجر يحملونه في أوساطهم . وهؤلاء الناس ليسوا من الاحباش بل انهم قوم مستقلون بالجنسية عن غيرهم

وبعد الغروب بساعتين أطلق عثمان أحد الجنود وكان سائراً امامنا بندقية اشارة الى اننا وصلنا الى الماء . فنزلنا هناك ولكن علمنا فيما بعد ان هذا المحل ليس قريباً من الماء كما توهم عثمان الذي لا أخاله الا تعب وأراد أن ينزلنا ليستريح هو وبغله . فاضطررنا أن نرسل الخدمة ليأتونا بالماء بالصفائح من النهر الذي كان اسمه (لقامعو) تناولنا عشاءنا ثم ذهب كل منا الى السرير طلباً للراحة والنوم وجلس النوبتجية على أطراف النيران المشتعلة يحرسون القافلة

وفي الساعة الرابعة بعد الغروب نزلت الامطار منهمرة ولكن هذه المرة لم تدخل المياه في الخيمة لانني كنت من المساء جعلت الخنادق التي تقام على أطراف الخيام عميقةً لتمنع دخول المياه الى الخيمة

يوم الثلاثاء ٢٢ يونيو (حزيران) في الاحراش

لقامعو — مياه مولون — حيوانات برية كثيرة — رفص من البغل — ضعنا في الاحراش

———

كانت الشمس اليوم تشرق مرة وتغيب أخرى تحت جنح الغيوم . وأما أمطار الليل الشديدة فانها بلت أكثر حوائجنا حتى ان أغلب الخراطيش التي كانت معنا انتفخت من الرطوبة فصارت لا تدخل في البندقية لذلك فحصناها كلها فحصاً دقيقاً لنعلم الرديء من الطيب . ولم يكن معنا من الخيام الحبشية الا واحدة أتينا بها من آديس آبابا والباقي كانت كلها من صنع الاستانة فلذلك ما كانت تحمل شدة أمطار هذه البلاد

جلسنا للطعام وجلس أيضاً الجنود والخدم في محل آخر ليأكلوا طعامهم الذي كان مؤلفاً من عصير الفلفل الاحمر حيث يغمسون فيه الخبز ويأكلونه . انتظرنا هنا الى قريب الظهر لتجف خيامنا وملابس خدمنا وجنودنا . ثم استأنفنا السير فوصلنا بعد ساعة ونصف الى ماء (لقامعو) فعلمنا حينئذ ان الماء الذي أتى به رجالنا البارحة كان من بعض غدران تجمعت فيها مياه الامطار

ونهر لقامعو ينبع من جبال (چرچر) وينصب في نهر اواش ويكفي ماؤه لادارة حجر طاحون . وكان سيرنا من (چوبا) في أراض غير مسكونة وخالية من الزرع فما كنا نصادف في طريقنا ضياعاً ولا قرى ولا مزارع . وبعد ساعتين ونصف وصلنا الى نهر مولون الذي ينبع من (قونى) ويجري نحو أراضي (أوغادن) ويغور هناك في الرمال ولا يمكن أن أصف ما تعطيه المياه الجارية هنا للانسان من الانشراح والسرور لان هذه الاراضي قاحلة جرداء . نزلنا على ضفاف نهر (مولون) وتناولنا غداءنا تحت الاشجار الجميلة . وكان منظر النهر جميلاً جداً يشرح الصدر لسرعة جريانه وطيب صوت خريره مع الطراوة

على شكلها الطبيعي ثم أخذت أعين تقريباً النقطة التي نحن فيها على نور الشمعة . فسألتهم عن الجهة الواجب اتجاهنا نحوها فأروني بأيديهم جهة من الجهات فعلمت انهم يمكن أن يعرفوا الطريق عند بزوغ النهار وعزمت على قضاء الليل في الغابة ونزلنا تحت شجرة جسيمة وربطنا بغالنا على جذوعها وذهب أبو بكر ورفاقه الجنود وأتونا بكثير من الحطب والحشائش اليابسة فوضعنا بعض الحشائش على الارض ثم فرشنا عليها البسط التي كانت معنا ورحال البغال ووُضعَ جانب من الحشائش أمام البغال وأشعل الخدم النيران حولنا لندفع أذى الحيوانات الكاسرة التي كانت بكثرة في هذه الغابة و بعد أن أتممنا هذه الاعمال أحصينا الموجودين هنا فكنا ثمانية أنا وطالب بك ويس جاويش وأبو بكر وعمر وجمعه وحسن وادريس وفحصنا بنادقنا فوجدناها على ما يرام وعندنا كثير من الخراطيش وبذلك اطمأن بالنا نوعاً ولو من جهة أذى الحيوانات المفترسة . ولكن الذي أزعجنا عدم وجود شيء نأكله اذ لم يكن موجوداً في السبت الذي كان فيه أكل الظهر الا قليلاً من خشاف العنب ضمن قارورة وقليل من البن . ووجدنا غير ذلك علبة بسكويت في خرج يس جاويش وعلبة من مرق اللحم في حقيبتي . وأما الماء فانه كان متوفراً في كيزاننا . ومما زاد حالتي حرجاً الالم الذي كنت أحس به في ذقني وفي صدري من رفصتين كنت تلقيتهما من أحد بغالنا قبل الخروج الى الصيد. ولو كان البغل محدياً بالحديد حسب عادات بلادنا لكانت هاتان الضربتان كسرتا فكي وصدري فلذلك كنت محتاجاً للراحة أكثر من سائر رفاقي

جلس الخدم يتناوبون حراستنا وأما نحن فوضعنا علينا أرديتنا فنمنا بقدر ما تسمح به حالتنا هذه . وكان من حسن حظنا أن كان الجو صافياً فلا خوف من المطر والزوابع . وفي نصف الليل صعد أحد المكارية واسمه عمر على شجرة فأطلق عياراً نارياً فسمعته قافلتنا وأجابته بطلق بندقية ففهمنا أننا لم نكن بعيدين عن قافلتنا ولما أصبحنا ذهب أبو بكر وجال في أطراف الغابة للبحث عن الطريق فعاد ونحن نشرب القهوة ومرق اللحم و بعد ذلك قمنا ولم تمض ساعة حتى التحقنا بقافلتنا فالحمد لله على السلامة

يشرب هذا القطيع وينسحب يتوجه راع آخر الى قطيع غير القطيع الاول فيناديها فتأتي كالأولى وتشرب ثم تنسحب ويأتي الدور بعـدها لغـيرها وهكذا الى آخره بحيث تشرب كلها من غير ان يزاحم قطيع قطيعاً . وبينما نحن جالسون هنا سمعنا صوت بعض الطيور بشكل غريب فصوت الواحد يشبه الطفل الذي يبكي ويصرخ والثاني يخرج منه بآلآت متعددة حيث يسمع الانسان حروف با با با با بكل فصاحة. والطيور في الحبشة مشهورة بأنواعها وجمالها وكأنها خاصة في هذه الاقطار فقط . وقد كان الموسيو شمبير الالماني المشهور بمباحثه وتدقيقاته الفنية أرسل من نباتات الحبشة الى جنائن النباتات في برلين وباريس ولوندره سـتة آلاف صنف من النباتات غير المعروفة في هذه العواصم والبلاد الغربية والماني آخر كان قد اصطاد كثيراً من الطيور التي توجد في هذه البلاد وأرسلها الى العواصم المذكورة بعد ان صبرها

أقمنا تحت الشجرة في ايلا بللا ثلاث ساعات ثم استأنفنا السير فوصلنا الساعة الثانية بعـد الغروب الى محل يقال له (اربرغوط) ونزلنا على هضبة قليلة الارتفاع تبعد عن الماء مائة متر وأشعلنا النيران على أطراف القافلة حسب العادة وبعد تناول الطعام انسحب كل منا الى منامه ولم يبق ساهراً الا النوبتجيـة القائمون بحراسـة القافلة والنار

يوم الجمعة ٢٥ حزيران (يونيو) مرحلة توما

السلحفاة الكبيرة الجسم

لما أصبحت أخذت أعاين الاطراف والاكناف فوجدت الحرارة شديدة على أطراف محل نزولنا رغم طراوة الصبح ولكن كان الهواء على حافة النهر طرياً ومعتدلاً لوجود الماء وكثرة الاشجار الباسقة النامية على حافتي النهر . والماء هنا كان رائقاً . ويوجد بالقرب من هنا مزارع للحاج محمد أخي نقد رأس أبو بكر ومزارع أخرى ملك أحمد أفندي عبد القادر الجداوي ويخرج منها العنب والبن والموز وقصب السكر وفاكهة تشبه الكباد تسمى باباي وغيره من الفواكه وهي مساعدة لزرع أنواع الحبوبات أيضاً . ويريد أصحاب هذه المزارع أن يرقوا أعمالهم فيها ويقوموا بكل ما يستوجب كثرة الاستغلال ولكن تسلط قبائل عيسا المتواصل يضرب على أيديهم. والمياه الجارية في المزارع المذكورة كثيرة جداً تجري من غير فائدة في الاراضي حيث يمكن تأسيس مدينة عظيمة ببساتينها وكرومها ومزارعها

اننا من يوم قيامنا من آديس آبابا الى هذا اليوم قطعنا مسافات كبيرة فصارت بغال الاحمال والركوب في حالة سيئة من التعب حتى صار بعضها لا يقدر على مشي خطوة واحدة . ولم يبق بيننا وبين دريدوه التي هي آخر محطة السكة الحديد الممتدة من جيبوتي الا مرحلتين لذلك رأيت ان نبقي في مزرعة أحمد افندي صناديق الذخائر وبعض الحوائج التي لم يبق لها احتياج وان نستأجر من هنا بعض البغال اللازمة لنا حتى نصل الى المحطة المذكورة ومن جملة ما تركناه هنا كثير من البصل والثوم وكان الخدم وقتئذٍ مشتغلين بمص قصب السكر فلما رأوا البصل وعلموا انه سيترك هنا لعدم لزومه أحاطوا به وصاروا يأكلونه كما يأكل الانسان أحسن الفواكه فلما رأيتهم استرسلوا في أكله منعتهم خوفاً من أن يتسلط عليهم العطش في الطريق

قمنا من هنا قبل الظهر بساعة تقريباً وكان معنا أحد عبيد محمد افندي المار ذكره المسمى (فدا) ووصلنا في الساعة الخامسة ونصف الى محل يسمى (أرير) وكان الحر شديداً جداً في الطريق . ولما وصلنا (أرير) هذه سررنا جداً اذ وجدنا فيها الماء اللذيذ الصافي يتدفق في نهر صغير وعلى أطرافه الاشجار الباسقة وتحتها الظلال المنعشة ونزلنا تحت شجرة من هذه الاشجار وأخذ كل منا يستحم في الماء البارد بينما كان الطاهي يهيئ الطعام . واضطريت ان ألبس بعد الاستحمام ملابسي التي كانت عليَّ مقلوبة لانه لم تكن يدي تطول الملابس النظيفة . وهذا هو أحسن ما يمكن عمله اذا لم يكن عند الانسان ملابس نظيفة

وفي هذه الاثناء وردت بغال الاحمال فشربت واستمرت في سيرها من غير ان تنزل هنا . رأيت في (أرير) بضع راعيات جميلات جداً جالسات قرب القافلة مع قطعانهن . وكان القسم الأعلى من أجسامهن عارياً من الملابس فوجهت عدة الرسم عليهن ورسمتهن من غير ان يعلمن ذلك . يوجد هنا بضعة عشر كوخاً ولكن هذا العدد قليل جداً بالنسبة الى خصب الارض واستعدادها لتأسيس بلدة عظيمة عامرة فيها . ومع وجود الماء والمراعي والاراضي القابلة للزرع لا يلتفت السكان الى الفلاحة بل يعيشون السوائم فقط

قمنا من هنا في الساعة الثانية ونصف بعد الزوال ووصلنا قبل الغروب بساعتين الى وادي كرمام حيث يوجد بعض آبار محفورة على مجاري السيول . واستمرينا بسيرنا بعد ان عوضنا من الآبار الماء الذي كنا صرفناه في الطريق وسقينا بغالنا . ان الحر اليوم كان شديداً والذي زاد الطين بلة حلاوة الدقيق التي أكلناها على طعام الغداء فانها زادت حرارتنا فاضطرينا للشرب من الماء كثيراً

وقبيل الغروب وصلنا الى محل يبعد كيلومترين عن سفوح جبل توما حيث وجدنا القافلة نزلت هناك فنزلنا نحن أيضاً . ولم يكن يوجد في هذا المحل شيء من الكلاء سوى بعض جذور النباتات التي اكتفت البغال برعيها . ولو لم نكن أعطيناها في غوثا

عليقاً كافياً من الشعير والذرة والحشائش لما كانت قدرت على السير معنا

أعطى يس جاويش هنا حذاءً لخادمه الحبشي فلبسه هـذا وقام ولكنه خطا بعض خطوات تشبه خطوات الاطفال الذين يبتدئون بالمشي وكان رفاقه يقهقهون من حوله ولم يقدر على السير بالحذاء فقلعه من رجله وقال انه لا يعرف ان يسير بالحذاء. أمطرت السماء في الليل مطراً شديداً ولم تكن الخيمة الكبيرة المانعة لنفوذ الماء معنا لاننا تركناها في (أرير) مع ما تركناه من الامتعة . لذلك نفذ الينا المطر

يوم السبت ٢٦ حزيران (يونيو) الوصول الى دريدوه

استيقظنا اليوم قبل الفجر لنتمكن من القيام من هنا قبل بزوغ الشمس حتى نصل الى دريدوه لنستفيد من الوسائط المدنية مثل النوم في الغرف والسفر بالسكك الحديد والبواخر وما أشبه ولكن لم نتمكن من السفر من هنا الا بعد طلوعها . ولقربنا من دريدوه لم نكن نحتاج بعد الآن لبغال الاثقال وللصناديق لذلك تركناها كلها وراءنا وسرنا الى دريدوه وامامنا (فدا) عبد محمد أفندي يدلنا على الطريق . لان الاراضي التي كنا سائرين بها كانت عبارة عن غابات وأحراش فيها كثير من الطرق المتشعبة لذلك لا يقدر الانسان ان يسير فيها من غير دلالة أحد العارفين بطرق هذه البلاد . وقد كنا نرى في طريقنا بين أشجار الغابات كثيراً من الغزلان والارانب والطيور الغريبة كما اننا رأينا اليوم لاول مرة سلحفاة كبيرة جداً طولها ٨٠ سنتيمتر وارتفاعها ٥٥ سانتيمتر . أراد (علامو) أحد خدمنا ان يركبها لتسير به ولكن لعدم وجود وقت كاف لنضيعه في أمور كهذه منعته عن ذلك فاكتفى بان صعد عليها ووقف على ظهرها بضع دقائق . وكان الخدم اليوم والمكارية والبغال كلها تسرع في سيرها لانها عالمة بان هذه المرحلة هي الاخيرة من سياحتنا هذه

نزلنا قبيل الزوال تحت شجرة وجلسنا ريثما تناولنا الطعام وملأنا الكيزان من ماء المطر المتجمع بين الصخور ثم استأنفنا السير وكان نشاط الخدم والبغال في المشي آخذاً في الزيادة كلما اقتربنا من المدينة . وفي الساعة الثانية بعد الزوال بلغنا دريدوه ولا تسل عن سرورنا لما سمعنا صفير القاطرة في محطة السكة الحديد ورأينا القطرات وعرباتها فكأننا قربنا من الاستانة ودخلنا في دائرة العادات والاحوال التي تعودناها في عالمنا المدني . نعم ان السياحة في البراري والاراضي المقفرة لها لذة كبيرة ولكن في مقابلة ذلك كثير من المتاعب خصوصاً تعب البال والفكر وهذا أمر لا ينكره أحد .

فان الانسان كثيرًا ما يكون في النهار تحت رحمة الحر وفي الليل معرضًا لاهوال القر
ولا تنس الامطار التي تنزل بكثرة ليلاً ونهارًا والزوابع والمواصف وانقطاع البغال
عن السير والتيه في هـذه الفيافي وهجوم الحيوانات الكاسرة على القافلة ليلاً وعدم
انتباه المكارية للاحمال وهم يحملونها على البغال فيقع الصندوق وينكسر أو يحملونه
مقلوبًا فوقه لتحت مما يجعل الامتعة التي فيه لا تصلح لشيء فيما بعد . واذا كان فيه
شيء قابلاً للكسر ينكسر وبالجملة ان هذه الاحوال وكثيرًا مما تليها تدع الانسان
في كرب عظيم فلذلك كله كان وصولنا الى دريدوه من أعظم دواعي السرور والحمدلله
وقد خيل لي انه لو كان امامنا مسافة ساعتين غير ما سرنا لما كنت قدرت على قطعها
على البغل . ذهبنا توًا الى الفندق الذي كنا نزلنا فيـه في الذهاب الى آديس آبابا
المسمى (اوتيل ميخاليدس) باسم صاحبه . ودخل كل في غرفته بعد ان أرسلنا البغال
الى وكيل الحاج أحمد عبد القادر أفندي في دريدوه . فكان أول شغلي الاستحمام
وتغيير الملابس وبعد ذلك جلست على كرسي هزاز امام جنينة النزل وأخذت أشرب
الشيشة (الأركيله) بكل سرور من وصولنا الى دريدوه بالسلامة . وأما الطقس
هنا فانه كان حرًا وكان معنا بالنزل كثير من السيدات الاوروبية وكلهن بملابس خفيفة
جدًا ولما سألت الغارسون عنهن أجاب بانهن زوجات بعض المستخدمين في جيبوتي
حضروا الى هنا لقضاء بضعة أيام في دريدوه هربًا من شدة حرارة الثغر المذكور .
فاخذت أفتكر في درجة الحرارة في جيبوتي فاذا كان هنا الحر في هذه الشدة فكيف
يجب ان يكون الطقس هناك حيث أوجب هروب السيدات الاوروبيات منها الى
دريدوه التي وجدنا الحر فيها شديدًا

كنت علمت من ادارة البوسته في آديس آبابا ومن موسيو لاغارد سفير فرنسا
بان باخرة من بواخر مساجري ماريتيم تصل الى جيبوتي آتية من مادا غسقار في صباح
التاسع والعشرين من شهر حزيران (يونيو) وتبرح الثغر المذكور بعـد الظهر قاصدة
السويس . لذلك كنا رتبنا خطة سيرنا على وجه ان نصل الى دريدوه يوم الاحد

ونقوم منها الى جيبوتي يوم الاثنين حيث نركب الباخرة منها يوم الثلاثاء وبهذا الحساب لا نكون قضينا في جيبوتي الا ليلةواحدة فقط . ولكن لما وصلنا الى دريدوه علمنا ان الباخرة ستصل الى جيبوتي يوم الاربعاء لا الثلاثاء فلزم ان نبقى هنا يومين لانه لا يوجد قطار يقوم يوم الاحد الى جيبوتي

وردت مساء البغال فوضعنا الاحمال في الاكياس والصناديق لانها لا لزوم لها بعد الآن . وبعد وصولنا بقليل ورد للسلام علينا آتو بيانا ابن آتومارشا حاكم المدينة وبعض الموظفين الاحباش وآتو جوزوف قنصل الحبشة في جيبوتي الموجود هنا لبعض أشغال تخص وظيفته ونعمان أفندي الخوري قنصل فرنسا في دريدوه . وكان نعمان أفندي هذا رفيقي في المدرسة قبل ٣٣ سنة في بيروت وما كنا رأينا بعضنا بعد ان خرجنا من المدرسة فجلسنا نقطع الوقت معاً ونذكر أيام الصبا والمدرسة. وقد استفدت كثيراً من معلوماته بالحبشة لانه مضى عليه بضع سنين وهو في دريدوه وهو رجل عالم عاقل ذكي لطيف المعشر يعرف أربع أو خمس لغات لا يمل مخاطبه من لذيذ صحبته وعنده هنا مكتبة نفيسة . وكانت زياراتنا لبعضنا من قبيل زيارة الصديق لصديقه خالية من كل تكلف وترسم . وقد دعانا للعشاء عنده في غد

يوم الاحد ٢٧ حزيران (يونيو) دريدوه

حضر اليوم آتو جوزف للنزل وسلم لكل واحد منا الرقيم (البراءة) المؤذن بانعام جلالة النجاشي علينا بالنياشين التي مر ذكر انعامها آنفاً فانتهزت فرصة وجود الاتو عندي وطلبت اليه أن يترجم لي الرقيم المشار اليه وجواز السفر المعطى لنا من قبل الامبراطور وبعض مكاتيب باللغة الحبشية وردت عليَّ بينما كنت في آديس آبابا وهاك ترجمتها :

ترجمة براءة الوسام :

ان النصر والظفر لأسد سبط يهوذا

من منليك الثاني ملك ملوك الحبشة بعون الله وعنايته الى كل من يقرأ هذه والى محبيه سلام . ان الملوك العظام ينعمون بالاوسمة لجنودهم الصادقين ولكل من يشتغل باحياء العلوم والدراية وكذلك نحن أيضاً نهدي أعظم وسام من أوسمة حكومتنا الى صديقنا صادق المؤيد باشا ياور الحضرة المعظمة السلطانية وأذنا له أن يعلقه وقت ما يشاء

في ١٩ حزيران (يونيو) بعد عام النجاة ١٨٩٦

ترجمة الجواز :

ان النصر والظفر لأسد سبط يهوذا

من منليك الثاني ملك ملوك الحبشة : ان صادق المؤيد باشا وطالب بك ويس افندي سيعودون الى بلادهم فيجب أن لا يمسهم أحد بسوء بل ليحترموهم ويراعوا جانبهم

٢١ حزيران

ترجمة الكتاب الذي أرسله ناظر القصر الامبراطوري

الى أحمد افندي عبد القادر يصرح به للموما اليه بناءً على أمر النجاشي اضافتنا في منزله

ليصل الى الحاج عبد القادر افندي

كيف أنت يا أخي ؟ أما أنا فاني ولله الحمد بخير وعافيـة . عرضت البارحة على مسامع جلالة النجاشي التماسكم الخاص باضافة الوفد العثماني المحترم بمنزلكم . وحضرت مساءً لأبلغكم الجواب الذي تلقيته ولكني لم أجدكم وقد سر طلبكم هـذا من تلقاء نفسكم جلالة الامبراطور كثيراً فأصدر أمره بقبول ملتمسكم ودعا لكم بالرضاء الالهي ومعونته الربانية

التوقيع

٨ حزيران ١٨٩٦ — تقدراس هيلا جورجيس

وكنت تركت بطاقة زيارة لابنة الامبراطور عند ما زرت زوجها فتفضلت حضرة البرنسيس وأرسلت الي كتاباً هذه ترجمته :

من وزرو وللاتو كريمة الامبراطور منليك الثاني الى حضرة صادق المؤيد باشا الجنرال العثماني — :

كيف حالكم ؟ عسى أن تكونوا بخير ؟ أما نحن فانا له الحمد بخير . بُلّغت سلامكم كما انه وصلتني بطاقتكم وقد سرّني ذلك جداً فلتكونوا في رعاية الله دائماً وأنتم بخير وعافية . أرسلت لكم كتابي هذا مشفوعاً بتحياتي وسلامي

التوقيع

وزرو وللاتو

ترجمة الكتاب الوارد من افانفوس

من افانفوس نسيبو الى حضرة صادق باشا المؤيد العظم سفير جلالة السلطان عبد الحميد خان — :

كيف أنتم ؟ وكيف صحتكم ؟ هل أنتم بخير واذا تفضلتم بالسؤال عنـا فاننا

والحمد لله بخير وعافية . أخذت بطاقتكم العزيزة . وقد أسفت جدا لعدم التمكن من مقابلتكم وقت تشريفكم منزلي لوجودي وقتئذ في الجنة (اسم القصر الامبراطوري الجاري تشييده في المحل المسمى هوللاتا) حسب أمرجلالة الامبراطور والامبراطورة بلغني خبر وصولكم الى آديس آبابا . وأؤمل مجيئكم الى القصر الجاري بناؤه هنا . واني مقصر بعدم ارسال كتاب اليكم للسؤال عن صحتكم والذي يكدرني أكثر من كل ذلك هو اني لم أتمكن من مقابلتكم ورؤيتكم فاذا كنتم حقيقة على وشك السفر أسأل الله أن ييسر لقاءنا بكم في وقت آخر

من الجنة ١٩ حزيران ١٨٩٦ — التوقيع: افانفوس نسيبو

ترجمة الكتاب الوارد من وزرو دستا زوجة افانفوس

من وزرو دستا الى حضرة صديقنا العزيز صادق المؤيد باشا

كيف أنتم ؟ وكيف أحوالكم ؟ أما نحن فلله الحمد بخير وعافية . ان الهدية التي تفضلتم بارسالها وصلت . واني لفي غاية السرور والامتنان لتفكركم بي قبل سفركم أسأل الله أن يجعلكم في حرزه وأمانه الصمداني

٢٠ حزيران ١٨٩٦ — التوقيع: وزرو دستا

ويظهر من مقابلة التاريخ الحبشي بالتاريخ الافرنكي انه يوجد بينهما فرق ثماني سنوات . وقد كنت ذكرت ذلك في الفصل الخاص بالتقويم . وأما جملة (ان النصر والظفر لاسد سبط يهوذا) الموجودة في أول كل كتاب ملوكي فان أصلها مأخوذ من التوراة التي تشبه يهوذا أحد أولاد يعقوب عليه السلام وجد اليهود بالاسد وتلقبه بهذا اللقب . ولا يخفى أن يهوذا أبو داود وداود أبو سليمان عليهما السلام وسليمان هو جد العائلة المالكة الآن في الحبشة كما يدعي الاحباش . وكل من أولاد سيدنا يعقوب كان يصنع علماً لعائلته وقبيلته وينقش عليها صورة حيوان واذ كان يعقوب لقب ابنه يهوذا بالاسد لزم أن ترسم صورة أسد على علم يهوذا وهو شعار الاحباش

الى اليوم ينقشونه على دراهمهم وعلى أعلامهم . ومن هذا القبيل ما كان يرسمه بقية أولاد سيدنا يعقوب من العلامات المميزة على أعلامهم فكان شعار يوسف صورة جاموس وشعار بنيامين ذئب وشعار نفتالي غزال وشعار ايساخار حمار وشعار دان ثعبان وشعار روبن سمكة

سلمنا اليوم جميع أمتعتنا الى السكة الحديد وقطعنا تذاكر السفر وفي المساء حضرنا المأدبة التي أقامها حضرة نعمان خوري افندي قنصل فرنسا وقد كان أكثر المآكل في مأدبة نعمان افندي على الطراز العثماني من تركي أو سوري

يوم الاثنين ٢٨ حزيران (يونيو) السفر الى جيبوتي

بكرنا اليوم في القيام من النوم و بعد أن هيأنا أنفسنا للسفر أخذ خدمنا الحقائب الصغيرة وذهبنا الى محطة السكة الحديد . وقد حضر لوداعنا نعمان افندي الموما اليه وآتو جوزف وآتو مارشا وآتو بيانا وكثير غيرهم من الموظفين . وفي الساعة السادسة ونصف قام القطار وأخذنا نقطع الغيطان والوديان وكنا كلما وقفنا في محطة نجد كثيراً من الصوماليين واقفين للدعاء للحضرة السلطانية والسلام علينا . وفي احدى المحطات وصلني تلغراف من حضرات غالب اخوان من كبار التجار في جيبوتي وكان مر ذكرهم في الكلام على الثغر المذكور يهنئونني فيه بالاياب سالماً و يدعونني الى النزول ضيفاً عليهم

وقف القطار قليلاً في الحدود الفرنساوية لاخذ مأمور الحدود وزوجته الذاهبين الى جيبوتي . وفي محطة حمبولي وجدنا رئيس مهندسي السكة الحديد وموسيو لهقورتيق المفتش الاول وقد حضرا على قطار قام بصفة خصوصية لاستقبالنا . ولما وصلنا الى محطة جيبوتي وجدنا في استقبالنا من قبل الوالي الموسيو انتوان مدير أقلام محررات المستعمرة وقنصل الروسيا والموسيو مارشال الوكيل العمومي لشركة مساجري ماريتم وغالب اخوان والموسيو وبجيه صاحب فندق (ده زاركاد) وكثيراً من المستخدمين وغيرهم . و بعد أن سلمنا على المستقبلين مصافحة ذهبنا الى منزل غالب اخوان حيث دعينا للنزول فيه فلا تسل أيها القارئ عن مقدار ما رأيناه من الاكرام من غالب اخوان في منزلهم فبارك الله فيهم

وكانوا أعدوا لنا أسرَّة في غرف خصوصية لكنا لم نقدر على النوم فيها من شدة الحر الذي كان يبلغ في الليل الى درجة الاربعين فوق الصخر . لذلك خرجنا الى الشرفات الواسعة حيث قضينا الليل هناك على أسرة أقاموها لنا بصفة خصوصية . والناس هنا ينامون على سرر مصنوعة من التيل وليس عليها الا وسادة رأس فقط .

لان الانسان لا يستطيع أن يحمل حرارة الفراش واللحاف فوق حرارة الجو الشديدة وينصبون السرير الى جهة هبوب الريح لاستقبال الهواء الطري فاذا انقطع الهواء من هذه الجهة أثناء الليل فان صاحب السرير يقوم ويوجه سريره الى الجهة التي أخذ الهواء يهب منها . وبعض الناس يهيئون على الشرفات بضعة أسرة حتى ينتقل عليها في الليل حسب اتجاه الارياح . قضينا الليل بنوم متقطع وشرب ماء كثير والعرق يتصبب في جباهنا وكنت كأني في حمام حار . ولما أصبح الصباح أسرعت فاغتسلت بالماء البارد الذي لم يكن فرق بينه وبين ماء الحمامات

يوم الثلاثاء ٢٩ حزيران (يونيو)

كنا منتظرين وصول باخرة شركة مساجري ماريتيم ولكن بعد السؤال علمنا انه ليس لدى مكتب شركة البواخر المذكورة علم بميعاد وصولها لان أسفار البواخر لم تكن انتظمت بعد من جراء الاعتصاب الذي حدث في مارسيليا قبل شهرين

ورد اليوم أكابر وأعيان المسلمين لزيارتنا . وأما الوالي موسيو بونهور فانه كان تعين في غيابنا واليًا على (مارتينيك) فتزاورنا مع وكيله موسيو دوباري القائم بأعمال المستعمرة . وقد أدب الموما اليه لنا مأدبة رسمية في دار الحكومة . و بعد الظهر أخذت في رد الزيارة للذين أتوا لزيارتنا . ومن حسن الحظ انهم هنا لا يلبسون في هذا الموسم القمصان الافرنجية والملابس السوداء مثل (فراك) (سموكينج) اذ شدة الحرارة في هذه البلاد تغلبت نوعاً ما على المراسم والتكلفات . لذلك كنا مرتدين في زياراتنا بالاردية العسكرية البيضاء . والذين يلبسون هنا اللباس الافرنجي لا يلبسون سوى بانطلون رفيع وجاكت مثله وأحيانًا يلبسون القمصان الرفيعة جدًا ولا يلبسون شيئًا سواء ذلك

وقد كنت ذهبت لزيارة رجل من أكابر موظفي المستعمرة فوجدته لابسًا بانطالونًا وجاكتا مصنوعين من الشيت الرفيع وليس في رجليه جوارب بل محتذٍ بنعل (شبشب) فقط وهو عار الرأس وقد خجل مني جدًا لمقابلته لي بهذه الهيئة وأخذ يعتذر . والرجل يذهب لمحل وظيفته و يقوم بأداء مهام المستعمرة وأمورها وهو على هذه الهيئة واني أعذر الرجل وغيره ممن يسكنون هذه البلاد على تخفيف ملابسهم لشدة الحر الذي يفوق كل تصور . وقد زرت بعد ذلك بشاره افندي غالب والقنصل الروسي والموسيو مارشال وكيل ادارة مساجري ماريتيم . ولم أجد الموسيو

مارشال في منزله فاستقبلتنا قرينته أحسن استقبال وفي اثناء الكلام شكت مر الشكوى من شدة الحر وتأثيره عليها وقد رثيت لحالة هذه المسكينة مع ان المنزل القاطن به الموسيو شارل مشيد من قبل شركة مساجري ماريتم على أمتن وأحسن طريقة في فن المعمار وعلى طراز يمنع نفوذ الحرارة الى داخله . وكانت السيدة جالسة على مقعد (قاناپه) مرتدية بلباس خفيف مصنوع من القماش الابيض الرفيع وفوق رأسها مروحة من الجنس المسمى (براقار) مربعة الاضلاع حجمها يزيد عن الاربعة أمتار يحركها الخدم بالحبال من خارج البهو . وكانت تذكرني الاستانة بتحسر وقد كانت سكنت فيها مدة ومناخها اللطيف والبوسفور ومناظرها البديعة وهواءه البليل المنعش للابدان . كنت تعرفت بمدام مارشال وزوجها قبل شهرين عند ما وصلت الى جيبوتي آتياً من الاستانة في المأدبة التي أقيمت لنا من قبل الوالي حيث كان محلي على المائدة في جانبها . وهذه السيدة على جانب عظيم من الذكاء واللطف وحسن المجاملة حسنة المعشر جداً مكرمة للضيف مهذبة تهذيباً جيداً . وبينما كنا نتجاذب أطراف الحديث حضر زوجها الموسيو مارشال فجلس معنا فكان جل كلامنا دائراً على الحر هنا والطراوة في أوروبا خصوصاً في الاستانة والبوسفور . وبعد ان قضينا برهة من الزمن استأذنت بالانصراف على ان نتلاقى ثانياً في مادبة وكيل الوالي الرسمية هذا المساء

وكانت هذه المأدبة مثل سابقتها التي أقامها لنا الوالي السابق من حيث الزينة والترتيب والاكرام وقد كان الحر يلطف بالمراوح الكبيرة المعلقة بالسقف التي يحركها الخدم من الخارج وكانت فابريقة الثلج الصناعي أوقفت عمل الثلج منذ بضعة أيام لعطل طرأ على عدتها لذلك كان الاهالي مضطرين لشرب الماء الحار ولكن لحسن حظنا كان مدير السكة الحديد أهدى الى وكيل الوالي ما يكفي من الثلج في مأدبة هذا المساء لان لادارة السكة الحديد هنا معملاً صغيراً يصنع من الثلج ما يكفي لمستخدميها وموظفيها فقط . فلذلك كنت ترى المدعوين كلهم ألسنة تشكر مدير

السكة الحديد على هذه الهدية العظيمة . وفي الحقيقة ان الانسان لا يقدر ان يقيس قيمة الثلج في هــذه البلاد على أي شيء غيره . ولما شكرت المدير على هديته أجاب قائلاً بانه يرسل الي نهار غد بضع أقات من الثلج لوقت الغذاء فاظهرت شكري الجزيل وامتناني لهديته النفيسة وختمت المأدبة بخطبة ألفاها وكيل الوالي وشرب نخب الحضرة السلطانية وقد أجبته على ذلك بما يقتضيه المقام . قمنا عن المائدة وجلسنا مدة في الشرفات حيث شربنا القهوة المثلجة والسجائر ثم انصرف المدعوون الى منازلهم شاكرين وكيل الوالي على مأدبته البديعة النظام . علمنا اليوم انه ستصل بعـد بضعة ساعات الى جيبوتي باخرة من بواخر شركة هاورثه بنسولير آتية من ماداغسقار وأنها ستقوم غداً قاصدة السويس فصممنا ان نسافر عليها وان تكن دون بواخر شركة مساجري ماريتيم انتظاماً ونظافة

يوم الاربعاء ٣٠ حزيران (يونيو) السفر الى السويس

قطعنا تذاكر السفر بواسطة غالب اخوان وأرسلنا جميع أمتعتنا الى الساحل . وبعد أن تناولنا طعام الغداء وودعنا وكيل الوالي ذهبنا الى الباخرة وكانت الساعة وقتئذ الثانية بعد الظهر على الحساب الافرنجي . فلم نشأ النزول الى الغرف (القمارات) من شدة الحر بل ظلينا على ظهر الباخرة التي كان بها بضعة ركاب آتون من الجنوب وكلهم لابسون أردية خفيفة جداً من غير جوارب عراة الرؤس . وكان ربان الباخرة رجل خدم بالجيش الفرنسوي في الهند الصينية يحب الجندية حباً عظيماً . فكان دائماً يعاملني معاملة عسكرية ويخاطبني بقوله (مون جنرال) أي (أيها القائد) فكنت أرى اللطف والرقة والنشاط ومعاملة الضيف بالاكرام الخاصين بالبحارة الفرنسويين تجسمت كلها في هذا الرجل الجميل المعشر . ولما رأى الربان ان الحر يمنعنا من النزول الى غرفة الطعام فضلاً عن الاكل فيها أمر فأقيم لنا محل مخصوص حجز بالسجف (الندات) وزين بصفة خصوصية وجهز بكل ما يلزم للاقامة والنوم فيها وأقيمت لنا مائدة على الظهر أيضاً نأكل عليها . وقد خصص لي غرفة النوبتجي الموجودة في أعلى الباخرة للمطالعة والاستراحة بها نهاراً . وهذه الغرفة بسبب علوها لم تكن تخلو من الهواء الطري نسبته للغرف الاخرى

بقي غالب اخوان في الباخرة حتى قرب سفرها وفي الساعة الرابعة افرنجي أقلعت الباخرة قاصدة السويس . كنا لما سافرنا من الاستانة توجهنا الى مرسيليا حتى نجعل سفرنا منها على احدى بواخر مساجري ماريتيم ولكن لم يتم لنا ذلك للاسباب التي سردتها فيما سبق كذلك كانت حالتنا في الاوبة فاننا كنا عزمنا أن نقوم من جيبوتي على

احدى بواخر مساجري المذكورة وأسرعنا بالوصول الى جيبوتي بقصد أن ندرك الباخرة قبل سفرها ومع ذلك فانه لم يتم لنا ذلك :

ما كل ما يتمنى المرء يدركه   تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

ان المسافة الموجودة بيننا وبين السويس طويلة فيجب أن نقضي بعض الوقت في سرد الوقائع الحربية التي حدثت بين الاحباش والطليان :

الوقوعات الحربية بين الطليان والحبشة

احتلال مصوع

أرادت الحكومة الايطالية أن تستعمر احدى المقاطعات الواسعة في افريقيا وتجعلها باباً للولوج الى داخل هذه القارة العظيمة كما تفعل دول أوربا في الاستعمار فانتهزت فرصة اشتغال الاحباش مع الدراويش واحتلت مصوع . وقد استصوب الانكليز الذين كانوا يعلمون أن مصوع وحواليها لا تصلح لسكن الاوروبي ولا للاستعمار عمل الطليانيين هذا بل ونشطوهم على ذلك . وكان لا بد للطليان من سبب وحجة للقيام بهذا العمل واخراجه من القوة الى الفعل . لذلك انتهز الطليان فرصة قتل كوستاف بيانشي الطلياني ورفاقه سنة ١٨٨٥ في دانغالي في نفس المحل الذي قتل فيه غاليه ني ورفاقه سنة ١٨٨٤ وكان وقتئذ الرأي العام في ايطاليا متجهاً لهذا الاحتلال ومستحسناً له فبناء على ذلك أرسلت ايطاليا فرقة من جنودها واحتلت ثغر مصوع في اليوم الرابع من شهر شباط (فبراير) سنة ١٨٨٥ وانتشرت الجنود الايطالية في أراضي سمهره وأرشيكو ومونقوللو وساتي وكانها تابعة للحكومة الحبشية . وأخذت من ثم الجنود الايطالية تتقدم شيئاً فشيئاً الى شمال مصوع وجنوبها وغربها حتى استولت على كل مقاطعة اريتره وجعلها الطليان مستعمرة لهم وألفوا فرقة من الجنود المتطوعة الوطنيين بالاجرة . فلما رأى ذلك الامبراطور يوحانس نجاشي الحبشة حينئذ أراد أن يوقف تقدم الايطاليين عند حد معلوم فأرسل رأس الولا ومعه خمسة آلاف جندي

لارجاع الطليان الى الساحل . وبلغ هذا الخبر الطليان فأخذوا يحصنون (ساتي) للدفاع عنها عند اللزوم

واقعة دوغالي في ٢٦ كانون ثاني (يناير) ١٨٨٧

كان تابور مؤلفاً من خمسمائة جندي طلياني ومعه كثير من الزاد والذخائر قاصداً (ساتي) تحت قيادة القائمقام خريستوفو ريدي . فصادف في طريقه تابوراً من جنود رأس الولا فاشتبك القتال بينهما في محل يسمى (دوغالي) ببعد ١٠ كيلو مترات عن ساتي . وقد دافع الطليان دفاع الابطال ولكن هذا الدفاع لم يدفع عنهم القضاء المبرم فانهزمت الجنود الطليانية الا انه لم ينج منها ولا واحد ووقعت جميع أسلحتهم وذخائرهم غنيمة بيد الاحباش

وكان وقتئذ في (ساتي) المذكورة تابور آخر مؤلفاً من خمسمائة جندي تحت قيادة البيكباشي (بوره تي) الذي كان واقفاً على وقت سفر خريستوفو ريدي بجنوده التي أبادها الاحباش فلما استبطأ وصوله الى (ساتي) أرسل في الحال من يستطلع أخباره فرجع هؤلاء المستكشفون وأخبروه بنكبة التابور وما حصل بينه و بين الاحباش الذين كانوا عسكروا في سفوح الجبل الكائن أمام (ساتي) فعلم البيكباشي بوره تي أن الاحباش سيهاجمون (ساتي) في اليوم التالي لذلك أخذ يتأهب للتقهقر الى مصوع في جنح الظلام من غير أن يشعر الاحباش بذلك وتوقف للخروج من ساتي ليلاً ولم يأخذ الجند معهم سوى الخرطوش الموجود وأسلحتهم وتركوا ما عدا ذلك من الذخائر والمهمات وغيرها . ولما أصبح الصباح وهاجم الاحباش المدينة وجدوها خالية خاوية على عروشها فاغتنموا ما تركه الطليان من الزاد والذخائر الحربية

نكبة الموسيو ساليمبه ني ورفاقه

كان ورد الى مصوع سنة ١٨٨٦ وفد ايطالي تحت رئاسة الكونت ساليمبه ني . ومهمة هذا الوفد هي الذهاب الى شوا حيث يقيم الامبراطور يوحانس عن طريق

الجيش الطلياني . وعلى ذلك أخلى القائد الطلياني سبيل أربعة من الخمسة أسرى واستبقى الواحد عنده لانه كان قبل تابعية ايطاليا فلا يجوز سياسةً والحالةهذه اعادته الى حكومته السابقة . ولما علم رأس الولا بذلك أحضر الاسرى الطليانين لعنده وقال لهم انه يوجد الى الآن رجل حبشي في أسر ايطاليا لذلك يريد أن يبقي أحدهم نظير هذا الرجل ويخلي سبيل الآخرين وعليهم ان ينتخبوا هذا الاسير الذي سيبقى هنا حتى يفرج عن الحبشي وسمح لهم بمقابلة بعضهم والمذاكرة في هذه المسئلة

ولما اختلى هؤلاء الطليانيون مع بعضهم للمداولة في انتخاب واحد منهم للبقاء هنا اقترح الكونت سالميبه ني أن يرجعوا الى الاقتراع ولكن الملازم سافوارو لم يوافق على ذلك وقال ان الكونت سالميبه ني رجل عجوز فلا يليق أن يبقى هنا أسيرًا واذا وقعت القرعة باسم البيكباشي أو ابنه فانهما سيضطران للافتراق عن بعضهما وهـذا أيضًا مما لا يجوز بالنظر لسن الغلام فلا أرى من يبقى هنا الا أنا لانيفي مقتبل الشباب بعد كما اني أعزب يسهل عليّ البقاء في الاسر . واقنع الملازم رفاقه بوجوب ذهابهم و بقائه هناك . و بناءً على هـذا القرار أخلي في اليوم الثاني سبيل الكونت سالميبه ني والبكباشي وابنه . وأراد عم الملازم سافوارو ان يفدي ابن أخيه بمليون فرنك يرسله الى رأس الولا ولكن الحكومة الطليانيـة لم توافق على ذلك خوفاً من ان تصير عادة سيئة في المستقبل . وكان حراس الملازم يعاملونه بقسوة وعنف . وكانت كريمة رأس الولا تحضر في بعض الاحيان خفيـة الى سجن الملازم وتحضر له معها بعض المأكولات وتسليه في سجنه وأسره هذا

وكان هذا الاسير المسكين يؤخذ الى ساحة هناك ليعدم رمياً بالرصاص فيوقفونه امام الجنود التي تصوب بنادقها عليه وتبقى مدة هكذا ثم تعود راجعـة أدراجها من غير ان تطلقها عليه ثم يرجعون الملازم الى سجنه بحجة ان الرأس عفى عنـه الآن من الاعدام . ولما طال هذا التعذيب قال الملازم يومًا الى سجانه (اذهب لسيدك الرأس وقل له اني لست في احتياج لعفوه عني فليعجل باعدامي) فأجابه السجان قائلاً (ان

وكانت في هـذا الاثناء المـداولات والمذاكرات جارية بين ايطاليا والحبشة بشأن تحديد الحدود والعلاقات بين الحكومتين وجعلت الحد الفاصل بينهما اسمرا وعقدت عهدة أوقسيالي في ٢ مايس (مايو) من عام ١٨٨٩ بين منليك والكونت انتونللي وقد ذكرت هذه العهدة في الفصل الخامس بالامبراطورة تيتو زوجة منليك

أما الجنرال بالديسه را الذي كان نشيطاً وفي مقتبل العمر فقـد تمكن من فتح مدينة (كره ن) الكائنة في مقاطعة بوغوس وأخذها من محافظها بالمراس نحافل من غير مدافعة عنها . وفي هذه المدينة استحكامات جميلة قوية كان أقامها المصريون لما كانت المدينة في أيديهم وفيها ثلاثة آلاف نسمة من المسلمين . وطقس (كره ن) هذه جيد جداً وماؤها عذب

وبعد ضبط (كره ن) قام الجنرال المومأ اليه بالجنود الطليانية المنظمة وبالمتطوعة غير المنظمة من الوطنيين من غيندا قاصداً اسمرا فكان كلما اقترب منهـا الجنرال ينسحب أمامه الاحباش حتى اذا وصل الى اسمرا في اليوم الثالث من شهر اغستوس (أغسطس) من السنة المذكورة وجد رأس الولا انسحب الى (غودوفه لاس) ومنها الى (آدووا)

بينما كانت هذه الحوادث تجري هنا كان منليك أرسل رأس ما كونن الى ايطاليا موفداً من قبله ليوقع على ذيل العهدة التي اتفق عليها الموسيو فريسي رئيس الوزارة الطليانية والرأس ما كونن وألحقت بعهدة أوقسيالي فوقع المندوبان في أول تشرين أول (اكتوبر) وأبلغت للدول في الحادي عشر منه

وفي أواخر هذه السنة أعيد الجنرال بالديسه را الى ايطاليا وعين الجنرال أوره رو بدلاً عنـه لقيادة الجنود الطليانية هنا ولمـا وصل القائد الجديد جهز حملة مؤلفة من تابورين أحدهما من العساكر الطليانية والثاني من الوطنيين وكوكبة فرسان وبضعة بطاريات من المدافع وأرسلها الى مقاطعة همـازن الغنية جداً لتنفيذ عهدة أوقسيالي ولنشر نفوذ وحكم ايطاليا على المقاطعة المذكورة . وقد علم قائد هـذه الحملة بواسطة

واقعة قواتيت

كان رأس منغاشا يهنئ الطليان بانتصارهم في (حالابا) بلسان ظاهره الصدق وباطنه الرياء واضمار الشر لهم لانه بينما كان يظهر لهم أشد الاشياء من أعمال باتا اغوس وتقبيح سيره كان يشتغل من جهة أخرى باعداد المعدات لمهاجمة الجيش الطلياني . والسبب في ذلك ان رأس منغاشا لما رأى انه لم يتوصل الى بغيته مع تقديم الطاعة والخضوع للطليان ذهب الى انتوتو حيث يقيم منليك فصالحه وقدم له الخضوع ليحفظ لنفسه ملك تيغرى على الاقل وقد كان كلم منليك قبل عهدة مارب في شأن العنوان الملكي فأجابه منليك قائلاً (لاجل أن تكون أميرًا أو ملكاً يجب أن يكون لك حكومة فأين حكومتك وملكك الذي ورثته عن أجدادك لاقيمك أميرًا وحاكماً عليه ويجب عليك أن تسترد هذا الملك الضائع والشرف المفقود لتستحق وضع تاج الحكم على رأسك) والآن لما رأى رأس منغاشا انه لم يستفد شيئًا من الايطاليين مال الى أبناء جنسه ثانياً والتجأ الى الاقوى من عدويه وهو منليك

ولما أخذ الجنرال باراتيري كتاب الرأس منغاشا الذي يهنئه فيه بانتصاره (في حالابا) أرسل جوابًا الى الرأس طلب فيه منه أن يفرق الجنود الذين كان الرأس مشتغلاً بجمعهم في (انتسكيو) الكائنة على حدود المستعمرة وأن يسلم اليه الثوار الذين كانوا تمردوا على ايطاليا ثم التجأوا اليه وان يصدر الامر الى رأس ماغوس بمهاجمة الدراويش حسبما جاء في العهد والميثاق المتبادلين بين الفريقين . وأما الرأس منغاشا فانه لم يرد على هذا الكتاب ولم يجب طلبات الجنرال . وكان عنده في (ادووا) ضابط ايطالي برتبة ملازم يسمى مولازاني لما رأى عدم اجابة الرأس لطلبات الجنرال خشي من أن يحصل له ما حصل للملازم سانغيتي فترك (ادووا) في الحال وعلى ذلك أخذ الجنرال باراتيري يحشد قواه في (آدي اورجي) وهذا الموقع المستحكم

ينير الاطراف كالنهار . وكانت الجنود الايطالية تعاين نيران معسكر الاحباش امامهم قام الجيش الايطالي بكل الترتيبات الحربية وتبعته الجنود في الليل وصدرت التعليمات والاوامر لكل فصيلة واورطة بالاعمال التي ستقوم بها

ولما اخذ الفجر بالظهور اخذت بطارية اليوزباشي (سيكودي فولا) تلقي القنابل على الاحباش واجاب الاحباش بنيرانهم ايضاً واشتد القاء المقذوفات من الطرفين . وقد سعى جنود الاحباش مراراً ان يحيطوا بالايطاليين ولكنهم لم يفلحوا . دام القتال علي هذا المنوال الى المساء ولما خيم الظلام انقطعت النيران عن الفريقين على غير نتيجة وقضى الجيشان الليل قريبين عن بعضهما

وفي صباح اليوم الرابع عشر ابتدأ الاحباش بالقاء المقذوفات على الطليان واستمر القتال بضع ساعات اضطرّ الاحباش في نهايتها ان يتقهقروا لنفاد الرصاص والقنابل والذخائر الحربية الموجودة عندهم . وكانت خسارة الطليان في هذين اليومين عبارة عن ضابطين وصف ضابط و ٩٧ جندي قتلى و ٢٣١ جندي جرحى

واقعة سه نافه

كان سقط في الواقعة المذكورة بضعة انفار من الجنود الوطنية بالجيش الطلياني في اسر الاحباش وفي المساء توفق بعضهم للفرار مساء وعادوا الى فصائلهم في الجيش المذكور وقالوا ان الاحباش يتقهقرون بغير انتظام وان الخوف والرعب مستول عليهم جداً فلما سمع الجنرال باراتيري ذلك جمع ضباطه واركان حربه و بعد المداولة والمذاكرة معهم صمم على اللحاق بالاحباش . وفي اليوم التالي وزّع على كل جندي من جنوده من الذخائر والمؤن ما يكفي لاربعة ايام وامر بالقيام فتحركت الحملة في الصباح وكانت مؤلفة من الجنود الايطاليين والجنود الوطنيين و بعد ان قطعت اراضي صعبة المسالك كثيرة الحزون وصلت وقت الظهر الى (نوغوندا) حيث علم القائد ان الاحباش مروا من هناك قبل ثلاث ساعات قاصدين (سه نافه) . و بعد ان

استراح الطليانيون هنا ساعة واحدة قاموا قاصدين (سه نافه) المذكورة ووصلوا قبل الغروب الى هضبة تشرف على (سه نافه) امام معسكر الاحباش وحين وصولهم اخذت مدافعهـم ترمى بقذوفاتها على الاحباش . وقد وقعت اول قنبلة من قنابل الايطاليين في خيمة الراس منغاشا ولم يكن هو فيها بل كان جرح منها قبل بضع دقائق ليشجع جنوده على محاربة الايطاليين فقتلت بضعة أشخاص من رجال الراس ولما خيم الظلام اضطرَّ الجيشان لقطع الحرب الى اليوم الثاني

وفي اليوم التالي نزل الايطاليون الى السهل ولكنهم وجدوه خالياً من الاحباش الذين انسحبوا ليلاً من هناك تاركين بعض الاشياء من جملتها خيمة الراس منغاشا حيث وجدوا فيها اوراق المخابرات التي كانت تجري بين الرأس وبين منليك وبين باتا اغوس ورئيس القسس العاذار بين الفرنسويين فعلموا من هذه الاوراق بأن ما ظهر من باتا اغوس من التمرد والعصيان كان بتشويق الرأس وبرضاء وعلم القسس المذكورين الذين كانوا مشتغلين بالامور السياسية اكثر من اشتغالهم بالامور الدينية

يقول الذين حضروا هاته الوقائع ان تقهقر جيش الراس منغاشا أمام الايطاليين على هذه الصورة كان ناشئاً عن جبن الراس وعدم ثباته وقلة دربته في الامور الحربية وقد وافق الراس منغاشا أثناء تقهقره هذا عدوًّا آخر من أبناء جلدته فحاربه وتكبد الراس خسائر فادحة . واليك بيان هاته الواقعة :

يوجد ولاية مهمة في مقاطعة تيغرى تسمى عقامه ادارتهـا بيد الاكبر من عائلة عريقة بالقدم وبالحسب والنسب اسمها ساغابادي . ولما مات أمير هذه الولاية قبل الوقائع المذكورة ببضع سنوات قام النزاع على الامارة بين راس سابات وداز جماج اغوس تافاري وكلاهما من العائلة المذكورة ولما رأى راس منغاشا ذلك عين أحد الغرباء عن عائلة ساغابادي أميرًا على الولاية المذكورة بدلاً من أن يعين الاكثر استحقاقاً والاكبر من العائلة الحاكمة هناك من القـديم ولم يكن لهذا الامير الجديد المسمى راس انتالو الذي عينه راس منغاشا مزية سوى انه حائز لرضا الراس فقط

لذلك أخذ الناس يتأففون من تصرف راس منغاشا على هذه الصورة وثار غيظ كل من راس سابات ودازاج تافاري المار ذكرهما وكادت تقع ثورات داخلية هائلة لولم يتداخل رجال الدين النافذو الكلمة فطلبوا اليهما أن يحضرا عند راس منغاشا لتسوية الخلاف بينهما و بين الراس فأجاب راس سابات الى ذلك ولما قصد راس منغاشا أكرمه اكراماً زائداً ثم قبض عليه وزج به في أعماق السجون في (امبا الاغي) أما دازاج آغوس تافاري فانه كان عالماً بأحوال البلاد وتملق للراس منغاشا موجساً شراً من هذه المآدب اكثر من قريبه راس سابات فلم يشأ اجابة الدعوة بل تحصن مع رجاله في جبال (به لز) وأعلن الخصام والعصيان على راس منغاشا

ولما قامت الحروب بين راس منغاشا والايطاليين هذه المرة كان دازاج تافاري يراقب حركاته و يتعقبه من بعد منتظراً فرصة ينتهزها و يستفيد منها وعندما تقهقر راس منغاشا من (سه نافه) داهمه دازاج تافاري وقتل كثيراً من رجاله وأخذ من جيشه كثيراً من المواشي والغنائم الاخرى . وبعد ذلك ذهب وقدم الطاعة للايطاليين وقبل الايطاليون خضوعه ولعلمهم ما لأفراد هذه العائلة في ولاية عقامه من الحقوق وما لهم من الاهمية والنفوذ والمكانة عينوه أميراً على الولاية المذكورة ووضعوا جنود دازاج تافاري تحت امرة البيكباشي توسللي قائد منطقة عقامه باسم جنود منظمة

وبقي دازاج آغوس تافاري هذا موالياً للايطاليين الى اليوم الثالث عشر من شباط (فبراير) ١٨٩٦ فانضم من ثم مع راس سابات الى اعداء الايطاليين أي التحق بأبناء جنسه

احتلال تيغري

بعد انتصارات قواتيت وسه تافه الصغيرتين أراد الجنرال باراتيري أن يستولي على كل بلاد راس منغاشا أي على بلاد تيغري فأرسل توسللي ومعه الاورطة الرابعة المؤلفة من الجنود الوطنيين وجنود دازاج اغوس تافاري المار ذكره وأمره أن يحتل

يقدر على اللحاق به فقسم قواه الى أقسام صغيرة ووزعها على الاطراف. وفي النهاية اجتمع الايطاليون كلهم في امبا الاجي حيث يسجن راس سابات منذ خمس سنين فأخلوا سبيله ولما رأى نفسه حرًا خارج السجن أظهر مزيد ارتياحه من حضور الايطاليين الى هناك ولكننا سنرى بعد سنة واحدة انه انضم هو وجنوده الى راس منغاشا . ان هؤلاء الامراء الاحباش يشبهون الاخوة الذين يتخاصمون كل يوم عدة مرار ثم يتصالحون وليس للحروب الداخلية التي تقع بينهم أهمية وكأنهم يعتبرون تلك الحروب كالتمارين والالعاب الوطنية أو كلعبة الشطرنج . اذ بينما تراهم يحارب بعضهم بعضاً تجدهم اذا أتاهم عدو من الخارج عادوا اخوانًا متحابين متحدين كأنهم رجل واحد أما الايطاليون فانهم لما لم يروا أقل مدافعة من الاحباش في تعقبهم لهم هذه المرة أيضاً حكموا بأن البلاد صارت اليهم وأخذوا ينظرون الى تيغري كأنها من مستعمرة اريتره الطليانية ولم يخطر في بالهم أن هناك أسداً رابضاً يتهيأ و يستكمل العدة و يحشد الجنود للوثوب عليهم الا وهو منليك الثاني الموجود في (شووا) كما ان راس ما كونن الذي كان يظهر الحب والميل للايطاليين كان من جهة أخرى يطرد تجارهم وجاليتهم من (هرر)

هزيمة امبا الاغي

كان جيش الراس ما كونن الذي كان بمثابة مقدمة جيش منليك معسكرًا على ساحل بحيرة اسيانغي . ولما بلغ هذا الخبر الجنرال الايطالي أصدر أمره الى البيكباشي توسللي بالمسير بألفين وخمسمائة من الجنود المشاة و بضعة مدافع الى معسكر الراس ما كونن المشار اليه ليمنع أولاً الاحباش من التقدم الى الأمام ثانياً ليستكشف حال القوى الحبشية النازلة على ساحل البحيرة المذكورة وثالثاً ليعطي الوقت الكافي للقائد حتى يتمكن حشد قواه العمومية في (اديغرات) وصلت هذه المحلة الى هضبة امبا الاجي وظلت معسكرة هناك وفي اليوم الثالث لوصولها هاجمها الاحباش واشتبك القتال بين الفريقين وقد كان البيكباشي توسللي اجتهد أن يحافظ على خط رجعته ليجعل الطريق

بعد بضع ساعات رماداً واطلالاً وكان الامر صدر الى الجنود الايطالية أن يسرعوا بالانسحاب من ادووا لذلك خرجت الجنود والضباط ولم يأخذوا معهم سوى ملابسهم التي كانت على أجسامهم فقط وما بقي من ملابس الجنود والضباط وحوائجهم كلها تركت فريسة للنار

بينما كانت هذه الوقائع تجري في ادووا والجنرال اريموندي يرتد الى اديفرات كانت الاورطة الثالثة المؤلفة من الوطنيين موجودة في مكلا تحت قيادة البكباشي غالليانو . ومكلا هذه هي حاضرة ولاية (اندرتا) من مقاطعة تيغرى ومشهورة بخصب أراضيها وكانت فيما مضى عاصمة لحكومة الرأس منغاشا وكان يتخذها الجيش الحبشي دائماً مركزاً لحركاته الحربية . ولما احتل الايطاليون مقاطعة تيغرى أخذوا يقيمون الاستحكامات والقلاع وعندما جرت واقعة امنا آجي كانت هذه الاستحكامات لم تتم بعد وانما كان الايطاليون جمعوا هناك كثيراً من الزاد والذخائر . ولا يوجد داخل المدينة آبار أو صهاريج للاستقاء ويأخذ الناس ماءهم من ينبوعين الواحد شحيح الماء وواقع خارج المدينة وقرب باب السور الكبير . والثاني واقع في محل أبعد من الينبوع الاول . لذلك اضطر قائد الحامية هناك أن ينشئ صهريجين وملأهما بالماء من باب الاحتياط . وبعد مفارقة الجنرال اريموندي مكلا ببضعة أيام انقطعت الاسلاك البرقية وتعطلت المخابرات فأرسل البكباشي فصيلة من جنوده لاصلاح السلك المقطوع ولكنهم رجعوا ادراجهم من غير أن يتمكنوا من عمل ما أمروا به لمداهمة الجنود الحبشية لهم قرب هضاب (ماسابوت) ولم يبق للفصيلة الموجودة في مكلا أمل سوى الاعتماد على أنفسهم وقوتهم القليلة لانه بينما كان الجنرال بارا تيري يطلب جنوداً من ايطاليا ويحشدها قرب اديفرات اذ وردت في اليوم الخامس من كانون ثاني (يناير) قوى عظيمة تحت قيادة رأس ما كونن ورأس منغاشا واحتلت الهضاب الكائنة على اطراف مكلا وكان وصل قبل ذلك بيوم واحد الامبراطور منليك والامبراطورة تايتو ومعهما معسكرهما الى محل يقال له (شه ليفو) قرب مكلا

وكان نفوس حاكم مقاطعة غوجام التحق بمعسكر الامبراطور . وفي اليوم السابع من الشهر وصلت الجنود بكثرة من شه ليقو وعسكرت على بعد ٨ كيلو مترات من مكلا ولما عاين الايطاليون الموجودون داخل المدينة الصيوان الاحمر في وسط المعسكر علموا أن الامبراطور والامبراطورة وصلا بخيلهما ورجالهما الى هنـا . وفي اليوم نفسه أرسل الاحباش مدافعهم الى هضبة (انداجه زو) الكائنة على بعـد ٨٠٠ متر من مكلا . وأكثر مدافع الاحباش هي من المدافع الجبلية ومختلفـة العيار وبينها أربعـة مدافع من طراز مترايوز و٢٨ مدفعاً من طراز هوتشيك السريعة الطلقات التي تقذف بقنابلها الى مسافة ٣٥٠٠ متر ومن هذه المدافع يوجد دائماً خمسة مدافع في الجيش الخاص بالامبراطورة

باشر الاحباش اليوم الحرب مع الايطاليين ولكنهم لم يلحقوا بهم خسائر تذكر وفي صباح اليوم الثامن من الشهر المذكور أخذ الاحباش يقذفون نيران مدافعهم على استحكامات مكلا من ثلاث نقط مختلفة كما انهـم أرسلوا قوة الى الينابيع المذكورة ومنعوا الاستسقاء منها . والمـاء الموجود في الصهاريج التي كان أنشأها قائد الحامية داخل المدينة كان يكفي لشرب المحصورين مدة يومين فقط . لذلك أخذت المواشي والخيل والبغال داخل مكلا تهلك من العطش . وفي اليوم التاسع قوى الاحباش مراكزهم الحربية ولم يكتفوا بنيران المدافع بل انهـم هاجموا المدينة ببنادقهم أيضاً واستمر القتال في اليوم العـاشر والحادي عشر أيضاً بشدة هائلة . وقـد تكبد قواد وأمراء الجيش الحبشي خسائر تذكر لانهـم كانوا يسيرون بمقدمة الجنود المهـاجمة . لذلك قتل من أمراء واركان الاحباش ٢٢ شخصاً وكان الرأس ما كونن ورأس الولا بين المجاريح . وسبب هذه الخسائر الفادحة هي ان المهاجمين كانت تصيب مقذوفاتهم الاحجار والتراب (الاستحكامات) وأما المحصورون المدافعون فبالعكس كانت مقذوفاتهم تصيب بني الانسان أي الاحباش

ولمـا رأى الاحباش عدم امكان الاستيلاء على مدينة محصنة مثل مكلا غيروا

خطتهم الحربية وصمموا على محاصرة المدينة فزادوا عدد الجنود الموجودة عند الينابيع وأرسلوا جنوداً كثيرة الى الهضاب الواقعة على أطراف المدينة لتقوية الجنود الموجود عليها . وكانوا من آن الى آن يلقون على الايطاليين بعض القنابل . وأما الايطاليون فانهم ثبتوا في مراكزهم لاقتناعهم بوصول المدد اليهم في وقت قريب

وفي اليوم الثالث عشر وصل الى مكلا رجل مندوب من قبل الامبراطور لطلب هدنة بضع ساعات تدفن بأثنائها الموتى من الجنود فقبل قائد الحامية الايطالية ذلك على شرط أن يكون عدد الجنود التي ستقترب من المدينة محدوداً فعاد المندوب ليعرض هذا الشرط على النجاشي وأمل المحصورون أن يملأوا صهاريجهم في مدة الهدنة التي طلبها الاحباش ولكن خاب أملهم اذ لم يعد المندوب ثانياً . كان القائد يعطي لكل شخص ٧٥٠ جرام في اليوم وأما هذا اليوم فانه أنزل هذا الراتب الى ٥٠٠ جرام وفي اليوم التالي لم يعط سوى ٢٥٠ جراماً . والحاصل كانت حالة المحصورين سيئة جداً وما كان يعطي لكل شخص في اليوم من الماء سوى كأس واحدة . وفي اليوم الثامن عشر نفد الماء فجمع البيكباشي ضباطه وبعد المداولة فيما يعملونه قر الرأي على أن يصبروا اليوم التالي من غير ماء واذا لم يأت المدد المنتظر في ٢٠ منه يعطلون مدافعهم وينسفون بالنار ذخائرهم الحربية ثم يخرجون بالقوة مخترقين صفوف الاعداء فاما أن يفتحوا لهم طريقاً للنجاة واما أن يموتوا في سبيل الدفاع عن أنفسهم . وبينما كان المحصورون في اليوم التاسع عشر يستعدون للخروج في اليوم التالي اذ ورد أمر من الجنرال باراتيري بلزوم تسليم مكلا الى الاحباش . وقد أثر هذا الامر في الضباط وقائد الحامية تأثيراً سيئاً وصاروا يبكون كالاطفال

وفي اليوم التالي وصل في الساعة العاشرة الى مكلا الموسيو فلتر التاجر الطلياني وصديق الامبراطور منليك القديم المتوسط بين الامبراطور وبين الجنرال باراتيري بأمر تسليم مكلا وعقب وصوله ببضع دقائق أنزل العلم الايطالي ورفع بدلاً عنه العلم الابيض اشارة للتسليم . ثم خرج الناس يهرولون صوب الينابيع من شدة ما أصابهم

من العطش . وفي ٢١ من الشهر المذكور ذهب البيكباشي الى معسكر الامبراطور للمذاكرة في طريقة خروج الجنود من مكلا فقوبل من الاحباش أحسن مقابلة وأهدى اليه الامبراطور بغلاً وفرساً مع سرجهما ووعده أن يمده بألف بغل ليتمكن من الخروج هو وجنوده من مكلا و بعد الظهر بساعتين بدئ باخلاء المدينة المذكورة و بينما كانت الجنود الايطالية خارجة من باب كانت جنود رأس ما كونن الاحباش داخلين من باب آخر ولما تم تسليم المدينة أنزل العلم الابيض ورفع مكانه العلم الحبشي ولما رأى الجنود الايطالية الذين كانوا خارج المدينة وقتئذٍ صعود العلم الحبشي على السارية اغرورقت عيونهم بالدمع حزناً على ضياع هذه المدينة منهم ونزل الجنود في محل يبعد عن المدينة مقدار ساعتين وانتظروا هناك حتى أتت الجنود الحبشية فقام الجميع في ٢٤ كانون ثاني (يناير) قاصدين هوازن وكانت فرقة من جنود رأس منغاشا ورأس الولا أمام الفصيلة الايطالية وفرقة من جنود رأس ما كونن وراءها وعلى اليمين والشمال فرقة من جنود الامبراطور ونفوس مقاطعة غوجام واستمروا في سيرهم هكذا حتى وصلوا الى هوازن المذكورة في ٢٩ منه فتخلف هنا الجنود الحبشية واستمرت الفصيلة الايطالية في سيرها ومعها الرأس ما كونن الى أن بلغوا مكاناً في الطريق فوقف الرأس الموما اليه وقال لقائد الفصيلة ان رضاء الامبراطور بخروجهم من مكلا من غير ان يمسهم سوء كان بناء على شرط ان يرسل الجنرال باراتيري البيكباشي سلاسا الى معسكر النجاشي للمذاكرة في شروط الصلح وانه نظراً لعدم ورود البيكباشي الموما اليه الى الآن صدر أمر الامبراطور أن يؤخذ عشرة من الضباط يبقون لدى الجيش الحبشي كرهينة و بعد أن بلّغ الرأس ما كونن أمر الامبراطور انتخب عشرة من الضباط ثم سمح للفصيلة بالسفر فسافرت

وأما الجنرال باراتيري فانه كان أمر البيكباشي سلاسا أن يسافر الى معسكر الاحباش ولكنه لما بلغه خبر حجز منليك عشرة من ضباطه كرهن عاد واسترجع البيكباشي الموما اليه

ولعدم وفاء الجنرال باراتيري بوعده طلبت الامبراطوره تايتو ومن ينتمي اليها اعدام الضباط الذين أخذوا رهناً وكاد ينفذ عليهم هذا الحكم ولكن الامبراطور أمر باخلاء سبيلهم قائلاً انه لا يجوز اعدامهم بجريرة غيرهم . وقد أوصاهم الرأس ماكونن بأن يسافروا من المعسكر الحبشي في الحال وأن يفهموا الجنرال باراتيري لزوم ارسال البيكباشي أو على الاقل ارسال الموسيو فلتر . لان هذا الرأس والامبراطور نفسه كانا يميلان الى الصلح

وأما الضباط الايطاليون العشرة فانهم التقوا بمعسكرهم الموجود في (ماي غايتا) بعد سير خمس ساعات ولما رأتهم النقط الامامية الطليانية أطلقت عليهم بنادقها ظناً منها انهم أحباش فقتلوا صف ضابط برتبة جاويش وبغلاً ولكن علموا فيما بعد انهم الضباط الايطاليون الذين كانوا عند الاحباش . ويقول الضباط الايطاليون أنفسهم ان الامبراطور منليك رجل يحب السلم ويكره سفك الدماء وقد أثبت ذلك بقبول توسط الموسيو فلتر باخراج جنود الايطاليين الذين كانوا محصورين في مكلا بعد ما كادوا يموتون عطشاً . ثم ان هناك أمراً يدل على دهاء هذا الامبراطور ووقوفه على أساليب السياسة وأحوال الحرب وذلك انه لما خرجت الفصيلة الايطالية من مكلا قام معها هو وجيشه بحجة مرافقتها تشريفاً لها ولكن تسنى له بذلك الاستيلاء على جزء كبير من الاراضي الداخلة ضمن دائرة النفوذ الايطالي وقطع مسافة لا يستهان بها داخل الاراضي الايطالية وهذه الحركة هي على جانب عظيم من الاهمية بالنظر لفن سوق الجيوش وتعبئتها

وقد استغرب الجنود والضباط الايطاليون أنفسهم عدم ارسال الجنرال باراتيري للبيكباشي الى المعسكر الحبشي لعقد الصلح

ثورة عقامه

وفي ٥ شباط (فبراير) أي بعد اعادة الضباط العشرة الذين كانوا أخذوا كرهن وصل الى معسكر الجنرال باراتيري بالبراس امانول من قبل الامبراطور منليك وأبلغه

بأن الامبراطور نقل معسكره من هوازن الى (غاندابانا) وانه سينتظر هناك ستة أيام لعقد الصلح . وعلى ذلك رضي هذا الجنرال العجيب أن يرسل البيكباشي سلاسا وأمره أن يعقد الصلح على الشروط الآتية :

١ — تجديد عهد اوقسيالي

٢ — الاعتراف بالاراضي التي استولت عليها ايتاليا في المدة الاخيرة بأنها مستعمرة ايطالية اعترافاً تاماً

ولا يخفى أن هاته الشروط لا ترضي الامبراطور الذي يميل الى عقد الصلح فضلاً عن الامبراطورة وحزبها . لذلك أثارت هاته الشروط التي لا تطاق غضب الامبراطورة وأخيها رأس وليه ورأس منغاشا ورأس الولا وعلى ذلك طلب الامبراطور من الجنرال نظير عقد الصلح أولاً — الجلاء عن الاراضي التي احتلها الايطاليون مؤخراً . ثانياً — تعديل عهدة اوقسيالي . وقد جعل النجاشي طلبه هذا بصفة انذار نهائي وأرسله مع البيكباشي سلاسا المندوب الايطالي . ولما انتهت طلبات الامبراطور الى الجنرال باراتيري أرسل حالاً كتاباً شديد اللهجة الى الامبراطور أخبره فيه ان كلا من الفريقين حر في حركاته الحربية

وفي نفس اليوم الذي وصل فيه البيكباشي سلاسا الى معسكر الجنرال باراتيري قام الرأس سابات واغوس تافاري اللذان كانا في خدمة الجيش الايطالي وتركا معسكر الجنرال والتحقا بجيش أبناء جنسهم الاحباش بخمسمائة جندي وقوبلا بكل تجلة واحترام . نعم ان انضمام خمسمائة جندي الى الجيش المحارب لايطاليا لا يعد خسارة عظيمة على الايطاليين ولكن أهميته كبيرة جداً بسبب ما لهذين القائدين من النفوذ في البلاد التي ستحصل فيها الوقائع الحربية . وقد حصل ذلك بالفعل اذ قام الاهالي ضد الايطاليين وأخذوا يشنون الغارة على قوافل الجيش الحاملة للزاد والذخائر ويهاجمون النقط الامامية للجيش الايطالي وفصائله ولقد كانت اعالة الجنود الايطالية متعسرة جداً من قبل فكيف بها الآن لا جرم انها صارت مستحيلة لهذا اضطر

الجنرال باراتيري أن يرتد بمسكره الي هضاب (تيزالا) ولم تكن الجنود الايطالية خصوصاً التي وصلت حديثاً من بلادها معتادة على هـذه المتاعب والمشاق والتغذي بقليل من الدقيق مخلوط بقليل من المـاء وعلى مراحل ومسافات طويلة وتسلق جبال أوعر وأصلب من جبـال الالب لذلك كله نال هؤلاء الجنود تعب عظيم وتفشى الوباء بين الماشية والخيل والبغال الخاصة بالمعسكر فهلك معظمها

وأما الجيش الحبشي فانه قام بعد أن أتم معداته قاصداً (ادووا) وقد كان وقتئذ القائد العام للجيش الايطالي نازلاً بقواه على الهضاب الحاكمة على (اينتقيو) وكان يكتفي بارسال فصائل صـغيرة كل يوم لاكتشاف ما حول هاته الهضاب فكانت تصادف الفصائل الحبشية الكثيرة العدد وتناوشها القتال ثم تعود من حيث أتت بعد أن تخسر كثيراً من رجالها

واقعة لينا

ومن وقائع هذه الفصائل واقعة لينا حيث ذهب الملازم سيسزنى في مساء ١٤ شباط (فبراير) للاكتشاف ومعه ٦٠ جندياً ايطالياً و ٥٠ جندياً من الوطنيين . وبينما كان يتسلق هو وجنوده سفح هضبة وعرة في اثناء عودته للعودة الى المعسكر اذ داهمهم جند الاحباش وأخذوا يرمونهم بوابل من رصاص البنادق واستمر كذلك حتى خيم الظلام وقتـل كثير من جنوده . ولقـد سمع صوت البنادق من اديفرات فأرسل مدداً مؤلفاً من ٣٥ جندياً ايطالياً بقيادة الملازم قونسيللي ولكنهم لشدة الظلام لم يهتدوا للمكان الذي كان فيه رفيقهم الملازم سيسزنى واضطروا ان يقضوا الليل كله في الجبال وفي الصباح صادفوا فصيلة حبشية فاشتبك القتال بينهم وبينها فأبيدت الفصيلة الايطالية عن آخرها

أما الملازم سيسزنى فانه لم يعلم بالمدد الذي جاءه الا لمـا سمع صوت طلقات البنادق فأراد ان يمد اخوانه ولكن رأى فصيلة حبشية مؤلفة من ٥٠٠ جندي أخذت

تحيط به فخشي ان ينقطع عليه خط الرجعة فأمر جنوده بالتقهقر ولما وصل الى اديفرات لم يكن بقي معه من جنوده الا بضعة أشخاص والباقي ذهب فريسة لنيران الاحباش

واقعة اله فا

قام الملازم سيمينيو من اديفرات في ١٦ شباط (فبراير) ومعه ١٠٠ جندي من المشاة للالتحاق بالمحافظين على قافلة كبيرة تحمل ذخائر حربية. ولما وصلت هذه الفصيلة الى (اله فا) التقت بفصيلة الملازم نيفرتي الايطالي وانضمت اليها وبعد قليل ظهر تابور من الجنود الحبشية مؤلفًا من ١٠٠٠ جندي فأحاطوا بالفصيلتين الايطاليتين وقتلوا كل رجالها وكان الملازمان سيميوني ونيفرتي بين القتلى .

وانتهى خبر مهاجمة الاحباش للفصيلتين المذكورتين الى المعسكر الايطالي فقام في الحال اليوزباشي موقوغاتا ومعه ١٤٠ جنديًا لنجدة الفصائل ولكنه لم يكد يصل الى محل الواقعة الا وكانت الحرب انتهت على ان الاحباش لما رأوا هذه الفصيلة هاجموها من كل جانب فاضطرت للتقهقر وكادوا يبدونها عن آخرها اذ لم ينج منها سوى ثمانية جنود والضابط تاسعهم . أما القافلة فانها وقعت كلها بيد الاحباش . وهنا يجب ان نقص عليك حكاية حدثت في اثناء هذه الواقعة وهي نموذج للشجاعة والوفاء من ضابط وجندي :

بينما كان القتال مشتبكاً أحاط نفر من الاحباش بضابط برتبة ملازم يسمى قابوتو وطلبوا منه ان يسلم نفسه ولكن الضابط أبى ذلك وقتل بمسدسه ستة من الاحباش ثم أصابته رصاصة ألقته صريعًا على الارض . وظن الاحباش انه قتل ولكي يتأكدوا من ذلك أحرقوا رجله بالنار ثم انصرفوا . أما الضابط فانه كان أغمي عليه من جراحه ولما أفاق من اغمائه وجد نفسه بين ذراعي جندي حبشي فنظر في وجهه فعرفه . وقد كان هذا الجندي الحبشي دخل متطوعًا في الجيش الايطالي حيث ألحق بفصيلة هذا الملازم . فلما انتهت هذه الواقعة وانصرف الاحباش عاد الجندي الى محل الواقعة

بطارية من المدفعيين الوطنيين	٦	مدافع
بطاريتان من المدافع الايطالية	٨	«

٢ — لواء المشاة وقائده الجنرال دابورميدا :

٦ اورط جنود ايطالية	٢٦٤٠	بندقية
١ اورطة وطنية	٦٥٠	«
جنود اسمرا	٢١٨	«
٣ بطاريات ايطالية	١٨	مدفع

٣ — لواء المشاة وقائده الجنرال آلينا :

٦ اورط جنود من المشاة الايطالية	٢٩٣٠	بندقية
١ اورطة من الجنود المتطوعة الاهلية مشاة	١١٥٠	«
نصف فصيلة من جنود المهندسين	٧٠	«
بطاريتان من المدافع الايطالية	١٢	مدفع

٤ — لواء المشاة وقائده الجنرال اريموندي :

٥ اورط من المشاة الايطاليين	٢٢٧٣	بندقية
فصيلة واحدة من الجنود المشاة الاهلين	٢٣٠	«
بطاريتان من المدافع الايطالية	١٢	مدفع

واذا أضفنا على القوى المذكورة آنفاً خمسمائة ضابط وخمسمائة من جنود الجاندارمه وغيرها يكون مجموع الجنود الايطالية ١٦٥٠٠ محارب فقط

قامت هذه الحملة الايطالية قاصدة معسكر الاحباش النازل قرب آدووا في ٢٩ شباط (فبراير) ١٨٩٦ في الساعة التاسعة مساء على الحساب الافرنكي وأخذت تحث السير تحت نور القمر الذي كان بدراً وجعلت مسيرها على طريق (صوريابوني) مارين بسهل (انتى سبفو) وجبال (جحا) ذات الحزون الكثيرة والمعارج

جهة اريسن فوجد جميع الاحباش احتلوا جميع الهضاب الواقعة في الجهة المحاذية للقوى الايطالية

أما الجنرال البرتون فانه ظل يقاوم الاحباش ويكافحهم مدة حتى نفدت قواه وتكاثرت عليه الجموع فتقهقر منهزماً بمن بقي من لوائه شر هزيمة ومع ذلك فان الجنود الحبشية لم تتركهم بل تتبعت آثارهم وشبعتهم ضرباً وطعناً حتى فني جميع الضباط ووقع الجنرال البرتون نفسه بين ايدي الاحباش

هذا ما كان من امر الجنرال البرتون وأما الجنرالان اريموندي واله نا فان الاحباش احاطوا بلوائهما ايضاً احاطة السوار بالمعصم واختلط الجيشان اختلاط الحابل بالنابل حتى أدى الكفاح الى التماسك بالايدي والتضارب بالسلاح الابيض حتى وصل الامر الى أن هذين الجنرالين عجزا عن جمع جنودهما بأية وسيلة كانت والتقهقر بهم الى الوراء تخلصاً من فتك الاحباش بهم. وكانت خسائر الايطاليين عظيمة جداً خصوصاً جنود الطوبجية وبالاخص ضباطهم الذين لم يتمكنوا من استعمال مدافعهم ولم يشاؤوا تركها بين ايدي أعدائهم فماتوا جميعهم في سبيل الدفاع عن بطارياتهم وقد كان مع الايطاليين ٥٦ مدفعاً فوقع منها ٥٤ غنيمة في ايدي الاحباش وتمزقت صفوف الجنود الايطالية شذر مذر ولم ينفع ما بذله الضباط من السعي فى تخفيف وطأة الهزيمة هذا وقد قتل الجنرال اريموندي وكثير من الضباط ومما زاد خسائر الايطاليين تسلط الاهالي عليهم اثناء تقهقرهم . هذا ما اصاب لواء البرتون الذي باد عن آخره ولواء اريموندي الذي انهزم شرّ هزيمة . وأما لواء بروميدا الذي كان ضل الطريق وانفصل عن باقي الجيوش فانه بينما كان سائراً في وادي مريم وصافيتو صادف فرقة حبشية فنشبت بينه وبينها الحرب فألجأها الى التقهقر حتى اوصلها الى الوادي ولكنه في الساعة الثانية ونصف بعد الظهر وجد نفسه بغتة امام الجيوش الحبشية المطاردة للقوى الايطالية الاخرى المنهزمة . وقد قاوم الجنرال بورميدا هذه القوى الهائلة بشجاعة نادرة لكنه غلب على امره وقتل هو واكثر ضباطه والقي الفشل في صفوف لوائه

فانهزمت الجنود وتشتت هذا اللواء ايضاً وأصابه ما أصاب لواء الجنرال اريموندي وفرّ من نجا من الموت الى جهة (آدي اورجي) وأخذ الاحباش يتبعون آثار المنهزمين طول النهار . وفي المساء جمع بعض الذين نجوا من مخالب الموت ما بقي من الجنود الايطالية وعادوا الى اسمرا . وأما القائد العام الجنرال باراتيري فانه كان يشاهد من الهضبة التي كان اتخذها كمقر له ما أصاب جيشه من الهزائم والمصائب ولما تم القضاء على الجيش كله عاد في المساء الى اسمرا عن طريق (انتشيفو) وقد احصى خسائر الايطاليين في هذه الوقائع فوجد انها تزيد على سبعة آلاف شخص بين قتيل وجريح . أما هذا الجنرال اي القائد العام فقد حوكم فيما بعد أمام مجلس حربي ولكنه خرج بريء الساحة

وبعد انتهاء الحرب عقد الامبراطور منليك مجلساً مؤلفاً من الرؤوس لتعيين العقاب اللازم ايقاعه بالاسرى الوطنيين الذين هم من اهل البلاد وخدموا بالجيش الطلياني . وأراد الامبراطور المجبول على الرحمة والشفقة ان يكون عقاب هؤلاء خفيفاً ولكن بناء على اصرار الامبراطورة والرؤوس فقد تقرر معاملتهم معاملة خائن الوطن وصدر الحكم عليهم بقطع أيديهم اليمنى وأرجلهم اليسرى حسب المادة التي تنص عن خائن الوطن من قانون (فتا نفوس) ونفذ هذا الحكم فيهم في الحال. وأما الاسرى من الايطاليين فان البعض منهم ألحقوا في خدمة أكابر الجيش كعادة هذه البلاد

كانت نتيجة هذا الانهزام ان دفعت ايطاليا الى الجيش غرامة حربية عظيمة وتخلت عن جميع المواقع والبلاد التي كانت احتلتها في مقاطعة تيغري

يوم الاربعاء ٧ تموز (يوليو)

وصلنا اليوم الى السويس فودعنا ربان الباخرة وسائر الركاب وخرجنا الى البر حيث نزلنا في فندق قونتينانتال الواقع على الترعة

يوم الخميس ٨ منه

سافرنا اليوم من هنا على قطار الساعة الواحدة بعد الظهر عن طريق الاسماعيلية ومنها الى الاسكندرية أقمنا يومين وفي يوم السبت ركبنا الباخرة چنجاچيف الروسية قاصدين الاستانة العلية فبلغناها بعد ظهر يوم الجمعة الموافق ١٦ تموز (يوليو) وبذلك تمت رحلتنا التي استغرقت ثلاثة شهور كاملة

مشاهير الاحباش

لقمان الحبشي

وهو مشهور بفرط التعقل والحكمة وقد أشار الله في القرآن الكريم الى مواعظ لقمان الحبشي التي ألقاها على ابنه . وقد اتخذ بعضهم حكم لقمان دليلاً على نبوته ولكن أغلب المفسرين قالوا ان هذه الحكمة هي بلاغة وفصاحة لسان وأثر من آثار العقل والفضل واصابة الرأي . والحقيقة انه مختلف فيه هل هو نبي أو ولي . والقول الاخير هو الارجح وقد روى بعض المحدثين منهم ابن مردويه باسناده الى أبي هريرة وابن عساكر باسناده الى عبد الرحمن بن يزيد وجابر أن لقمان حبشي

بلال الحبشي مؤذن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

كان مولى عبد الله بن جدعان في مكة المكرمة وقد أسلم على يدي النبي عليه الصلاة والسلام ولذلك كان سيده يعذبه انتقاماً منه ولما بلغ هذا الخبر أبا بكر الصديق اشتراه من عبد الله وأعتقه لوجه الله . وبلال الحبشي ممن صاحب سيدنا محمد وكان يؤذن بالصلاة بين يديه وقد روى عنه أحاديث عديدة ووجد مع الرسول صلى الله عليه وسلم في أغلب غزواته . ثم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ذهب مع الحبشي الذي أرسله عمر رضي الله عنه في زمن خلافته لفتح الشام واستقر في دمشق بعد فتحها واتخذها مقاماً له وفيها توفي عن عمر ناهز الستين ودفن في مقبرة الباب الصغير . وقبره معروف الى يومنا هذا يزوره الناس ويتبركون به رضي الله عنه وعن جميع الصحابة الكرام

مهجع الحبشي

كان مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد أسلم وصحب النبي صلى الله عليه وسلم وحضر واقعة بدر وقتل فيها

نفيع بن مروح الحبشي

هو مولى الحرث بن كلدة الثقفي ولما حوصرت الطائف كان نفيع فيها فتدلى من السور بحبل وبكرة وذهب الى الرسول صلى الله عليـه وسلم وأسلم وتشرف بصحبته وقد أطلق عليـه لقب أبو بكرة نسبة للبكرة التي استعملها عند نزوله من سور الطائف وقت الحصار . وقدبقي نفيع رضي الله عنه على الحياد في واقعة الجمل ولم يشترك بالحرب مع أحد المتقاتلين . وتوفي في البصرة سنة ٥٦ ودفن فيها وله من العقب ولدان الواحد يسمى عبد الله والآخر سليم

شقران الحبشي

وأصل اسمه صالح بن عدي ولقبـه الشقران . كان في بادئ الامر مولى عبد الرحمن بن عوف واشتراه فيما بعد النبي عليه الصلاة والسلام وأعتقه عقب واقعة بدر وقد حضر هذا الصحابي رضي الله عنه وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم كما انه كان من جملة الذين قاموا بتكفينه و بتجهيزه ودفنه . وقـد استمرت ذريته موجودة الى زمن الخليفة هارون الرشيد العباسي

ذو محجر الحبشي

هو ابن أخي أصحمه نجاشي الحبشة وقد كان بين الاثنين وسبعين حبشياً الذين حضروا من الحبشة مع سيدنا جعفر . وكان لهذا الصحابي حب للنبي صلى الله عليه وسلم وملازمة له كان يظن انه أحد مواليه وما كان يفارق النبي ولا لحظة واحدة بل كان دائماً في خدمته الشريفة . وقد روى بعض الاحاديث وتوفي في دمشق في الستين من عمره

على النبي في المدينة المنورة وأسلم هنــاك وهو الذي قتل في خلافة أبي بكر الصديق مسيلمة الكذاب الذي ادعى النبوة في اليمامة

عاصم الحبشي

مولى زراعة الشفري وقد أهداه سيده الى النبي صلى الله عليه وسلم

نائل الحبشي

وهو أبو ايمن أحد الصحابة الكرام ورواة الحديث

لقيط الحبشي

من موالي النبي عليه الصلاة والسلام

يسار الحبشي

القائم بكنس المسجد النبوي وأمر نظافته . وروى أبو هريرة ان النبي أثنى على يسار أمامه

جعال الحبشي

هو من الذين حضروا غزوات النبي وقتلوا في أحداها

ابرهة بن صباح الحبشي

والدة هذا الصحابي هي بنت ابرهة الاشرم صاحب الفيل المشهور وملك اليمن . وكان ابرهة بن صباح من رجال أصمحة نجاشي الحبشة فوفد على النبي هو وسبعة من رفاقه ودخلوا في الاسلام

اسلم ابو خالد الحبشي

مولى سيدنا عمر بن الخطاب وقد روى أحاديث كثيرة عن كثير من الصحابة الكرام وكان أطول الصحابة عمراً لانه بلغ من العمر ١١٤ سنة وتوفي في زمن مروان بن الحكم

ايمن الحبشي

أبو عبد الواحد ومولى عبد الله بن عمرو المخزومي وقد روى عن جابر بن عبد الله الانصاري

انجشه الحبشي

لقبه أبو ماريه وهو من الذين نالوا شرف الصحبة وقد حضر حجة الوداع مع فخر الرسل سيدنا محمد وكان يلازمه أين ما ذهب ويحدى في الطريق للجمال لتسير بسرعة . ويوجد كثير من الاحباش غير الذين ذكروا ممن نالوا صحبة النبي ولكن لم تحفظ أسماؤهم

وهذه أسماء الصحابيات المطهرات من الحبشيات :

بركة ام ايمن الحبشية

جارية سيدنا عبد الله بن عبد المطلب وهي التي قامت بخدمة النبي صلى الله عليه وسلم بعد ولادته وبتربيته حتى شب وقد أعتقها سيدنا محمد بعد زواجه بالسيدة خديجة رضي الله تعالى عنها وكان يحبها كوالدته ويقول ذلك أمام الناس وبعد عتاقها زوجها النبي صلى الله عليه وسلم من زيد بن حارثة أحد مواليه فولدت له اسامة بن زيد . وقد كان سيدنا محمد يتردد كثيراً الى منزل بركة ام ايمن لزيارتها كذلك كان الخلفاء الاربعة بعد وفاة النبي يزورونها اتباعاً لما كان سنه النبي على نفسه من زيارتها

سعترة الحبشية

هي من اماء بني أسد وقد ألم بها مرض فأتت وشكت ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فدعى لها بالشفاء

بركة الحبشية

هي أمة أم حبيبة احدى زوجات النبي وقد جاءت معها من الحبشة

عفيرة بنت رباح الحبشية

أخت بلال الحبشي مؤذن الرسول عليه الصلاة والسلام

نبعة الحبشية

هي أمة أم هانئ احدى زوجات الرسول وبنت أبي طالب . وقد كانت في خدمة النبي عليه الصلاة والسلام

واليك أسماء بعض التابعين والتابعات من الاحباش :

عبد الله الحبشي

هو ابن النجاشي اصمحه المعاصر للنبي صلى الله عليه وسلم وقد ولد في الحبشة وسماه جعفر باسم ابنه عبد الله الحديث الولادة . وقد أرضعته زوجة جعفر المومأ اليه ولما شب عبد الله بن جعفر وعبد الله الحبشي أحبا بعضهما وكانت المودة بينهما متبادلة

حميس الحبشي

ذكره بعض المؤرخين في عداد الصحابة الكرام والبعض ذكره في عداد التابعين

الفقيه عطاء بن رباح الحبشي

وهو مولى أبي مسرة الفهري وكان من أجلة الفقهاء والزهاد . وقد روي عنه أحاديث كثيرة . وكان مفتي مكة المشرفة في زمانه . وقد أثنى الامام أبو حنيفة والحسن البصري والامام ابن مالك عليه . وكان سليمان بن عبد الملك الخليفة الاموي يحضر حلقة درسه هو وابنه الذي كان من جملة تلاميذه . وتوفي في مكة سنة ١١٤ وهو في التسعين من عمره قضاها بنشر العلم والتعليم

أبرهة الحبشية

وهي أمة أصمحة النجاشي وقد كانت واسطة المخابرة بين النجاشي المشار اليه وبين حبيبة أم المؤمنين . ولما تم أمر عقد نكاح أم حبيبة على النبي أهدتها أم حبيبة هدايا فاخرة فلم تقبلها

الصادق ، عبد الله بن حمزة بن موسى بن جعفر ، سليمان بن حسن بن عقيل بن أبي طالب ، ابراهيم بن حسن بن عقيل بن أبي طالب ، محمد بن ابراهيم بن حسن بن أبي طالب ، جعفر بن ابراهيم بن عقيل بن أبي طالب ، العباس بن محمد بن علي بن عبـد الله بن العباس عيسى بن جعفر المنصور ، جعفر بن جعفر المنصور ، هبة الله بن ابراهيم بن المهدي ، العباس بن المعتصم ، الخليفة مقتضي لامر الله . و يوجد غير ذلك كثير من الذين أمهاتهم من الحبشيات

وهذه أسماء بنات الصحابة الكرام الذين هاجروا الى الحبشة وقد ولدن فيها :

آمنة أم خالد القرشية

هي بنت خالد بن سعيد بن العاصي وقد ولدت في الحبشة وعادت مع من عاد الى المدينة من الصحابة . وقد تزوجت من الزبير بن العوّام ورزقت منه عمرًا وخالدًا وكنيت بأم خالد . روى عنها بعض المحدثين مثل موسى بن عقبة وابراهيم بن عقبة وكريب بن سليمان الكندي ومصعب بن عبد الله وغيرهم أحاديث كثيرة

زينب بنت الحرث

ولدت في الحبشة وتوفيت هناك أيضاً اثر شربة ماء

زينب بنت عبد الله أبي سلمة

هي بنت أم سلمة احدى زوجات النبي الطاهرات . وقد ولدت في الحبشة وسميت (برة) ولكن النبي عليه الصلاة والسلام غير اسمها فيما بعد وأطلق عليها اسم زينب . وكانت مشهورة بعلم الفقه

عائشة بنت الحرث

ولدت في الحبشة وكانت بين الصحابة الكرام الذين عادوا الى المدينة

وهذه أسماء أولاد الصحابة الذكور الذين ولدوا في الحبشة :

من بني هاشم غوث بن جعفر بن أبي طالب وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب ومحمد بن جعفر بن أبي طالب ومن بني عبد شمس محمد بن أبي حذيفة بن عتبة وعبد الله بن عثمان بن عفان

وهذه أسماء من توفى في الحبشة من الصحابة الكرام :

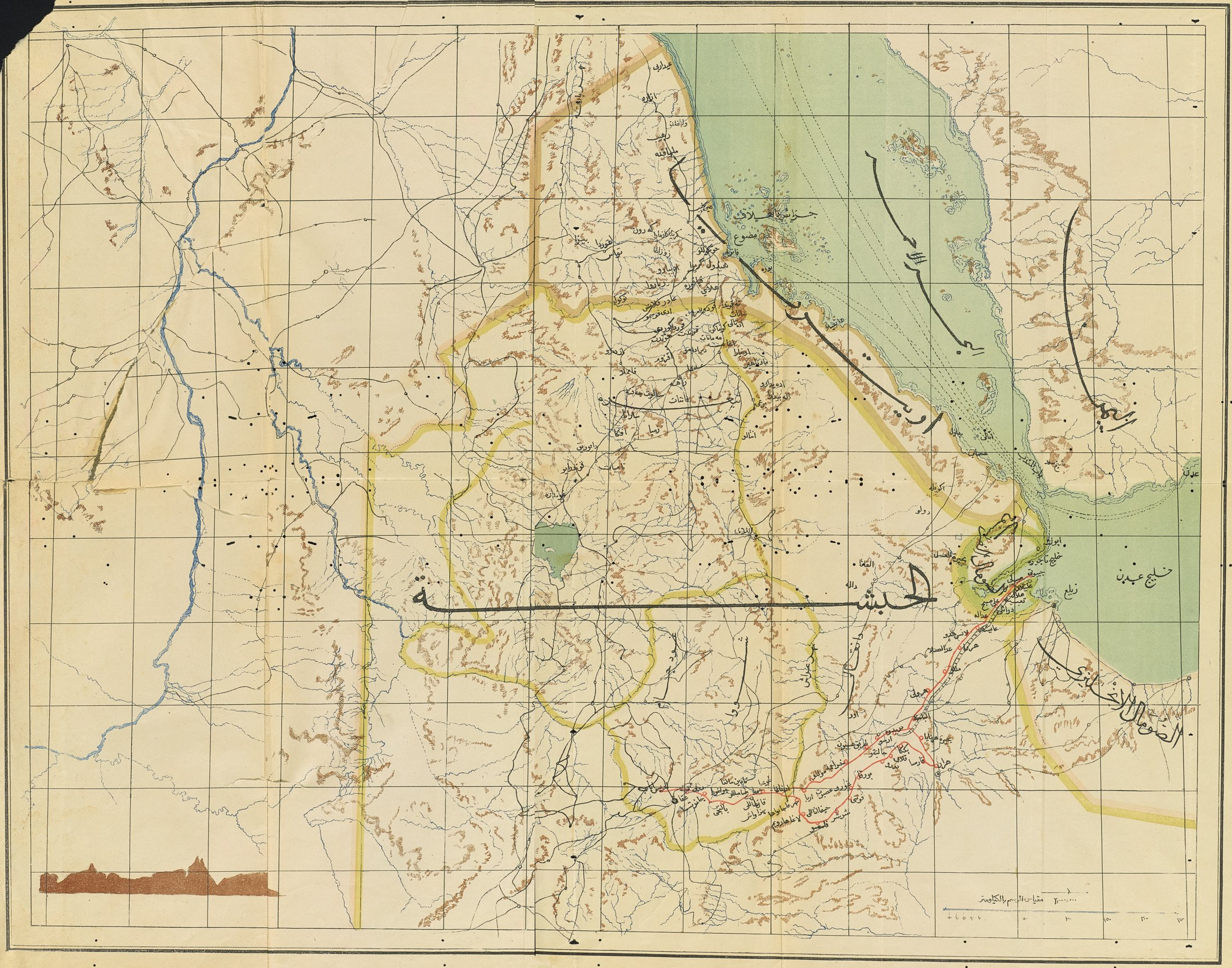
من بني أسد ابن عبدالعزى بن قصي . وعمرو بن أمية بن الحرث بن أسد ومن بني جحم — حاطب بن الحرث وأخو خطاب بن الحرث . ومن بني سهم — عبد الله بن الحرث بن قيس . ومن بني عدي - فروة بن عبد المشرى بن حرثان . وعدي بن فضلة . ومن بني زهرة المطلب بن أزهر بن عوف وأخوه طيب بن أزهر بن عوف . ومن بني تيم موسى بن الحرث بن خالد وأمه ريطة بنت الحرث بن جبيله وأختها عائشة بنت الحرث وزينب بنت الحرث وزينب صفران بن أمية الكتابي وفاطمة زوجة عروة بن سعيد ابن العاص وأم حرملة بنت عبد الاسد وزوجة جهم بن قيس

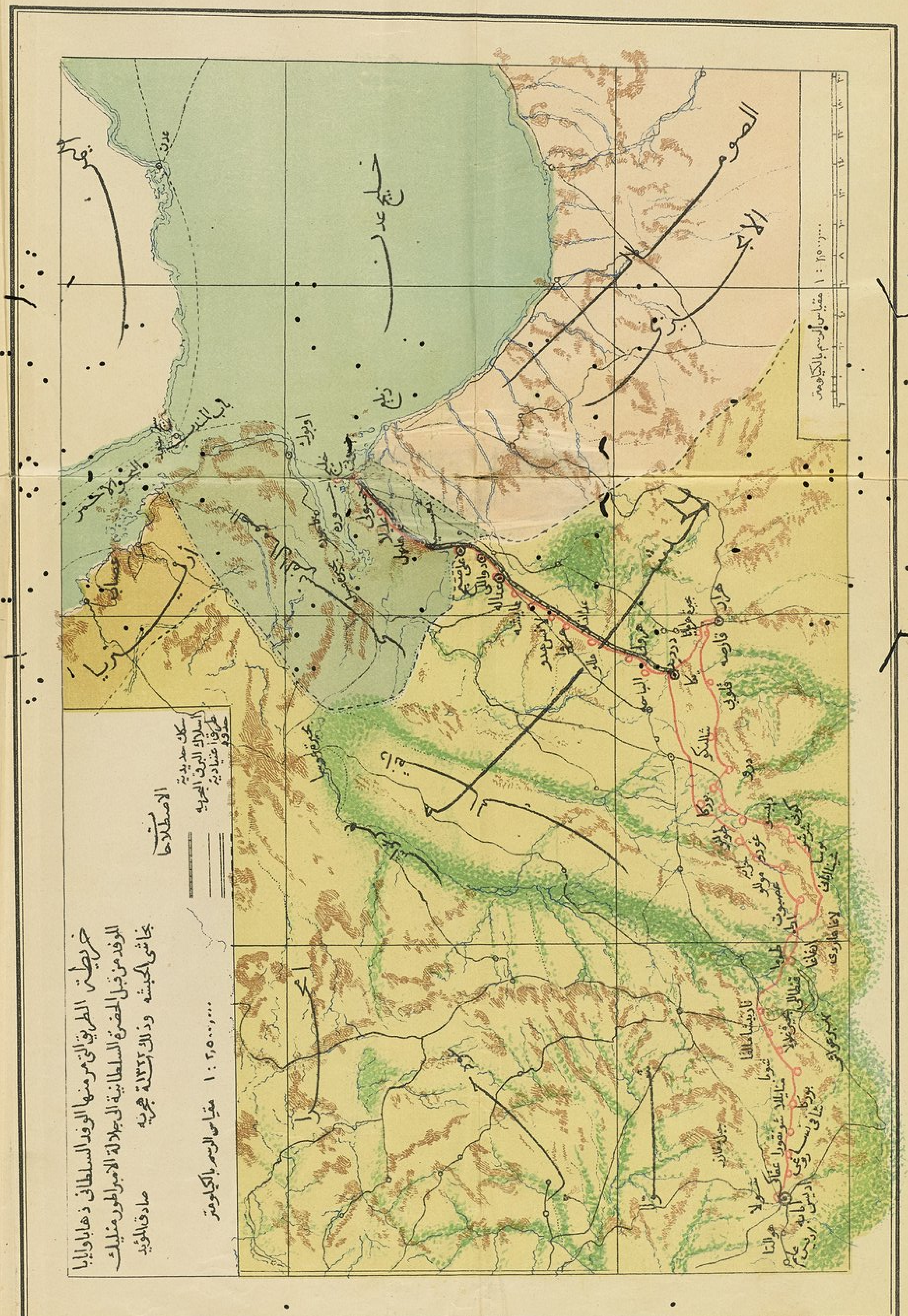
ومن بني عبد شمس -- سعيد بن خالد بن سعيد وأخته آمنة بنت خالد بن سعيد ومن بني مخزوم — زينب بنت أبي سلمة عبدالله بن عبد الاسد وعبد الله بن عباس بن أبي ربيعة وعمر بن عبد الله ومن بني زهرة عبد الله بن عبد المطلب بن أزهر ومن بني تيم — موسى بن الحرث بن خالد وأخواته عائشة وفاطمة وزينب . ومن بني جمح — الحرث بن حاطب بن الحرث والحرث بن سفيان بن معمر ومحمد بن خطاب بن الحرث ومن بني عامر - سليط بن سليط بن عمرو

تمت الرحلة

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٢٨	١	صحبولي	حمبولي
٣١	٣	ومن الحيوانات	ومن جلود الحيوانات
٣٩	١٧	دادانلي	دوانلي
٥٤	١٦	تيربون	تيربوشون
٥٥	٢٢	طبختها	طحنتها
٥٧	٢	الفاللا	الفاللا
٦٥	٢٢	لون فضي	ألوان ففي كل
٦٥	٢٣	التسمية	الشمسية
٧٩	٧	شحما	شمما
٨٧	٨	بيج	دجاج فرعون
٩١	١١	تيفري	تيغري
١٠٤	٨	الاينو	الايتو
١٠٨	٥	اتحي	اتمي
١٠٩	١٤	جغا ايناني	چفا ايناني
١١٠	١٧	قالمو	قالمسو
١١٣	٣	اصنعا	اصفا
١١٤	٣	الفا	الغا
١١٥	٧	النوكي	التوكي
١١٥	١٦	اواس	اواش
١١٦	٢١	وتحت الشجرة على الارض خرقة مفروشة	وعلى الشجرة قرب القرعة خرقة معلقة

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
١١٧	٢٢	الفابلة	الغالليه
١١٩	١٧	عروس	عروسي
١٢١	٨	ألوف	مئات
١٢٤	١	تينجه فيدنسا	تحية فيدنسا
١٤٨	٦	ارغامق	ارغا.ن
١٤٩	١٤	تابانا	تاباتا
١٥٠	٨	لاليلابا	ليلالمبلا
١٥١	٦	الفالين	الغالين
١٥٦	٢٢	نفوس	نغوس
١٥٦	٢٢	نفوسي نفسي	نغوس نغستي
١٥٦	٩	الموسيو ليشين ترجمان	ترجمان الموسيو ليشين
١٦٢	٢٠	دانفلو	دابغلو
١٦٢	٩	كما يباع عندنا	كما تباع عندنا القضامه
١٦٢	١	الجبل	الحبل
١٦٤	١٧	قوقسان	قوقسا
١٩٣	٢	دللو	وللو
٢١٩	٦	مرآة	بناية (اي بناء)
٢٢٤	٩	ثالث ملوك شووا	ثالث ثلاثة احد ملوك شووا
٢٥٢	١	لقامعو	لقامعسو
٢٦٨	١٩	افانفوس	افانغوس
٢٧١	٢٠	فوق الصخر	فوق الصفر
٢٧٤	٠٣	المسيو شارل	الموسيو مارشال


الحبشة
خليج عدن
زيلع
عدن


خريطة الطريق التي مر منها الوفد السلطاني ذهاباً واياباً
الوفد من قبل الحضرة السلطانية الى جلالة الامبراطور منليك
نجاشي الحبشة وذلك ١٣٢٢ هجرية
صادق المؤيد
مقياس الرسم ١ : ٢,٥٠٠,٠٠٠ بالكيلومتر
الاصطلاحات